إلى القارئ الكريم

شوق الى المعرفة .. كشوق الربيع الى التجدد، كل عام ..

مع اطلالة هذا العدد من « البيان » .. تكون مجلة (رابطة الادباء في الكويت) قد تخطت السنوات الخمس الاولى من عمرها المديد باذن الله ، لتبدأ سنتها السادسة : قوية ، نشيطة ، متجددة الحياة ، مزهوة باسمة كاشراقة هذا الربيع المطل ...

وأمام هذه الاطلالة الجديدة ، لا نملك هنا ـ ايها القاريء العزيز ـ أن نقحم أمامك تلك العبارات التقليدية المتبادلة عادة في المناسبات والاعياد .. رافعين عقيرتنا بالتمنيات والاقوال التي تذروها الرياح . بل نفضل ان نترك لك الحكم على مسيرتنا ، آملين ان تطالبنا دائما بتصحيح ما قد ترى تصحيحه لسلامة سيرنا الدؤوب في مسالك الكشف الامين عن انتاج مفكرينا وكتابنا ، وتقديمه الى الناس جميعا ، في حلة انيقة وثوب قشيب ...

ولكنا ـ اذ نترك لك ذلك الحق ـ لا يسعنا ، بدورنا ، الا ان نطالبك : بان تُبقي جذوةَ شوقك للمعرفة والتعرف على كل جديد مبتكر ، في الفكر والتعبير عن الفكر : متقدةً ، حيةً ، متجددة .. تجدد الربيع الزاهر ، في انبلاجه من عتمة الشتاء كل عام ..

وبالربيع العائد تغنى الشاعر محمود غنيم .. فقال :

حي الربيع وحي عطر نسيمه ... والثم جبين الصبح في آذار
عيد الطبيعة ، يحتفي وحش الفلا ... بحلوله ، والطير في الاوكار
اني لترهف في الربيع مشاعري ... ويدق حسي دقة الاوتار
ويزيد فيه بالجمال تدلهي ... وانا امرؤ ، حب الجمال شعاري
متع فؤادك بالربيع فانه ... لحن الزمان وبسمة الاقدار
ان الربيع هو الحياة وسحرها ... لولاه لم نحرص على الاعمار ..

« البيان »

كتاب وكتاب



بقلم : رئيس التحرير

الكتاب من أعز الأصدقاء ، وأوفاهم ، وأخلصهم ، وأصدقهم ، لا يخلف وعدا ، ولا يخون عهدا ، ولا يكذب أحدا ، بل ان الكتاب قد يفوق في مميزاته أعز الأصدقاء ، لأنه أبدا يحفظ السر ، ويخلص القول ، فيظهر لك ما يخفي . ان سألته أجابك ، وان طلبته إباك ، وان بحثت عن حقيقته أفادك بما عنده . لا يداجي ، ولا يحابي ، ولا يترفع ، ولايتكبر . يناجيك في وحدتك ، ويسامرك في غربتك ، وينادمك في جلساتك ، تلجأ اليه وقت الضيق فيسليك ، ويروح عنك همك ، ويطرد عنك غمك . تحزن فيخفف أحزانك ، وتغضب فيهدهد من غضبك ، وتفرح فيرجعك الى واقع الحياة ، وواقع الحياة مر في كثير من الاحيان ، حلو في بعض الاحيان .

الكتاب يحفظ ما تقوله له وان كان خاطئا ، حيث تظهر الايام هذا الخطأ ، وينقل الى الاجيال القادمة ما استودعته من أسرار حياتك ، وعصارة أفكارك ، وخلاصة آرائك . يحلق بك أحيانا في دنيا الخيال والأوهام ، وينقلك أحيانا أخرى الى دنيا الواقع ، ويجول بك هنا وهناك ، ويدلك على الحقائق التي تضطرب فيها هذه الحياة ، وربما كانت الحقائق في هذه الحياة أوهاما ، وربما كانت الأوهام حقائق ثابتة . يغني معك طورا ، ويبكي معك طورا آخر ، ويطربك ويشجيك تارات أخريات . ان أردت منه شعرا غنى لك ، وان سألته أدبا رتله لك ، وان طلبت منه علما شرحه لك . لا يعطيك أكثر مما عنده ، ولا يأخذ منك شيئا ، لا يخدعك القول ، ولا يكذبك الحديث ، ولا يباهي بعلمه وفنه وأدبه ، لا يتحرج في جمع ، ولا يتضايق في وحدة ، ولا يتململ مهما طال معه الجلوس . يتساوى عنده الليل والنهار ، فلا الليل يوحشه ، ولا النهار يسعده ، فكلاهما عنده زمان ، ووقت وآن ، وانما بُعد القاريء عنه يوحشه ويضنيه ، وقرب القاريء منه يسعده ويشجيه . يحب المناجاة ولا يملها ، ويكره الصمت ويطيقه ، لكنه لا يتململ منه . صبور على الجفاء ، يقارع الوحدة ، ويصارع الزمان ، ويصمد أمام الخطوب .

هذا هو الكتاب ، أعز الأصدقاء ، وأين الأصدقاء من الكتاب ؟ والكتب يختلف بعضها عن بعض ، فكتب مادتها علم وحقائق ، وكتب مادتها فكر وفن ، وكتب مادتها خيال . فكتب العلم تنقلك الى عالم الواقع والأرقام ، والحقائق المجردة ، وكتب الفكر تطوف بك الى شتى العوالم ، من واقع وخيال ، ومن حقائق مجردة الى حقائق تتلمس أسرار الكون ، وتسبر أغوار الحياة ، وكتب الخيال تطير بك الى دنيا الأوهام ، والى عالم الخيال المحض .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان الانسان الذي وهبه الله تعالى العقل والخيال، راح بهذه الكتب يغوص في أعماق الفكر ليبحث عن المزيد من المعرفة ، ويطير في أجواء الخيال ليصور ما يتمناه ، وما يريده ، وما يبغيه لنفسه ، بعد أن مل الحياة على الأرض ، أو هفا الى حياة أفضل من حياة الأرض ، أو طمح الى السيطرة على السماء بعد أن سيطر على الارض .

اننا حينما نتحدث عن الكتاب هنا فانما نتحدث عن كتابنا العربي ، وعندما نتحدث عن كتابنا العربي ، فانما نتحدث عنه لنكشف زيف بعض الكتب التي أخذت تصدر عن بعض المطابع التي لا تقدر المسئولية ، وعن بعض الكتاب الذين لا يهمهم مستوى الكتاب بقدر ما يهمهم مستوى الكسب المادي ، وان أضر هذا الكسب المادي بمستوى الفكر . لا شك أن الايام كما ذكرنا تظهر خطأ الكتاب الرديء ، وتسقطه من عداد الكتب النفيسة ، لكن مثل هذه الكتب الرديئة تضر ضررا بالغا في أول الأمر بمستوى النشء ، وقد تعرقل نموهم الفكري ، وتفسد أذواقهم ، وتخدع القاريء قبل أن يتنبه لها ، وتهدر وقته هباء ، وتضيع عليه فرص قراءة كتب أخرى نافعة مفيدة . والكتب النافعة المفيدة غذاء للفكر ، وزاد للعقل ، وخصب للشعور والخيال ، بينما الكتب الرديئة تسيء الى الفكر والى العقل ، تخدش الشعور والخيال .

ان بعض كتابنا ، بل لعل الكثير منهم ، يؤلفون كتبا من هذا النوع السيىء ، وبعضهم يسطون على انتاج غيرهم ، وان كان سيئا ، ويجمعون بعضا من هنا ، وبعضا من هناك ، ويضيفون اليه من بعض نتاجهم الضعيف ، ويطبعون هذا البعض مع ذلك البعض ويسمونه كتابا ، وما هو بكتاب ، وبعضهم يؤلفون كَلِماً مكررا معادا ، لا معنى له ، ولا فكر فيه ، ويَدْعُونَه كتابا ، وليس فيه من معنى الكتاب الا الشكل والهيكل ، وقد رأينا الكثير من هذا النوع من الكتب .. ان الكتاب الأصيل ، هو الكتاب الذي يضيف فكرا جديدا الى المكتبة ، ويمدها بمعاني جديدة ، والا فما هي الفائدة من كثرة الكتب ، وما هي قيمة هذه الكتب اذا كانت خالية من كل جديد ؟

ان الكتب تشبه الأصدقاء ، فكتاب تقراه ولا تمله ، وكتاب لا تكاد تبدأ بقراءته حتى تمله وتضجر منه ، فترميه جانبا مثل الأصدقاء تماما ، فصديق لا تمل صحبته ، وصديق لا تطيق صحبته ، بل تنفر منه نفورا . وكتاب تقراه فتخرج منه بفائدة ، وتعود منه بنتيجة طيبة ، وكتاب تقراه فلا تجد فيه أية فائدة ، ولا تخرج منه بأية فكرة ، أو أية نتيجة تستفيد منها ، والأصدقاء بعضهم تجالسه وتستفيد من مجالسته ، وبعضهم تجالسه وتسمع منه فلا ترى في مجالسته نفعا ، وقد لا تسمع منه الا ما يؤذي الفكر ، ويخدش السمع .

تسمع عن كتاب فتسعى اليه ، وعندما تقلب صفحاته ، لا ترى الصورة التي كنت تتصورها عنه ، يخدعك منه العنوان ، ويغريك فيه الاخراج ، أما المحتوى فلا شيء فيه يدل على العنوان ، ولا شيء يتناسب والاخراج . وبعض الناس تسمع عنهم كثيرا ، وتتكون في ذهنك عنهم صورة يضفي عليها الخيال ألوانا زاهية ، لكنك لا تكاد تراهم ، وتجتمع بهم حتى ترى الصورة الزاهية الباهية بعكس ما كانت مكونة في ذهنك ، وبخلاف ما أضفاه الخيال عليها من ألوان جميلة رائعة .

وتقرأ عن كتاب فلا يثير في نفسك الرغبة في البحث عنه ، والسعي لاقتنائه وقراءته ، لكن حينما تضع الصدف هذا الكتاب بين يديك ، وتبدأ باستعراض صفحاته ، والاطلاع على محتوياته ، ثم تشرع في قراءته تتغير فكرتك عنه شيئا فشيئا ، وكلما أمعنت في القراءة ، ازددت شوقا في متابعتها ، وكلما تغلغلت في قراءته ، تكشفت أمامك أسرار وأسرار ، وظهرت لك أفكار وأفكار ، ولا تنتهي من قراءته الا وتكون قد خرجت بفكرة جديدة ، وفائدة انت أحوج ما تكون اليها ، تماما مثلما تسمع عن شخص فلا يثير فيك الفضول لمعرفته والسعي الى صحبته ، لكن عندما تلتقي به ، وتتحدث معه ، وتصادقه ، تجد فيه الانسان المخلص ، والشخصية المليئة بالصدق والوفاء ، والانسان الفاضل ، المتحمس لمشاكل الحياة ، ومفارقات العصر ، والباحث أبدا عن الحقيقة .

ان عنوان الكتاب لا يدل على محتواه في بعض الأحيان ، وفي أحيان أخرى يضر عنوان الكتاب بالكتاب ضررا بليغا ، كما أن الاخراج لا يدل على قيمة الكتاب الجيد ولا يميزه من الكتاب الرديء ، فبعض الكتب تخرج الى الناس بثوب قشيب جميل ، وورق لامع صقيل ، لكن مادتها رديئة ، ومحتواها ضحل ، وبعضها تصدر باسماء طنانة رنانة ، وعناوين ضخمة فخمة ، لكنها ضحلة سطحية ، بل ربما تكون تجميعا وتصفيفا ، أكثر منها مادة وفكرا .

ومثل الكتب ، الناس ، بعضهم لا تدل عليهم أسماؤهم ، ولا تنم مظاهرهم عن مخابرهم ، أسماؤهم جميلة ، وطبائعهم قبيحة ، وأزياؤهم حسنة رائعة ، وبواطنهم عكس ذلك تماما ، وقد قال الشاعر :ـ

وقد يُخْلِفُ الانسانُ ظنَّ عشيره
وانْ راقَ منه منظرٌ وبهاء

والقاريء الواعي هو الذي يستطيع أن يميز بوعيه الكتاب الطيب ، من الكتاب الرديء ، والكتب مختلفة الأشكال ، متعددة الألوان ، في موادها وفي

محتوياتها ، لكنها كلها أغذية للعقل والفكر والشعور ، تأخذ العقول والافكار والمشاعر منها ما يناسبها ، فتهضمه هضما ، وبعض العقول والافكار والمشاعر لا تتحمل ثمار هذه الكتب المتعددة الألوان ، والمختلفة الأشكال ، وبعضها تتحملها فتأخذ منها ما يناسبها ، وبعضها تأخذ من بعض هذه الألوان والأشكال ما يغذيها وينميها ويطورها ، ولا تستطيع أن تزيد على ذلك شيئا آخر ، ولو زادت لأضر بها ، وأدى بها الى نتيجة عكسية ..

والكتب ما هي الا خلاصة لتجارب الحياة ، وكلما امتدت الحياة بالانسان ازدادت تجاربه ، وكلما ازدادت تجاربه ، أضاف الى الحياة جديدا بهذه الكتب التي يسجل فيها تجاربه الفكرية والعقلية والشعورية . يقول العقاد : (أحب الكتب لأن حياة واحدة لا تكفيني ، ومهما يأكل الانسان ، فانه لن يأكل باكثر من معدة واحدة ، ومهما يلبس فانه لن يلبس على غير جسد واحد ، ومهما يتنقل في البلاد فانه لن يستطيع أن يحل في مكانين ، ولكنه بزاد الفكر والشعور والخيال يستطيع أن يجمع الحيوات في عمر واحد ، ويستطيع أن يضاعف فكره وشعوره وخياله كما يتضاعف الشعور بالحب المتبادل ، وتتضاعف الصورة في مرآتين) .

ان الكتاب بالمفهوم الذي نعرفه ، هو كل ما كتب فيه من آراء وأفكار ، والكتابة انما هي ترجمة آراء الكاتب وأفكاره . اذاً فالكتاب هو مجمّع لهذه الآراء والأفكار ، وقد قال الشاعر العربي :ـ

أقبلت من عند زياد كالخَرِفْ
تخط رجلاي بخط مختلف
تكتّبان في الطريق لام ألف

والكاتب هو العالم بما يكتب ، وقد قال تعالى (أم عندهم الغيب فهم يكتبون ؟) والكتاب هو خلاصة أفكار الكاتب ينقلها الى القاريء ، أو همزة الوصل بين آراء الكاتب وذهن القاريء ، ولهذا وجب أن يكون الكاتب عالما بما يكتب ، والكتاب دليلا على ما سُمّي به ، والا أساء الى القاريء وأضر بذهنه ، وأضاع عليه وقته ، وشوه سمعة الكتاب ، ذلك أن الكتاب أهم وسيلة لتثقيف العقل ، وأروع أداة لتهذيب الفؤاد ، والمعاني الجميلة ، والصور الفكرية ، والأخيلة الخصبة ، من أهم مقومات الكتاب الفكري ، والحقيقة الملموسة ، والواقع الحي ، والحدث المجرد ، من أهم أسباب الكتاب العلمي . فكما أن الفكر يخصب الفؤاد ، فان العلم يقوي العقل أيضا . والكتاب الذي يخلو من العلم أو الفكر ، لا نحسبه كتابا ذا فائدة ، بل لا نحسبه كتابا في عداد الكتب الخالدة مدى الزمان والتي تنقل الفكر والعلم الى الاجيال القادمة . والكتب الخالدة هي تلك التي تفيد الحاضر ، وتمتد فائدتها الى المستقبل ، وتأخذ من الماضي خلاصة التجارب الحية ، تجارب الحياة ، وتجارب الحياة حية بلا شك ، وتفيد بها الحاضر والمستقبل معا . والكتب الخالدة أيضا هي التي توصل فكر الكاتب الى أفكار قرائه ، وتربط ذهنه باذهانهم ، وَتُوجِدُ علاقة روحية بينه وبين القاريء ، سواء كان هذا القاريء في العصر الحاضر ، أو في العصور القادمة .

ان كثيرا من الكتب القديمة ما زالت تمدنا بأسباب العلم والفكر ، وتنير لنا شتى الطرق التي تسلط عليها الأضواء ، وتكشف لنا الكثير من المعاني التي ما زلنا نقرأها ونحس فيها الحرارة والحركة والحياة ،وكتب التراث نقلت الينا الكثير الكثير من العلوم والآداب والفنون ، على مختلف أنواعها ، ذلك لأن بعض العقول تخترق بقوتها وصفائها أسرار الحياة ، وتكتشفها وتسجلها في الكتب ، وتظل خالدة حية مدى الزمان . والعقل الانساني اذا قوي وصفا ، استطاع في كل زمان ومكان ، أن يأتي بالمعاني المستمدة من تجارب الحياة ، والكتب هي حفظة هذه المعاني ، وهي أداة نقلها الى الأجيال القادمة .

وان كثيرا من الكتب ضاعت مع الزمن ، لانها لم تستطع الصمود امام حقائق الحياة ، ولم تكن تحتوي على معاني حية مستمدة من تجاربها ، اما لانها اشتملت على أفكار سطحية تافهة ، أو لأنها لم تحتو على حقائق فكرية ثابتة ، ولا جدال أن كتّاب هذه الكتب لم يتحروا في كتاباتهم الصدق ، ولم ينفذوا بأفكارهم الى المعاني الموجودة في الحياة ، والتي لا يصل اليها الا ذو الفكر النير ، والوجدان الحي ، والعقل الثاقب ، كما نشاهد اليوم أمثال هذه الكتب الضحلة ، التي لا تحوي الا القشور ، والتي تلفق بين دفتيها أقوال الآخرين ، وتحشرها حشرا ، دون رابطة تربطها ، ودون ضابط ينظمها ، فهي كتب سوقية آنية ، لا تصمد أمام حقائق الحياة ، ولا تثبت أمام تمحيص العقل ، ولا تبقى أمام تجارب الفكر ، ولا تدوم أمام كر الليالي ومر الأيام .

وخلاصة القول ، أن الكتب كالناس ، كتاب تقرأه ولا تمل قراءته ، وكتاب تقرأه ولا تشعر بعمقه ، وكتاب تقرأه فتحس بضحالته وسطحيته ، وكتاب تكشفه لك الصدف فتفيد منه ، وكتاب تسعى اليه فيخيب ظنك فيه ، وكتاب يعبر عن فكرة ، وكتاب يروي عن غيره ، وكتاب يأتي بجديد ، وكتاب يجتر الماضي ، وكذلك الناس .

عبد الله زكريا الأنصاري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الحرب..

قصيدة لم تنشر سابقاً
للشاعر الكويتي
الراحل
خالد الفرج

خير كاس للانس كاس الفلوس ... فهي أقوى من خمر كل الكؤوس
أسكرتني الفلوس وهي بجيبي ... فوق فعل الكؤوس وسط الرؤوس
واذا بي اخال نفسي مليكا ... فوق عرش في هيئة الطاووس
وكأني حين ارتديت ثيابي ... قزح في شعاعه المانوس
في يدي ساعة وكل بنان ... فيه فص من كل علق نفيس
وكأني في حليتي ولباسي ... ورياشي بروفة لعروس
امتطي (كدلكا) وآونة في ... (روزرايز) وتارة (مرسديس)
والملايين في الخزائن فاضت ... ذهبا او سفاتجا في طروس
قد اتتني من حيث ادري ولا ادري مجيء الفراش للفانوس
انا كالشمس في الضخامة لكن ... لعلوي ابدو بحجم الفلوس
لو تروني كما ارى انا نفسي ... لكشفتم اسرار ذا الناموس
ليس يكفي بان تقوموا اذا جئت قيام القسوس وقت الطقوس
فالملايين كالسلالم يرقى ... ربها فوق هام كل فليس
فانا اليوم احسب الناس دوني ... ذهبي محتدى واصلي كيسي

●●●

لا تقولوا بانني انا أمي ... انما العلم آلة المرؤوس
لو تعلمت ما يقال لما كنت ... سوى آنة بكفي رئيس
سخر العلم للجهول واهلوه جميعا من سائس ومسوس
هذه خمرة الحياة بحق ... قدست رفعة عن الخندريس

شعر: خالد الفرج



أدب الرسائل



بقلم الدكتور زكي المحاسني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليس في ادب الامم ما يشبه ادب الرسائل في تراث لغتنا العربية ، فان تلك الآداب التي بلغت من الحضارة حدا واسعا ليس فيها ما يشبه « رسالة الغفران » يكتبها صاحبها لصديق له ، او مكاتب فتجيء في كتاب . ولئن كسبنا من ابي العلاء هذه الرسالة ، فانما يعود الفضل في بعث همته — في املائها الى «علي بن منصور بن القارح» ، الكاتب الحلبي المعروف (بدوخلة) الذي بعث الى ابي العلاء برسالة يطرح له فيها مسائل وقضايا تتعلق بالادب والتاريخ والنقد ، واحوال رجال العصر ، في الاخلاق والسلوك، وفي الحكم والعقيدة ، فأجابه المعري بتلك الرسالة الضافية التي كانت مبعثا للحياة الثانية في الحياة الاولى .

وكان منهج ابن القارح في رسالته الى « حكيم المعرة » التي بلغت بضع عشرة صفحة هو طرح الافكار والصور منذ قال له في استهلالتها : (كتابي اطال الله بقاء مولاي الشيخ الجليل ...) ويقول : (وكتبت هذه الرسالة اشكو اموري وما لقيت في سفري من قوم يدعون العلم والادب، والادب ادب النفس . لا ادب الدرس) الى ان يقول : (وهذه صفة معرة النعمان به ، ادام الله تأييده لا خلت منه ومن النعمة عليه) . ويختتمها بقوله : (تمت الرسالة والحمد لله ذي الافضال ، وقد طرزتها بذكره).

وكان «ابن القارح» ، كالقادح لنار المعري ، يطلب الاجابة على رسالته في قوله :

(واذا جاء جواب هذه سيرتها بحلب وغيرها ان شاء الله وبه الثقة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم) .

فيجيبه ابو العلاء مستفتحا « برسالة الغفران » بقوله بعد المقدمة :

(وقد وصلت الرسالة التي بحرها بالحكم مسجور ، ومن قراها فلا شك مأجور) ثم ينهض شيخ المعرة بصاحبه الى عالم الجنان فيطوف به في مقاصيرها ويقول : (وقد غرس لمولاي الشيخ الجليل ، ان شاء الله بذلك الثناء شجر في الجنة لذيذ اجتناء) ويذكر اسمه فيها . فاذا حان ختامها وقد زادت على مئتي صفحة قال : (وانا اعتذر الى مولاي الشيخ الجليل ، من تأخير الاجابة ، فان عوائق الزمن منعت من املاء السوداء ، وانا مستطيع بغيري ،فاذا غاب الكاتب فلا املاء) ويعتذر اليه من الاطالة في الجواب حيث يقول : (ولا ينكر الاطالة علي ، فان الخالص من النضار العين ، طالما اشتري باضعاف من اللجين) .

ولابي العلاء رسائل كثيرة جاءت في كتب وكراريس « كرسالة الملائكة » التي املاها جوابا لمسائل في التصريف القاها اليه بعض الدارسين. وقد اتخذت شكلا علميا ، ومعها الرسالة السندية بعث بها الى سند الدولة صاحب حلب في عهده . اما رسائله التي عني بنشرها نشرا علميا الدكتور « مارغوليوث » اواخر القرن التاسع عشر ، فانها ابداع ينقطع نظيره في ادبنا . وقد خرج ابو العلاء باشهر رسائله الى الكتب التي تؤلف لغرض من الاغراض . وهذه ظاهرة من ادب الرسائل في وحدة الموضوع عند المعري . لكن المعري تعرض لمحنة واحراج للرد على رسالة وجهها اليه المؤيد بالدين داعي الدعاة الفاطمي ببغداد ، وكان قد طرح عليه فيها مسائل تتعلق بالعقيدة الدينية والمذهب الفلسفي ، فكان المعري يحاول التخلص من شباك الفاطمي ويسبغ عليه الاماديح مثل قوله : (اطال الله بقاءه وادام

علاه) . ولا يعلم تاريخنا الادبي ، علما يقينا كيف انتهى امر التراسل بينهما . لكن الملحوظ ان ابا العلاء مارس شدة من داعي الدعاة ، وايقن انه يريد به المعاطب ، على الرغم من طلاوة الاداء الذي ادى به اليه رسالته . وقد كان ما املاه ابو العلاء رسالتين جوابيتين على رسالتي الداعي . وحين وردت من الداعي الفاطمي رسالته الثالثة كان ابو العلاء قد سبقت اليه المنية فلم يمل الجواب الثالث وقد دارت في الرسائل مشاكل ومعاضل كان يطرحها الفاطمي على المعري فيجيب عليها ثم يعاود الفاطمي المناقشة والطرح ، فكان ذلك اخر ما املى المعري رحمه الله.

اما الكاتب العربي الذي تمرس بكتابة الرسائل وجعلها له ديدنا ، فهو ابو بكر الخوارزمي الذي عاش ومات في القرن الرابع للهجرة ، حتى ترك في تراثنا الادبي مجموعة رسائل طبعت طبعة قديمة سنة ١٢٩٧ للهجرة بمطبعة الجوائب في القسطنطينية . وقد بلغت مئة وخمسين رسالة بين مطولة وقصيرة، تناول فيها شؤون الادب والمجتمع والسياسة ، وفيها اخوانيات كثيرة.

وقد وقع الخوارزمي ايضا في محنة من جراء رسائله ، كما وقع ابو العلاء وكان فيها انتهاء الحياة له كما وقع الامر لابي العلاء . فقد ابتلى الخوارزمي بعداوة ند له صلب العود ، مكين اللغة والبيان هو بديع الزمان الهمذاني كاتب المقامات المبنية على التكلف اللفظي والتلاعب المعنوي . وكان لكل منهما طائفة تثير حقده على خصمه . وكانت كل طائفة تجد لذة في قراءة الاجابات ومشاهدة المناظرات وهي لذة ، وان كانت محمولة على الادب ، فلا اجدها تختلف عما يجده الاسبان والبرازيليون حين يمارسون مشاهدة الصراع مع الثيران او ما كان يجده الرومانيون القدامى من اللذة عند مشاهدة الاسرى في حفلات البطشة الكبرى .

وكان مقام الخوارزمي اواخر عمره بمدينة « نيسابور » الفارسية فكثر فيها خصومه من الولاة والاقطاعيين ، فاهاجوا عليه بديع الزمان اهاجة شديدة في الكتابة والمناظرة حتى انخذل الخوارزمي انخذالا جسيما واصابه كدر نفسي قضى عليه ، فمات قهرا خلال ذلك العام الذي اشتدت عليه فيه المناظرة مع بديع الزمان .

وقد اتخذ ادب الترسل عند الخوارزمي شكل المساجلة والمطارحة . اما اسلوبه في رسائله فكان جاريا على طريقة السجع وهو من طائفة الكتاب الصناعيين الذين جروا في القرن الرابع للهجرة على غرار «ابن العميد والصاحب بن عباد» وقد عرفهما الخوارزمي ولقيهما في حياته كثيرا ، وكان من اقرب رفاق الصاحب اليه . اما اسلوب ابي العلاء في ترسله ، فقد كان ضربا من ادائه الفني الخاص به ، الذي مزجه بالسجع المقفى المتواتر .

وقد عرفت آداب الامم في قديمها وحديثها ادب الرسائل وابدع نموذج لهذا الادب هو ما كتبه (آندره جيد) من رسائله منذ اواخر القرن الغابر حتى عام ١٩٣٨، وبادله هذه الرسائل كاتب من الفحول هو (فرانسيس جيمس) وقد جمعت هذه الرسائل ونشرت عام ١٩٤٨ ، كما مارس (آندره جيد) ترسلا اخر مع الشاعر الكاتب (بول كلوديل) . وقد كان بين فرانسيس جيمس والكاتبة المشهورة (كوليت) مراسلات ادبية ايضا .

وعرف ادبنا المعاصر طرازا من الرسائل المتبادلة بين كبار الكتاب ، منها ما كتبه « جبران خليل جبران » من الرسائل الى صديقه « ميخائيل نعيمه » ، وقد استعان (نعيمة) بهذه الرسائل على الحكم في ادب صاحبه وسيرته لا سيما كتابه عنه اذ وجد بين يديه وسائل من تلك النصوص الخاصة لصنع كتاب في حقيقة جبران ، لكنه كان ناقدا عنيفا راح يكشف مساوىء صديقه متخذا من حرية الفكر والادب وسيلة الى تشريحه وتجريحه .

وكان بين « طه حسين » وصديقه « محمد حسين هيكل » رسائل متبادلة في شؤون النقد والادب والفن .

واذا كانت الرسائل قطعة من ادب صاحبها الاديب مثل لحمه ودمه، فقد تكون خير مصادر للبحث . وان في نشرها حال حياتهم امرا يعرضهم للحرج او المحن ، حتى اذا اصبحوا رهنا للفناء ، تسلمت تلك الرسائل يد البقاء ، فحق عليها النشر وجاز اتخاذها سبيلا للحكم ومعرفة المجهول من حياة الادباء .

ولقد اصبح اسم الرسائل عنوانا للكتب الجامعية ودليلا على مجلات في الغرب والشرق ، واقدم هذه المجلات ، تلك التي انشأها معلم الثورة بفرنسة (ديديرو) فدام صدورها حتى اواخر القرن الثامن عشر وقامت بعدها مجلة «المراسل». (Correspondant)

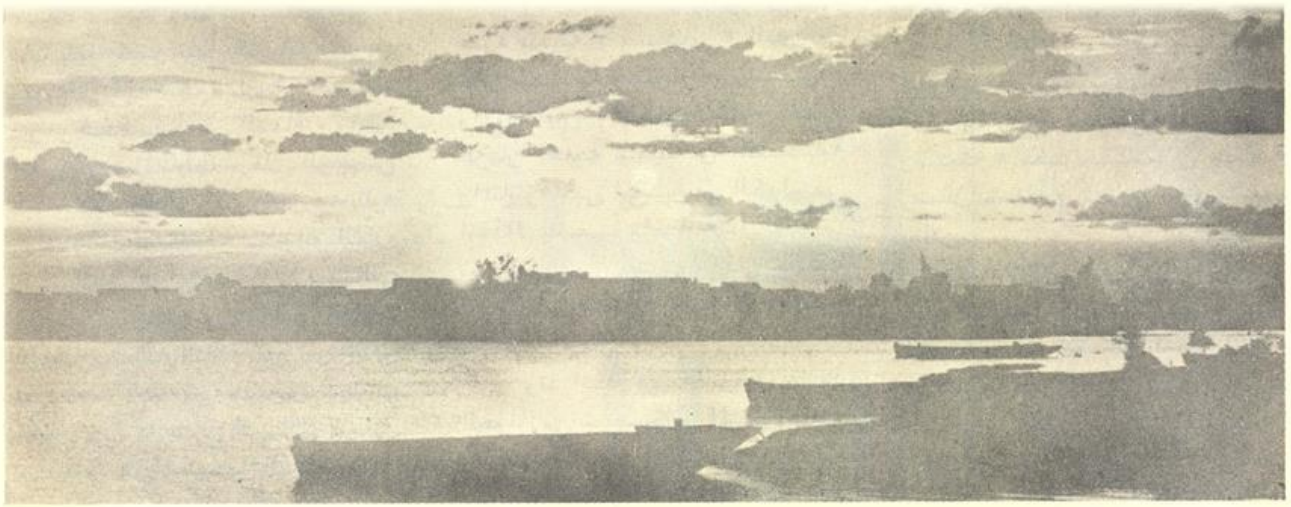
اما في عالمنا الادبي فقد كانت مجلة « الرسالة المصرية » دارة اقلام ومعرض ادب ، عاشت سنين متطاولة وكان لها اثر في ظهور الكتاب والشعراء المجددين .وصدرت بعدها بمصر مجلة (الرسالة الجديدة) وفي لبنان مجلة ادبية تسمى (الرسالة) وكلتاهما تعنى بالادب الحديث .

وبعد فاني اجد رسائل الادباء اصدق صور الادب ، يعكسها اصحابها من نفوسهم على الورق ، ولان لها جوا خاصا يكتبها فيه الاديب ، وهو يغمس قلمه في مداد روحه وعقله على سجيته وحريته جديدة من رسائل مبتدعة لم ترسل الى احد من قبل ، فيها عبقرية الكاتب وادبه الخالد .

دمشق :

الدكتور زكي المحاسني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



المبحرون مع الرياح

شعر
خليفة الوقيان

يا مُبْحِرونَ وفي مَحَاجِرِكُمْ
نهْرانِ من نبعِ الهَوى شُقّا

إنّي لأَلْحُكمْ وإنْ عبَثَا
طَالَ السُّرى بمَتاهَةٍ غَرْقى

أوراقُكمْ في غُصْنها يَبِسَتْ
ويَدُ الشِّتاءِ تُذيبُها سَحْقا

وجُذوعُكمْ عُرْيانَةٌ سَجَدَتْ
والرّيحُ تَحْرِقُ عُرْيَها حَرْقا

أثْوابُكمْ مِزَقٌ ومَا خُلِعَتْ
حتّى مَ فَوْقَ جُلودِكمْ تَبْقى

كَمْ رُحْتُ أَخْلَعُ فَوْقَها جَزَعًا
ثَوْبي ، وكَمْ لِلمُتْهَا رَتْقا

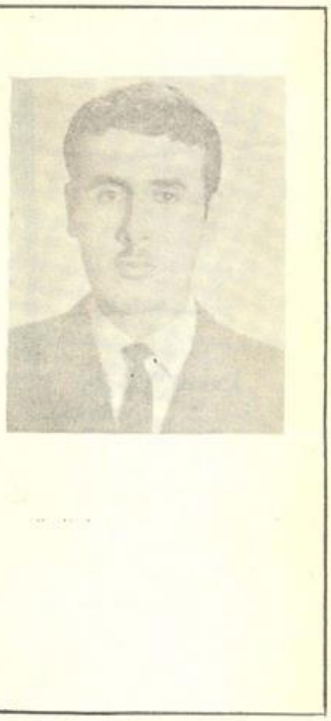
الرّيحُ تَسْرَحُ في شِرَاعِكُمُ
غَرْبًا ، وأُبْحِرُ فِيكُمُ شَرْقا

انّي سَأَرْشُقُكمْ إذا حُرِقَتْ
أَجْفانُكمْ بأزَاهِري رَشْقا

قَلْبي لَكُمْ في كلِّ مُفْتَرَقٍ
زَيْتُ السِّرَاجِ بِلَيْلِكُمْ يَشْقى

خليفة الوقيان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



الرّفض والحبّ في شعر

خليفة الوقيّان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كي نكتب عن شاعر صادق في معاناته .. صادق في معايشته احرفه .. صادق في رفضه لكل سلبيات العالم الذي يحيطه .. يجب علينا ان نكون قد اكملنا عدة نقدنا ، واحسنا استعمال ادواتها . اذ ان هذه المهمة من الصعوبة بمكان يفقدنا احيانا قدرة التعبير عن احاسيسنا تجاه هذا الشاعر او ذاك ..

لذا ، وقبل ان ندخل في حقيقة الموضوع ، اود ان اشير باني لست ممن اكتملت عدة نقدهم . انها مجرد محاولة لتوضيح مسألتين برزتا في شعر خليفة الوقيان :

اولا — الرفض للقيم الزائفة .. ولمجتمع النفاق .. وللخضوع امام جبروت الطغاة .

ثانيا — الحب .. الذي وجدته عند خليفة شفافا نقيا غير مبتذل .

والرفض ، في رايي ، يعني الوقوف عند القمة لا في الحضيض لمراقبة هذا العالم .. ولمعرفة التعامل الزائف الذي يتعاطاه الاخرون ، والقمة هذه هي المنبع الحقيقي الذي تنبع منه كل اللوحات الواضحة التي يجب ان تعلق على جدار العالم المنتظر .

والرفض لا يتأتى الا من ذلك الانسان المخلص لتربته .. المخلص لقضية الانسان والذي نجده دائما يبحث عن راية .. يتتبع اثرها قناعة منه بان هذه الراية ستوصله الى ما يؤمن به وما اراد ان يحققه لمجتمعه .

وسيره وراء الراية التي اختار يحتم عليه ان يقرا فلسفتها ويطلع على الفلسفات الاخرى حتى تكون خطواته واثقة من سيرها ، مقتنعة بقرارها .

والسير وراء الراية لا اعني به الانضمام تحت لوائها والالتزام بلونها .. وانما المقصود هنا هو الايمان بالفكرة التي على ضوئها يرسم هذا المخلص لفلسفته آراءه ومفاهيمه وحججه التي تأتي واضحة عبر شعره وفنه .

ومسيرتنا العربية .. هذه المسيرة المتعثرة المليئة

بالاخطاء والسلبيات اعطتنا صورا واضحة للخذلان وخيبة الامل واليأس ... فقد كثرت الرايات وكادت الوانها تعمي ابصارنا تبعناها الى اخر نقطة من سيرها ، وكانت النتيجة ان انتكسنا وخسرنا المعركة وجرجرنا اذيالنا متهمين بعضنا بعضا .

هذه الحقيقة المرة كانت سببا رئيسيا في رفض الكثيرين من الادباء والفنانين لهذا العالم الخاسر . ولكن ، مع الاسف ، كان الرفض عند الكثيرين من ادبائنا قد اصبح يعني الانعزالية .. والتقوقع والابتعاد عن كل ما يمت لهذا الجيل بصلة . هذا الموقف ساعد في ظهور فئة تدعي التمرد دون ان تدرك لماذا .. تدعي الرفض لكل النظم والفلسفات دون ان تطلع عليها وتدرك اخطاءها .. وحاولت هذه الفئة عن طريق الشعر ان تعبر عن الفراغ الفكري الذي تعاني منه.. وقد ابتعدت عن لغة الجماهير المعبرة عن امالها ، لذلك بدأت توهم الناس بان لغتها المبهمة غير المفهومة انعكاس لمتناقضات العالم وهي البديل الوحيد لكل الفلسفات الخاطئة التي لم تستطع الوصول الى هدفها.

والجيل الغاضب ما استطاع ان يعطي صورة حقيقية لاسباب الرفض ولم يقدم لنا ملامح البديل الذي يقود الجماهير الى المستقبل الافضل . لذا ، نجد ان الغضب والتمرد في هذا العصر اتخذ معان عدة ، واصبح بمستطاع الانسان ان يولد متمردا .

ومن اجل وضع حد لهذه المأساة ، من اجل انتشال الجماهير من هذه الحيرة يحتم علينا ان نصرخ في وجوه الادباء الحقيقيين المعبرين - حقا وبامانة - عن آمال الجماهير نفسها .. الادباء الذين حملوا على اكتافهم احزان ومآسي الناس البسطاء وقدموا من خلال ادبهم البديل الذي به تحل كل مأساة .. الادباء الذين لديهم القدرة على اعطاء كل اسباب الرفض .. اقول ان الواجب يحتم علينا ان نصرخ في وجوه هؤلاء .. ان مزقوا اكفانكم وانهضوا .. اذ ان صمتهم كان عاملا مساعدا في احتلال معظم صفحات المجلات والصحف العربية من قبل المتمردين الجدد وتحويل لغة الغضب الى هلوسة .

ان لغة الجماهير .. هي الوحيدة التي تستطيع ان تقنع الاخرين بغضبنا وتمردنا على هذا العصر .

في مسرحية صلاح عبدالصبور الشعرية (مسافر ليل) ، يقول عامل التذاكر :

هذا أمر آخر
نتداول فيه فيما بعد
لكنه الموضوع
ان الله تخلى عن هذا الجزء من الكون
لا يعطينا شيئا قط
لا ينظر في هذي الناحية كما كان



بقلم
فيصل السعد

قلنا :
ماذا حدث لنا ..؟
قالوا :
احدهم قد قتل الله هنا
ولهذا فهو يخاصمنا
اعني طبعا احدهم قد سرق بطاقته الشخصية
وانتحل وجوده
قلنا
نبحث لكن في السر
وبحثنا
راجعنا كل ملف
سجلنا كل مكالمة تلفونية
صورنا كل خطاب
امسكنا بالآلاف
عذبنا عشرين لحد الموت
وثلاثين لحد العاهة
وثمانين الى حد الاغماء
لكن لا جدوى

بهذا الاسلوب السلس المبسط استطاع عبد الصبور ان يعبر عن رفضه لهذا العالم الذي قتل فيه الله .. هذا العالم الذي لا يذكره الله بشيء .. وقد استعمل هذه الصور ليبتعد عن ذكر نفاق وكذب وزيف المجتمع الذي يحيطه ، اذ ان القوم الذين يخاصمهم الله .. يعني بهم الشاعر القوم الذين ابتعدوا عن الصدق .. عن الاعتراف بالحقيقة .

واشارة الشاعر الى التعذيب حد الموت وحد العاهة وحد الاغماء تعني انه يرفض هذا العالم لان النظم التعسفية مازالت سائدة في بعض البلدان .. ومازالت حصة الانسان الحر منها هي السجون والسياط والتعذيب .

وخليفة الوقيان اتبع الاسلوب نفسه .. انه لم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يعلن رفضه صراحة .. ولكنه يعايش بسطاء مجتمعه .. يعاني ما يعانون .. يكتب عنهم ولهم ..

ولكن صورة رفضه تزداد وضوحا عندما نجده في قصيدة (المبحرون مع الرياح) يرسم كل انفعالاته الصادقة والمتأتية من الضيم الذي لاقاه نتيجة مسايرته للمبحرين بلا هدف ولا هوية . انه استطاع ان يصور لنا جمود الفكر وعفونته ، والتعمد في ابقاء الارجل العربية مراوحة فوق الاشواك .

يا مبحرون وفي محاجركم
نهران من نبع الهوى شقا
اني لالمحكم وان عبثا
طال السرى بمتاهة غرقى
اوراقكم في غصنها يبست
ويد الشقاء تذيبها سحقا
وجذوعكم عريانة سجدت
والريح تحرق عريها حرقا
اثوابكم مزق وما خلعت
حتى م فوق جلودكم تبقى
كم رحت اخلع فوقها جزعا
ثوبي وكم لملمتها رتقا
الريح تسرع في شراعكم
غربا وابحر فيكم شرقا
اني سارشقكم اذا حرقت
اجفانكم بازاهري رشقا
قلبي لكم في كل مفترق
زيت السراج يلملم بشقي

وهكذا نجد الشاعر قد حاول ان يكمل الطريق معهم .. حاول ان يوهم نفسه بان الضوء سيأتي .. ولكنه ورغم حبه للمبحرين ما استطاع ان يصمد ويكمل المسيرة التي لا نهاية لها ولا هدف .

اثوابكم مزق وما خلعت
حتى م فوق جلودكم تبقى

ولهذا ، فنحن نجده قد اتخذ لنفسه طريقة بحث مستقلة عله يجد بواسطتها دربا اكثر اضاءة .. للمعدمين الحيارى وله .

حدث البسطاء .. عانى من اوجاعهم .. ترجم احاسيسهم الى شعر .. واذا كان الشاعر امل دنقل قد اعتبر غضبه على الجيل موقفا رافضا :

ها نحن يا اأيلول
لم ندرك الطعنة
فحلت اللعنة
في جيلنا المخبول

نجد خليفة الوقيان قد ادرك تماما بان الكف الواحدة لا تستطيع التصفيق .. وانه يدرك ايضا بان السير باصرار ورغم التعب يساعده على ابعاد شبح اليأس .. ويزرع في صدره امل النور المنتظر:

سرت بالامس كئيبا صغبا
مجهد القلب بدرب الحائرين
حيث يرخي الليل في هدأته
ظل ثوب اسود النسيج حزين
عل روحي ان ترى من ظمأ
خيط نور في دروب المدلجين
فلكم انفقت ليلي تائها
اسأل الاقمار عن سر دفين
الف سر في فؤادي حائر
أيتني اهتك استار القرون

وعندما يتسلق الاقزام اكتاف العمالقة ويضطر الانسان الحر الى الاقرار بهذا العلو المزيف .. الذي قال عنه المتنبي :

وقد يتزيى بالهوى غير اهله
ويستصحب الانسان من لا يلائمه

نجد خليفة الوقيان يصرخ بصراحة .. راسما صور هؤلاء الذين ارتووا من ظمأه ورقصوا على جراحه :

رب قوم ثملوا من المي
وارتووا من ظمأي في كل حين
كلما عبدت دربا عبروا
ولكم فوق ضلوعي يعبرون
وانا المصباح في جوف الدجى
كم على نوري يسري التائهون
غير اني في سبيلي لم أزل
ضائعا تعصف بي ريح الحنين
كيف لي ان اهتدي في عالم
طمس الشك به كل يقين

وهكذا يبرز خليفة الوقيان شاعرا متمردا انتزع آخر خيط لثقته من رداء الذين خططوا ورسموا مستقبل هذا المجتمع .. دون ان يمسوا الجرح الذي ما زال ينزف .

وهذا التعامل الحي مع مآسي المجتمع يعطينا نتيجة واضحة وهي ان الشاعر استطاع ان يجمع شتات احاسيس البسطاء في اعماقه ليفرزها شعرا معبرا باحثا عن الداء الحقيقي لهذا الجرح الموجع .

ان لغة بسطاء الناس هي التي يجب ان تسود ادبنا وخاصة الشعر . اذ ان الشاعر الذي التزم قضايا المجتمع وجعل من ادبه رسالة يحاول بواسطتها الوصول الى قلوب الاخرين ويساهم في عملية انتزاع حقوق الانسان المغتصبة .. يجب عليه ان يخاطب الجماهير باللغة التي تفهمها ، اللغة التي تزيدها وعيا وادراكا لواقعها المر .

ولغة التحدي في موقف الرفض يجب ان تتميز

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بالطابع الواضح الصريح . اذ انك عندما تكون امام عدو شرس لا يعرف لغة غير لغة السياط والارهاب او استمالة البطل من اجل امتلاك كرامته واذلاله .

عندما يكون امامك عدو كهذا وجب عليك ان ترسم موقفك بوضوح .. ان تصرخ بوضوح ، تتحدى بصلابة وبلا خوف .. واصرارك هنا سيجعل عدوك يحس وجعه كما تحس وجع السياط ، اصرارك هنا سيترك وشما في قلب عدوك كوشم سياطه على جلدك :

ما كل امر اذا أرضاك يرضيني
وليس دينك فيما تبتغي ديني
يا حابس النور عن عيني من سفه
ومسدل الليل كهفا كاد يطويني
هل انت تبلغ نفسي حين تأسرني
ام انت تملك روحي حين تعميني

ان اعطاء الفكر هذا الزخم وهذا التمسك يقودنا الى ان نكران الذات من اجل الاخرين .. والايمان بهذا الموقف هو الذي يغرز الصمود في اوردة الابطال .. الذين تغنوا بامجاد شعوبهم وهم تحت السياط .. غير آبهين .. بوجع الجراح ..

والبطل هنا يكون اكثر ذكاء من عدوه .. فهو قد رسم في ذهنه جميع تحركات العدو عرفها وادرك معانيها :

طورا اراك بسوط الجور تجلدني
وتارة تبتغي ودي وتغريني
ان كنت تملك شيئا لست املكه
فان لي عنك كنزا بات يغنيني

والفكرة التي يتمسك بها البطل .. تكون اشبه بالافق الفسيح الذي يعوضه عن جدرانه الاربعة :

لي عن شموسك نور استضيء به
ومشعل في دروب العمر يهديني
يقودني لسبيل لست تعرفه
وغاية من وراء الليل تدعوني

واخيرا ، فان خليفة الوقيان الرافض استطاع ان يعطينا صورا لسلبيات هذا العصر ومساوئه .. واستطاع ان يضع ايدينا على الجرح الذي خلفه الطغاة في قلوب المظلومين :

الجرح الذي من اجله رفض خليفة عصره ... الجرح الذي حمل خليفة على البحث عن الدواء الحقيقي والشافي لمآسي البؤساء ..

يا زارع الشوك في دربي تيوهنني
اني ارى الشوك بعضا من رياحيني
فلا حصونك بعد اليوم تحبسني
ولا سياطك عما رمت تثنيني
اكاد اسمع لحن الحب يغمرني
خلف المسافات عن قرب يناديني
اني عشقت خيوط الشمس تنسجها
سمر السواعد بين الماء والطين
اني عشقت الصباح العذب ترسمه
فوق المحاجر صيحات المساكين
لتدفن الليل في اسمائه مزقا
وتجعل الارض حبلى بالبراكين

اما الجانب الاخر الذي وددت الحديث عنه وهو الحب في شعر خليفة الوقيان ، فقد برزت فيه الرومانتيكية التي تنسج حولها خيوط احلام الشاعر .

خليفة الوقيان رغم واقعيته في محاكاة الاخرين .. رغم غرقه في مآسي واحزان البؤساء .. نجده عندما يخلو ضائعا لا يفقه كنه السراب الذي امامه .. والفراغ الذي انتشر في اعماقه :

وانا المصباح في جوف الدجى
كم على نوري يسري التائهون
غير اني في سبيلي لم ازل
ضائعا تعصف بي ريح الحنين

انه يضيع مع الذات .. ولا يستطيع التعامل معها تعاملا واقعيا اذ ان ما انتشر حوله .. من زيف ونفاق وظلم جعله لا يستطيع ان يرى نور ذاته الا في الاحلام . وكون الحب مسألة ذاتية بحتة .. نجد الشاعر قد غرق في احلامه .. وحمل اطاره الذي هو عبارة عن شروط .. ومقاييس للجمال عند الشاعر .. فالجمال لا يفهمه خليفة كالاخرين :

لا اريد الجمال وردا بخديك
ولا فاحما من الشعر اسود
لا اريد الجمال وردا نضيرا
لا اريد الهوى طريقا معبد
الهوى في دمي ضياع وبعد
وارتحال وعالم يتجدد

اجل ، فخليفة في مفهومه للجمال يرى ان الغوص في ذات من يحلم بها ومعرفة روحها وسعيها في سبيل الوصول الى التآكل الانساني هو في حقيقته الوجه المشرق الذي يبحث عنه .. اي انه يبحث عن اللب لا عن القشور .

نزار قباني استطاع ان يجعل من شعره معبدا لكل النساء .. يسجدن عنده بخشوع ، ونزار قباني صاغ حول نفسه حكايات سوقية ولكنه رغم سوقيتها ورخصها تجعلك تحس بلذة وانت تقرا .. واللذة ما ولدت من قصص نزار .. وانما جاءت من النقل الدقيق والتمكن الجيد من رسم الصورة المعبرة .

وان ينقلك الشاعر نقلة حقيقية الى الجو الذي كتب في قصيدته .. ان يشعرك هذا الشاعر بانك امام مسألة تمارس حقيقة سواء في الحب او الجنس او

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النضـــال .. يعني هذا انه استطاع ان يصل القمة .. يعني هذا انه استطاع ان يصل الى قلبك ..

اما خليفة الوقيان فهو ما زال يعيش حـــالة ضياعه ، ما زال مقتنعا بان الصورة غير المتكاملة للمراة والتي يراها امامه دائما جاءت كنتاج طبيعي لحالة النقص التي يعيشها المجتمع ككل ..اذ ان من الصعوبة بمكان ان نجد المراة المتكاملة في مجتمع هو نفســه بحاجة الى اجـــراء عملية غســـيل للتخلص من عيوبه وسلبيته وغروره .

لذا ، فالشـــاعر في مرحلته هذه نجده يحمل المحـــال في اعماقـــه ويبحث عمن تنتزعه ، وتـــزين اطـــاره :

احبـك شـــيئا يفوق الجمـــالا
يمـــزق في ناظـــري المحـــالا
وحلمـــا يرف عـــلى كل جفن
ويابى اذا مـــا دنا ان يطـــالا

وقد برزت في شعر خليفة انانيتـــه في الحب .. وخصوصية هذه المســـالة تكون مشروعة لقدســـيتها ونقاوتهـــا :

اريـــدك ســـرا ولست اريـــد
لســـرى بين الـــورى ان يقـــالا
واهوى بعينيـــك اتف ســـؤال
لاني اريـــدك عنـــدي ســـؤالا
اريـــدك شـــيئا بعيـــدا بعيـــدا
يحـــاذر ان يجتنى او يطـــالا
اريـــدك في الحب شـــيئا كبـــيرا
لاني عشـــقتك يومـــا خيـــالا
اذا كنت لي كل هـــذا الجمـــال
فاني ســـاعشق فيـــك الجمـــالا

وهكذا نجد الشـــاعر ينفرد في تغنيـــه بالحب .. لانه قد وضـــع طقوســـا ومقاييس معينة هي ذاتهـــا في نظـــره تعني الجمـــال .

هنـــا في شعر خليفة تذوب القيم التي يفرضهـــا الشـــكل والتقاطيع والمسحة .. والشـــعر والطول والقصر والى اخره ..

الجمال عنده يعني العمق .. النقاء .. الوثوق .

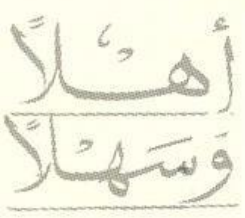
الجمال عنده يعني الانسان .

اجل ، خليفة يبحث عن الانسانة المتكاملة .. عن المراة الواعيـــة .. التي باستطـــاعتهـــا ان تتفهم متطلبات هذا العصر .. ليضعها وسط اطاره ويعتبرها قمة الجمـــال الذي يبحث عنه . ولقنـــاعته باستحـــالة الحصول على المراة التي تملأها هذه الشروط ، نجد ان مســـالة البحث عند الشاعر تظل غائبة .. لا تزوره الا في الاحلام .. مســـالة البحث تظل تمثل عند الشاعر اطيـــافا تداعب اجفـــانه .. لا يستطيع لمسها او التحدث اليهـــا :

لا زورة منـــك تشـــفي ما اكابده
من الحنين وتطفي غل اقـــدامي
ولست يومـــا الى مرآك مهتديـــا
ولو جعلت من الاقمـــار مصباحي
من انت يا حلمـــا قد بات محتجبا
في مهمه من سراب الغيب منـــزاح
كيف الســـبيل الى دنيـــاك يا املا
من عـــالم بشـــذى الاسرار فواح

واخيرا ، فان هذا الشاعر بحاجة الى دراســـة اوسع .. ولكن ضيق الوقت هو الذي اضطرني الى عدم الحديث عن الشكل عند خليفة والاكتفاء بالحديث عن المضامين التي حوتهـــا قصائد هذا الشاعر الشاب .. وارجو ان اكون قد وفقت في توضيح ما اردت قوله .

فيصل السعد



يســـعد مجلة (البيان) ان يتسلم سكرتيرية تحريرها ـــ ابتداء من عددها هذا ـــ شـــابان جامعيان مثقفان ، من ابناء الكويت ، متحمســـان للاضطلاع بخدمة الرســـالة الســـامية التي تؤديها المجلة في ســـبيل رفع شـــان الفكر والادب في الكـــويت . ونعني بهما الســـيدين الكريمين :

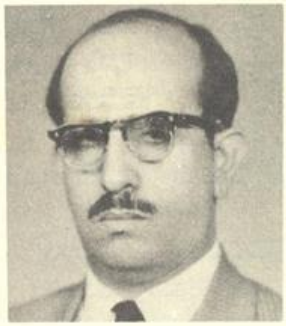
ـــ خليفة عبدالله فـــارس الوقيـــان
ـــ خالد عبدالكريم الهلالي

فمرحى لشبابنا النـــاهض ساعيا في ميدان خدمة بلده الكويت ، وامته العربية .

(البيان)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العقرب



شعر: عبدالله سنان

حَجَّتِ العَقْرَبُ في مَاضي السِّنين
تَسْأَلُ الغفْرانَ بين السّائلين

وأتتْ زمْزمَ لا تلْوي على
سيء واتّزَرتْ كالمُحْرِمين

وَسَعَتْ سَبْعاً وطافَتْ مثْلها
وأتتْ تقصدُ رمْزَ المسلمين

وَعلى الكَعْبةِ ألْقَتْ نَفْسَها
في بكاءٍ وَعَويلٍ وأنين

وغَدَتْ تعلنُ في تَسْآلها
انّها تابتْ عن اللّسْعِ المشين

وغَدَتْ تَسْتَغْفِرُ اللّهَ على
ما مضى منْ لسعها للآخرين

ومشَتْ مظهرةً تَوْبتَها
في خشوعٍ في ركاب التائبين

ورآها الناسُ في تَطْوافِها
ولها في الزّهد شَوْقٌ وحنين

لَبسَتْ ثَوْبَ مسوحٍ وانْزَوَتْ
عن عُيونِ الحاسدين الحاقدين

تَقْرأُ القُرآنَ تَرْتيلاً إذا
ما سَجَى اللّيلُ لِرَبِّ العالمين

* * *

مرَّ عامٌ وهي في عُزْلَتِها
تَعْبُدُ اللهَ وتَرْعَى البائسين

فَخَلَتْ تَسْتَعْرِضُ الماضي الذي
كمْ بهِ أذْكَتْ قلوبَ الآمنين

واسْتَعادَتْ ذِكْرَ أيّامٍ خَلَتْ
وَزُبانَاها على الظّهر اللّعين

يَوْمَ كانَ السّمُّ تُلْقيهِ هنا
وَهُنا بينَ هَزيلٍ وسمين

وَهُنا حَنَّتْ الى أيامِها
وبها من شره الحقدِ الدّفين

وَمَضَتْ تَلْسَعُ حتّى وَثَبَتْ
فَوْقَهَا النّعلة بالضّرْبِ المهين

* * *

إنّ طَبْعَ السّوءِ من أخْلاقِها
لمْ نَجِدْ عنهُ شمالاً أو يمين

كامِنٌ كالنّارِ في صمّ الصّفا
هكَذا طبْعُ اللّئامِ الأرْذلين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثلاثة أصوات شعرية من الكويت



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تقديم :

« هذه الكوكبة من شباب الكويت المتوثب ، يحاولون ان يغيروا على مسابح النجوم ، بحثا عن الجديد الاصيل المبتكر ، ويجهدون من اجل ان يصيدوا من واقع مجتمعهم ، من قلب تقاليده ومعتقداته واساطيره وموروثاته ، رؤية جديدة للحياة ، واطلالة منفتحة الآراء والمعتقدات ، هؤلاء هم امل الكويت في حاضرها ونموها ، تطلعا الى تاصيل ادب عربي في الكويت ينفجر قصة ومسرحا وقصيدة ، وتعميق الرباط الحضاري المشترك ، يشدنا الى الكويت ويشد الكويت الينا ، اينما كنا من الوطن العربي الكبير .

كوكبة جريئة مندفعة ، لا ينقصها حماسة او ايمان ، تضم قافلتها : علي السبتي وخالد سعود الزيد ومحمد الفايز ومحبوب العبدالله وسليمان الشطي وعبدالله العتيبي وصقر الرشود وعبدالرحمن الصالح — اضع اسماءهم دون ترتيب مقصود — واخرين لا تسعفني الذاكرة الان بأسمائهم ، واين كانوا جميعا ، يملأون الكويت ، ابداعا وفاعلية .

بين يدي ثلاثة دواوين شعرية . لثلاثة من فرسان هذه الكوكبة : علي السبتي وخالد سعود الزيد ومحمد الفايز . احاول من خلالها النفاذ الى اجواء هذا العالم الجديد الذي يصنعه شعراء الشباب في الكويت . والتعرف على ملامح هذه الحركة الشعرية — التي لم تنفصل عن مثيلاتها في بقاع الوطن العربي — خاصة العراق ومصر — والتي استطاعت ان تتكيء على تراثنا العربي الزاخر بالكنوز . منطلقة منه الى هويتها العصرية . وملامحها وسماتها الجديدة ، مضيفة نغمة جديدة الى سيمفونية النغم العربي . وشراعا جديدا الى سفينة الادب العربي . ولبنة جديدة الى بنيان الفكر العربي المعاصر ..»

●●

والآن .. الى الديوان الاول من هذه الدواوين ..

.. ..

١

ايقاع الغربة في ديوان "بيت من نجوم الصيف"

بين الغربة والاغتراب ، تدور معظم تجارب الشاعر علي السبتي في ديوانه «بيت من نجوم الصيف». ان الشاعر دوما في حالة رحيل وهجرة وفرار من الارض الخراب ، من الارض الموحشة ، من ارض المال والتماثيل والرجال المجوفين ، وحين تضطره ظروف الحياة الى العودة من جديد لملاقاة هذا الواقع ، ومعايشته — رغما عنه — ، عندئذ تتفجر الجراح ، ويتدفق الاسى ، شعرا حزينا ، قاتما . غائم الرؤى، ليس حادا وليس قاطعا ، ولكنه كطبع الشاعر المرهف ، يشير الى الضحية والقاتل دون ان يحمل السكين ..

والشاعر لا يتركنا نكتنف هذه المربة ، او هذا الاغتراب في شعره ، بعد طول تأمل او امعان نظر ، انه — على العكس من ذلك تماما — لايحجبشيئا عنا ، فهو يصادقنا ويثق بنا ، ويفتح لنا قلبه مباشرة ، ويقول : هنا مواطن الجراح ، هنا مواضع الالم ،

ها انا وحدي ، لا ملح ولا خبز شهي
تنهش الغربة قلبي ، آه يا قلبي الشقي
كتب الهم — لك العمر — فرو الارض بالدمع السخي
انت في وادي الافاعي ،
فاحتملها ، لا تقل آها
فآهاتك من يسمعها ؟
من ترى يسمع آهات نبي ...

البساطة الشديدة الآسرة ، المتمثلة في هذا التقديم الشعري السمح ، يضعه الشاعر بين ايدينا وكأنه يقول لنا : هاكم حقيقتي ، وحقيقة آلامي .. هاكم مفتاح نفسي الحزينة ، انه الغربة ، غربتي عن ارض لا تفهمني ، ولا افهمها ، وعالم لا انتمي اليه ، وان بسط ظله علي ، ووجود قاحل هو صحراء حياتي وكنت احلم ان يكون واحة امني واستقراري ..

« العودة » اذن هي النغمة الاولى في لحن (الغربة) الاساسي .. انها الدندنة الاولى التي تفجر دائما في وجدان الشاعر احساسه بالارتطام المفاجيء مع الواقع الذي يرفضه ، ويتجاوزه ، وحتى ينضبط (المقام) في كل مرة يعزف فيها الشاعر بدمه واعصابه ، فلا بأس من هذه الدندنة الاولى ،التي يقدم بها لذروة المأساة ..

عدت من جنة احلامي الى الارض الخراب
عدت للدار التي تصفعني بابا فباب
عدت يا قبر الشباب
مرغما يسحقني القيد يدمي معصمي
ماتت الامال في روحي فلا شيء لدي
غير ذكرى تومض الضوء
تسقى الحلم الذاوي
تهز الامل المطعون في اغوار نفسي
آه من اين التآسي
وبحار بيننا تفصلنا
والشواطي لم تعد تومي لنا
بيتها شط ومثواي قصي ...

هذه الدراما الحزينة الاسيانة ، ليست فقط



بقلم
فاروق
شوشه

واقع الشاعر او حضوره اليومي ، في مواجهة اللقاءات المتتابعة التي يصطدم فيها بمدينته كل يوم ، واثر كل عودة من اسفاره وترحاله ، لكنها ايضا تترك ظلها الشفيف ، المندى بالدموع ، على كل تاريخ الشاعر ، اذا ما افلت من بين اصابعه لحظة مرتعشة ، تنفس من خلالها المخبوء من ماضيه وامسه، فاذا كل تاريخه احزان ، واذا كل ايامه التي ولت .. دموع :

ويسحقني سؤالك ، كيف قضيت الزمان المر
انا ما كان لي زمن
وتاريخي هو العفن



زمان لست فيه انت احسب انه ما مر
وحيدا عشت بين الآه والآهه
وخلفت الليالي السود في مجرى دمي عاهه
تركتك فاستحالت شمس ايامي
غياهب لا ارى فيها سوى اشباح
تثير الرعب في روحي
وتذهب في مهب الريح انغامي ..

فهل يستسلم الشاعر ؟

هل يلقي المجذاف من بين يديه ، مستكينا لهبات الاعاصير ؟ هل يتآكله اليأس المضني ، بعد ان امتلأت نفسه ، وطفح الكيل ، وليس ثمة بارق امل ، في الحياة والاقدار والناس ..

كلا ...

ان الشاعر باق على ارضه ، وفي صميم واقعه، يدوس الخراب ، ويستعلي على الاحزان ويلملم بقايا ضلوعه المهتصرة ، متماسكا ، صلبا ، مواجها الظلم والظالمين ، والسجن والسجان ، حالما بغد افضل ، بعش يضمه هو ورفيقته على الدرب ..

انا يا حلوتي ان شبت النيران
فلي مطري الذي لم تعرف الغدران
يحيل خرائب الدنيا ، بعيني حلوتي بستان
انا باق ، وبيتي لم يزل فينان
اشد يدي على كفيك .. نحطم ما بنى السجان
ونخلع حائط الزنزان
ونحفظ عشنا ابهى من النسرين والريحان
وتشرق في سماوينا .. شموس ثرة الالوان

وهنا ، لا بد من سؤال :

من اين نبعت هذه الغربة في شعر علي السبتي؟ كيف تحولت رؤيته الشعرية الى مواجهة حارة ساخنة بينه وبين واقعه من خلال احاسيس الاغتراب .. كاشفا عن امراض هذا الواقع وعلله واوصابه في تعبير شعري رائق ، ولغة حارة متوهجة ، وشفافية آسرة.

الاجابة ، نجدها في قصيدة (قديمة) ، نسبيا ، بين قصائد الديوان . وان تكن من اهم القصائد واكثرها دلالة ، على التراكمات التي يمتلىء بها وجدان الشاعر ، والتي سببت عقدة الغربة والاغتراب،وفتحت عينيه ، في حدة وعنف ، على حقيقة التناقضات التي يزخر بها واقعه ، عندئذ يملك الحب من يملك المال ، ويختلس المحبوبة من، حبيبها الشاعر رب الكاديلاك الذي اختلس دموع الناس ونشر الدمار في المدينة ..

اذن ، هنا بيت القصيد ، او مربط الفرس كما يقولون .. هنا يكمن الشر الذي يدور الشاعر من حوله ويدور ، مغنيا ، منشدا ، رافعا اعلامه ، او طاويها ، راحلا او عائدا :

بمن انشغلت رباب قولي لا تحابي
ابشاعر حلو القوافي ذي اغاريد عذاب
اما تغنى ، تطرب الدنيا وتهتز الرحاب
غناك اروع ما لديه فانت فينوس الجميله
ابهى من القمر المشع يطل من خلف السحاب

ثم يجيء بيت القصيد (بل ابيات القصيد) :

ام بالغنى المترف الرحب الجناب ؟
رب القصور تطاولت حتى السحاب
والكاديلاك تجوب انحاء المدينه
تحكي على الدنيا حكايات حزينه ..
تروي حكايا الظلم والعرق المذاب
قصص امتلاك المال من تعب الشباب

ثم تجيء الصرخة الاخيرة من الشاعر محذرا ومنبها .

رب الكاديلاك الجميلة يا رباب
نشر الدمار بأمتي .. نشر الخراب
من دمع هذا الشعب راح يعب كاسات الشراب

..

هذا الوضوح القاطع هو السمة الاولى في قصائد هذا الديوان . ان الاعماق البعيدة تكشف عن نفسها من خلال صفاء الرؤية وصفاء التعبير ، فلا نحتاج الى غواصين مهرة لنضع ايدنا على لآليء القاع .. من خلال هذا الوضوح الساطع يكشف الشاعر — في بصيرة وذكاء — عن معدنه الاصيل النقي .. انه واحد من الكادحين .. حفيد بحار .. له نفس اخلاق الملاحين من شمم وكبرياء وعزوف عن الصغائر .. يتمثل القيم النبيلة ويمارسها ، فلا يسرق المال الحرام ، ولا يبهره ما يسمى بالدم الاصيل ، والاصل العريق .. لان شرف العمل ، وشرف الحياة قد ساوى بينهما .. لذا فهو لا يعيش على فتات المترفين ولا يسرق لذاذة من نائمين ..

هل هناك (مانيفستو) اروع من هذا البيان في مواجهة مجتمع الشاعر وواقعه ، لكأني به احد الاصوات القادمة الينا من عصر الصعاليك . عصر الابطال الاول في المجتمع العربي القديم ، يثورون على الظلم ، ويواجهون الظالمين ، ويرفضون العبودية والقهر الاجتماعي .. ويسعون من اجل حياة عادلة للجميع ..

انا يا حبيبة لست انكر ان حبك في دمائي
لكن لي شممي وشامخ كبريائي
اخلاق ملاحين تحرس لي ابائي
رغم العذاب يسوطني في كل آن
وبرغم ما القاه منك من المودة والحنان
تأبى دمائي ان تعيش على فتات المترفين
او ان الص لذاذة من نائمين
انا من عرفت ولن يغيرني البعاد
سأضم جرحي بين اضلاعي واحلم — في الرقاد —
بغد يذوب به جدار الثلج في كل البلاد
لا فرق بين حفيد بحار وذات «دم اصيل»
والمجد للانسان .. لابن الكادحين
لحفيد بحار يجوب البحر في الليل الطويل
لا يسرق المال الحرام من الجياع البائسين

الشاعر اذن يتستر بهذا البيت من نجوم الصيف، وكأنه يوهمنا انه ليس صاحب (قضية) لكن قضيته هي قضية الواقع من حوله ، بكل صدقه وتناقضاته .. وهو يصل الى مرحلة الوعي الكامل بابعاد هذه القضية من خلال معاناته الذاتية لتجربة حبه .. ان تجربة الحب هي التي عمقت فيه شعور الغربة والاغتراب . وهذا بدوره قاده الى التعرف على حقيقة دوره في واقعه ومجتمعه فكان الشاعر الانسان صاحب القضية .. وما انبلها مسيرة ..

..

يصعب ان يتناول المرء شعر علي السبتي بالتحليل والدراسة ، خاصة في هذا الديوان ، دون ان يتعرض للعلاقة العميمة الوثيقة التي ربطت بينه وبين الشاعر العراقي الراحل بدر شاكر السياب . لقد انعكست هذه العلاقة العميمة في شعر علي السبتي ، وفي ثنايا روحه ، وفي القاع البعيد من وجدانه ، حتى انا لنظلمه لو نحن طالبناه بالتخلص من هذا الاثر او الانعكاس.. ذلك ان وجود هذا الاثر هو دليل صدق علي السبتي ، شاعرا وانسانا . ولقد اتيح لي — خلال وجودي في الكويت — ان اكون احد شهود فصول هذه الملحمة النادرة التي عاشها السياب في اخريات ايامه وساعاته ، ومن خلالها كانت فصول الملحمة النادرة من النبل الانساني كما جسدها ابو فراس .. رفيقا للسياب ، وصديقا ، واخا ، وراعيا له ولاسرته . هذا شيء اتركه للتاريخ ، فقط اشير الى انني احد شهوده ، لكن الذي يهمني الان هو الاشارة الى هذه الروح المتقمصة التي تجسدها علي السبتي من خلال التصاقه بالسياب : الشاعر والانسان في مرحلة احتضاره ، ان شيئا شبيها (بالحلول) الذي يعانيه المتصوفة وهم منغمسون في لهيب الوجد الالهي ، هو ما عاناه ابو فراس من خلال هذه التجربة الانسانية النادرة المثال .. الا تجدون السياب بلحمه ودمه من خلال هذه الابيات :

الليل اقبل والاشباح ترعبني
والذكريات سياط النار تلسعني
حتى م ابقى ونار الهم تحرقني
انا الغريب بوجهي سدت الابواب
كل الدنا غربة ..
انا بانتظارك يا دمار فخذني
ارتاح من همي ومن آلامي

..

تعيسا عشت مصلوبا على بابي

الا يذكرنا هذا بقصيدة السياب الخالدة : (رصاصة الرحمة يا اله) ..

ان حالة من التقمص النادر المثال هي التي تستولي على شاعرنا ، مجسدة في وعيه ولا وعيه معا مأساة السياب ، وحقيقة معاناته .. ومرة اخرى، يبزغ هذا النجم الهادي في رحلة الشاعر .. انها (الغربة) تجمع بينهما من جديد ، بل ان «كل الدنا غربة » لكن ايقاع الغربة هذه المرة ايقاع اكثر ضراوة ، واكثر حدة ومأساوية .. ان غربة السياب امام الحياة والموت ، ازاء الاهل والوطن ، توقظ في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اعماق شاعرنا مأساة غربته الخاصة ، لتلتحم الغربتان وتتداخلا .. فيساقط من فم (السبتي) هذا الشعر (السيابي) الحزين :

سأمضي مثلما قد جئت لا حب ولا لهفة
ولا باك اذا ما شيع الجثمان
من يبكي على المحروم ..
قضيت العمر ابحث عن امان القلب
عن نظرة
احس بها معاني الحب ..
فتسري في دمي رجفة ..

●●

وها هو يعانق روح (السياب) بعد عام من الرحيل ، لاثما تراب البصرة ، متسمعا صوت جيكور ، متأملا نهرها نويب وهو يغرق منزل الاقنان لكن الالم هنا يتلاشى هذه المرة بعد ان زالت فجاءة الموت ، وحلت راحة التأمل ، ونشوة الظفر امام من يؤمن بالحياة ، والغد الجديد القادم .. فالرسالة واحدة ، وطريق الشاعرين واحد .. « وبصرة العراق » بينهما تراب واحد :

ستعشب ارضنا ، ويموج بالاشجار وادينا
ويجري نهرنا بالنور دفاقا
يروي ارضنا ، يرعى محبينا
ستشرق شمسنا دفئا واشواقا
ستشرق ، قد سمعت عويل جيكور
وهمهمة المقابر وهي تسمع نخة الصور
سنجني ما زرعناه ،
ونحصد ما بذرناه ،
فتزهو ارضنا بالنورِ والنور

●●

يبقى بعد ذلك حديث عن (فنية) الديوان ... اقصد فنية الشاعر ، وطبيعة انتمائه للحركة الشعرية في الكويت والوطن العربي ، ومكانه بين نظرائه واقرانه من جيل شعراء الشباب ، وهو حديث اوثر ان اؤجله بعض الوقت ، حتى نفرغ من تأمل الديوانين الباقيين للشاعرين : خالد سعود الزيد ومحمد الفايز .. عند ذلك يصبح الحديث عن فنية الشعراء الثلاثة اكثر جدوى واعمق دلالة ..

القاهرة : فاروق شوشة

مجلس ادارة رابطة الأدباء في الكويت

● جرى ، يوم الاربعاء الواقع في ٣ مارس (آذار) ١٩٧١ ، انتخاب مجلس ادارة الرابطة الادباء في الكويت، مكون من :

ـ خالد سعود الزيد أمينا للرابطة

ـ خليفة الوقيان : امينا للسر،

ـ عبدالله عبدالعزيز الدويش : أمينا للصندوق ،

ـ احمد السقاف ، عبدالرزاق البصير ، خالد الهلالي ، سليمان النسطي ، اعضاء .

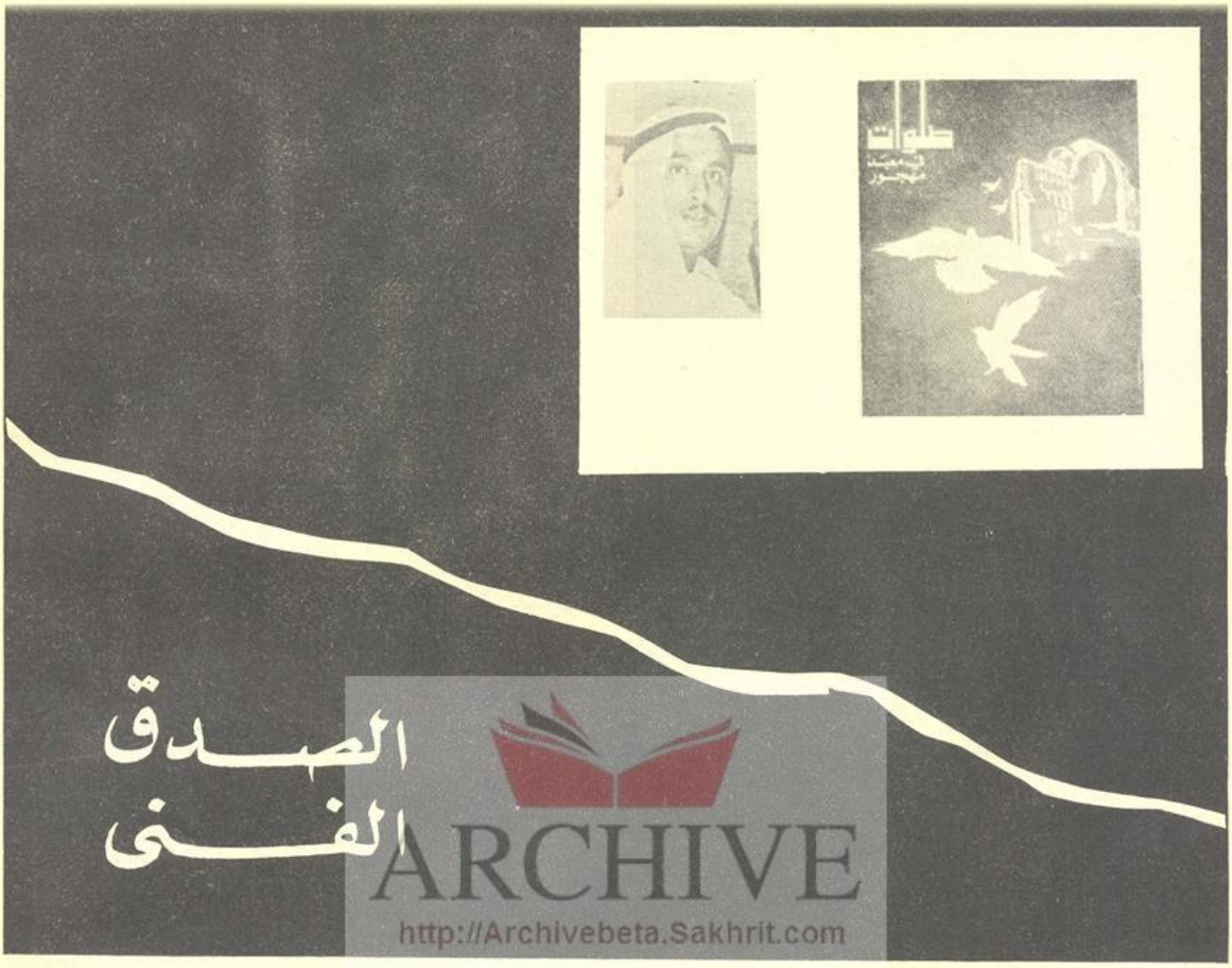
" الإنسان والحرمان "



● اهدانا الشاب الاديب السيد عصام الغزالي خليل مجموعته الشعرية (الانسان والحرمان) ، وقد نشر هذه المجموعة اتحاد طلاب كلية الهندسة بجامعة القاهرة .

والذي يتصفح هذه المجموعة الشعرية النفيسة ، يرى فيها روح الشاعر، وشاعريته المتدفقة التي تدل على اصالة وعمق ، وتحسس لمشاكل هذه الحياة ، ومشاكل الحياة كثيرة متعددة ، استطاع الشاعر ان يصورها بشعره المتدفق المنساب من اعماق مشاعره .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في صلوات أبي سعود

سألني بعض الزملاء يوما :ـ
هل قلت شعرا ؟

ـ لا ، ونعم .

ـ كيف ؟

ـ لم أقل شيئا ذا بال .

لا تزال « كيف » بازائها علامة استفهام ..

ـ الواقع اني حاولت في البدء ان قول شعرا ، ونظمت شيئا لم يعجبني فقطعته ورميت به .

ـ ربما كان صنعه في البدء كأي شيء اخر ، ثم بعد ذلك تجيد .

ـ ربما ، ولكن ذلك هو ما وقع . والواقع كذلك انا لا اميل الا الى الشعر الجيد . اعبر ما يجيء من الشعر امامي عبرا .. اذا جذبني شيء منه قرأته وتذوقته وتأثرت به ، وقد يهزني ويطربني ، وذلك قليل جدا . وبالمناسبة : ليس ذلك مقصورا على نوع معين من الشعر ، فقد يكون ما يعجبني وما لا يعجبني من القديم او من الحديث ، ومن التقليدي او الحر .

واسمح لي ان اشبه موقفي بموقف الرجل المسن من النساء : لا يثيره منهن الا المليحة الحسناء . وعلى هذا استطيع ان اجيب عن السؤال الاول بان ما قلته من الشعر لم يعجبني ، وما يعجبني لا يواتيني . مثل ما اجاب « العقاد » من سأله

عن عدم زواجه بقوله :

من اجدهن من النساء لايعجبنني ومن اريدها لا اجدها .

وانت ايها القاريء الكريم ، ارجو ان تصبر علي قبل ان ندخل في موضوعنا ، فتأذن لي بمقدمة اخرى، ولا اطيل عليك .

تلك هي اني — ولا تؤاخذني في ضمير المتكلم هذا الذي يفرض علي وعليك — كنت انجذب نحو الشعر العراقي بسفة خاصة ، حديثه وقديمه ، اجد فيه نكهة لا اجدها في غيره من الشعر العربي ، ومذاقا كمذاق تمره .. ولم اكن اعرف ان الكويت تجاور العراق مجاورة شعرية ، كما يتجاوران في موقعهما من الخريطة او من الارض . وكان ذكر الكويت انما يحمل الى التصور اشياء اخرى غير الادب والشعر . وشيئا فشيئا ، بل قل فجأة ، التفتنا الى ما في تلك القطع من ارض العروبة من ادب وشعر ، اين كان كل هذا ؟ كان منعزلا محصورا في ارضه لا يبرحها منه الا القليل .

وكانت مجلتنا « البيان » هي حاملة الرسالة الينا ورايناها — لحسن الحظ — تعنى بالتعريف بشعراء الكويت ودراستهم ، كخالد الفرج وفهد العسكر ، الى جانب ما تنشر للشعراء الواثبين كالمشاري والسقاف والفايز وسنان والوقيان والعدواني وعبدالله حسين وشاعرنا الذي اقدم للحديث عن ديوانه الجديد بهذا الكلام : خالد سعود الزيد . فاذا في الكويت « تمر » كما في العراق حلو المذاق مثله . ولا اريد ان ابالغ او اجامل ، فحسب الشعر العربي بالكويت ان يكون في حلاوة شعر العراق .. ولا يزيد !

استرعى انتباهي من الاستاذ خالد سعود اقلاله وارتفاع مستوى شعره في ديوانه الاول الذي صدر حديثا بعنوان « صلوات في معبد مهجور » .

هل هذا الشعر اول ما قاله او كل ما قاله ؟ لا اظن ذلك ، فليس في الديوان قصيدة تدل على انه مبتديء ، ولا اظن ان الشعر لم يراود شاعريته التي لا شك فيها طوال حياته التي انجب فيها «سعود» و « وضاح » ما اظن ان شيطان الشعر تركه يفلت منه في خضم الحياة ومعترك العيش دون ان يوحي اليه الا بهذا القدر الذي يحويه الديوان .

نعم ، اننا نعلم من فصوله الدراسية التي نشرتها « البيان » ومن كتبه الثلاثة التي اصدرها بعنوان « من الامثال العامية » و « ادباء الكويت في قرنين » و « خالد الفرج — حياته وآثاره » — نعلم ان هذا الجهد الادبي شغل بالبحث والتنقيب في ادب الكويت الماضي الذي يعد «ابو سعود» من الرواد الدارسين له الكاشفين عن كنوزه .

ولو فرضنا تلك الشواغل او غيرها شغلته عن قول الشعر في معظم الاحيان ، فانه يبقى «المستوى» غير المعقول ان يبدأ به .

اذن فلا بد انه اهمل نشر الشعر الذي قاله في بدء حياته الادبية ، وانتظر حتى اكمل واجتمع هذا الندر الذي صلى به في المعبد المهجور ..

انه لا يصلي — شعريا — في المعابد المطروقة المأهولة ، فلا نراه يخوض مثلا في الموضوعات ذات المناسبات التي يجاري فيها كثير من الشعراء سواد الناس وانفعالاتهم واهتماماتهم السطحية . انه يتجنب المحافل والزحام ، ويعرج على معبده الخاص ليصلي فيه وان قل تردده عليه . ففي الديوان اربع عشرة قصيدة هي اربع عشرة صلاة في المعبد ..

حتى الموضوعات المعروفة بين الناس ، يتناولها هو تناولا خاصا ، واكثرها لم نقرأ فيه شعرا من قبل، مثل موضوع الاخت من الرضاع التي يحبها اخوها وتحبه وهما لا يعلمان ، ثم يفاجآن بالحقيقة الاليمة المفجعة . تناول ابو سعود هذا الموضوع في قصة شعرية بعنوان « الحب الحزين » فاكسبه حدة ، واضفى عليه روحا شعريا ، وعمق المشاعر الانسانية فيه ، كما صنع « شكسبير » في تناول القصص والاساطير المعروفة في مسرحياته الشعرية .

استمع اليه يبداها بهذا التشويق القصصي :

سأروى قصة الاحلام والاوهام والحسرة
حكاية حبي المحزون والعثرة
حكاية عمري المنهار والخمرة
سأروي .. قصتي المرة
سأرويها ...

وبهذه العذوبة والسلاسة التي هي من اخص خصائص الفن القصصي يقص .. فيناجي البطل حبيبه « نجوى » في حسرة :

نشأنا نشأة الاطفال « يا نجوى »
بريئين



بقلم
عباس خضر

وسرنا في طريق الحب والازهار صفوين
بروحينا نجوب الكون لا ندري ، غريرين
كأن لم يخلق الرحمن الا انت في عيني وليس سواي في دنياك ، في دنيا البريئين
ونطلق ضحكة عجلى
تمر بثغرنا جذلى
لتربط قلب طفلين .

ولا بد ان نغض البصر عن ضمير الرفع « انت » الواقع في موضع النصب بدلا من « اياك » في قوله :

« كأن لم يخلق الرحمن الا **انتّ** في عيني » فهذه هنة من هنات نحوية قليلة جدا في الديوان ، الى جانب انها من الشائع حتى على اقلام المتمكنين من اللغة مثل ابي سعود .

وذلك لكي نتذوق العذوبة المترقرقة في كئوس الكلمات . ولست ادري ماذا آخذ وماذا ادع في هذه القصيدة القصصية او القصة الشعرية ، التي يمتزج فيها الشعر بالقصة في بناء متكامل يجمع بين التحليق والتحليل .

والاستاذ خالد شاعر ملتزم لاوزان البحور المأثورة والقافية ، ولكنه في هذه القصيدة « الحب الحزين » يتحرر من البيت المغلق ويتصرف في عدد التفاعيل وتوزيعها على القافية . وذلك تلبية لدواعي التسلسل القصصي الذي يتطلب اتصال الكلام وافضاء بعضه الى بعض .

والشاعر يبث اللوعة والحسرة في خلال السرد مكررا كلمة «فياحسرة» في معظم اواخر المقاطع ، فيضفي ظلال الحسرة على جو الموضوع ، ولكنه ينهي القصة بلفتة شعورية مريحة يخفف بها من الفاجعة ، اذ يتعزى البطل عن ضياع امله في الزواج بالاخوة الباقية ، اذ يقول في الختام :

وان بها اخوتنا
ستبقى رمز وحدتنا
وذاك بها يعزينا

وابو سعود يصلي في معبده الخاص لنفسه غالبا ، وان كانت نفسه نسخة من نفوس الناس ، يعتمل فيها من المشاعر ما يعتمل في نفوسهم ، فهو يعتكف في المعبد المهجور ليغوص في اعماق نفسه ويستخرج منها ما يشاركه فيه سائر الناس . وليس معبده ذا جدران وباب وسقف ، بل هو لا موضع ثابتا له ، فهو متنقل ، وقد يكون له مكان، وربما لا يكون . ومما له مكان « الزبداني » .

وفي قصيدة « الزبداني » ايضا قصة .. ابطالها الشمس والنسيم والازهار والجبل والنهر والالحان والبدر وغير ذلك من عناصر الطبيعة التي جسدها الشاعر في صورة كائنات حية تتعاطف وتتصارع وتتقارب وتتدابر .

الشمس في مغيبها حزينة لفراق الوجود ، ولندع شاعرنا يقول:

بأبى مغيب الشمس في الزبداني
وقد انثنت كالمدنف النشوان
حيرى تقلب طرفها بكآبة
نحو الوجود بحسرة الهيمان

والنسيم .. لم يدعها في حالها .. فجعل يداعبها بجراة :

حورية جذب النسيم ازارها
فبكت بمنهل المدامع قان
فتحملت خجلى تلوذ بشامخ
يزهو على الايام ليس بفان
جبل اقام على الوداد ملوحا
بيديه رغم تقلب الحدثان



فأخذ الجبل الشمس في احضانه هكذا :

وتعانقا فجرى اللجين سبائكا
قد ذوبته حرارة الاشجان

عالم حي ، كما يبدو للشاعر ، وليس جمادا ساكنا ، او كما قال :

تالله ما هذا الجمال بساكن
فانظر اليه تجده ذا خفقان
واجل فؤادك في الوجود محققا
تلق المهيمن قائما كعيان
آمنت بالله العظيم ، بصنعه
بخفائه عن مرصد الاجفان
لكنما هو في الحقيقة قائم
في العقل، في الاعماق، في الوجدان

وهكذا يصلي ابو سعود في معبده ، صادرا عن ذات نفسه ، عازفا عما حوله من اهتمامات الناس ، ولكنا نراه — في بعض الصلوات — يلتفت الى اهتمامات عامة تجذبه وتستولي عليه فلا يستطيع الافلات منها الى عالمه الخاص ، ففي الديوان قصيدتان يتكامل فيهما القالب والمحتوى ، فيكسبهما ذلك قيمة كبرى ، هما « العامل » و « تقطع العهد » الاولى ذات هدف اجتماعي ، تصور العامل واثره في الحياة وموقف الناس فيه ، يقول في اولها :

اقسمت ما التاريخ غير اهابه
فالمجد كل المجد في جلبابه
لا تنكروا ثوبا عليه ممزقا
فلرب قصر شيد من اسلابه

ويمضي في المفارقات الناجمة من عطائه للمجتمع وحرمانه جزاء عمله :

فالخصب من كفيه الا انه
ما نال من كفيه غير عذابه

الى ان يقول :

سل عنه تاريخ الشعوب تجد له
آيات مجد لم تقم الا به

والقصيدة الثانية مضمونها قومي ، قدم لها بهذه العبارة :

« قيلت حينما قدم الاستاذ سامي الدروبي اوراق اعتماده الى الرئيس جمال عبدالناصر كأول سفير لسوريا لدى القاهرة بعد الانفصال »

يقول للسفير :

ذكرتنيها فليت البين ما وقعا
ذكرتنيها فقلبي هاتك جزعا
حاولت نسيان يوم الانفصال فلم
اذكره يوما لاني لست مقتنعا
فجاء تقديمك الاوراق فاجعة
يا ويحها لحظة اودت بمن سمعا

وثمة اشارات اخرى الى هموم عامة كما في قصيدة « شجون » وان كان بعضها مبهما ، ولعل هذا الابهام يرجع الى ارتباط القصيدة بقصيدة للشاعر خليفة الوقيان لم يذكر الا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مطلعها قائلا انها رد عليها . ونرى شاعرنا ينتقل في هذه القصيدة من الهموم العامة الى غـزل في « ذات العيون السود » . وهذا الانتقـال يقطع الوحدة الموضوعية ولو اراد به ان الهموم لا نهـاية لها ولا امل في زوالها فليحـأ اذن الى « ممشوقة القد » يتسلى ويتعزى بها .. اقول : ولـو !

وبعد فان الكـلام يطول اذا اردنا تفصيله لتبيين ما في الديوان من خصائص فنية وموضـوعية ، ولكني رميت الى خاصية متميزة ترجع الى الشاعر ومزاجه وموقفه من الشـعر والحياة على ما يبدو لي ، تلك هي انه لا يقول الشعر الا اذا دب على لسـانه كالنمل .. كما قيل قديما ، لا يفتعل ولا يتكلف ولا يعبأ بالمناسبات ولا يجري مع الحوادث ، انما هو قائم هنـاك يصلي بمعبـده المهجور ، يرسل القول كما يحلو له ووقتما تشاء شاعريته ان تقول .

ولا ارى اقـلاله ومراقبته للمعترك العـام من بعيد ، وعكوفه في الغـالب على خصوصيات يعمقها فيصل بها الى المشـاعر الانسـانية المشتركة — من امثلة ذلك قصـيدة « ولدي » — لا ارى ذلك كله الا دليلا على ما نسميه « الصـدق الفني » ونعني به ان يكون الشاعر او الاديب على وجه عـام صادقا في التعبير عن وجدانه وفكره ولو خـالف ما يراه ويشعر به الاخرون ، فهو ليس صدقا بمعنى مطابقته للواقع التي قد تكـون وربما لا تكون ، وانما هو صـدق المعبر عن نفسه كيفمـا كان ما في نفسه .

ولا اراك ايها القـاريء الا مشاركا اياي في لمح الموهبة الشعرية الخصبة لدى شاعرنا « خالد سعود الزيـد » ولا اخال الفن الشعري الا تائلا : اعطني موهبة وصدقا اعطك شعرا عظيما .

القـاهرة : **عباس خضر**

أغار عليك



يعقوب يوسف العلي

أغَـارُ عليـك أغارُ أغـارْ
وأحْسد فـي مقلتيك النهـارْ
وأبكي كثيرًا إذا مَـرّ يومٌ
وقـد لفّني دونـك الانتظارْ
ويسأَلُ دمعي لمـاذا ... لماذا ؟
وليس يَقرُّ بقلبي قـرارْ
وتغضبني لفتـاتُ العيـون
وغضُّ الجفون إذا الحسن سار
وترهقني وَسْوَسـاتُ الفؤاد
إذا لمحتك عيـون الصغـارْ
وأعرف أني أَغـارُ كثيـرًا
ولكنّ قلـبَ المحبِّ يغـار
تحيّرني بسمةٌ فـي الشفاه
تراها لمن يا فؤادي تدار ؟
ويسألني القلبُ مـن أيّ شيء
ترى زادَ فـي خدها الاحمرارْ
لمـنْ هـذه النظرة المشتهاة
لقد تعبَ الظنّ فيهـا وحـارْ
وهذا التورد فـي الوجنتين
وهـذا التودّدُ والاعتـذارْ
الى كل هـذا فديتك عمري
فمنى عليـك حبيبي أغـارْ

الكويت — يعقوب يوسف السبيعي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خواطر



بقلم
عبد الرزاق البصير

■ الكلمة المكتوبة
■ الشعراء والأدباء
■ نازك الملائكة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ ــ الكلمة المكتوبة اقدر على البقاء من الكلمة المسموعة

اكاد اجزم ان موسمنا الثقافي في هذا العام اغنى من مواسمنا الثقافية في الاعوام الماضية . فهو منوع متشعب فيه ما يمس الاقتصاد والسياسة وفيه ما يتصل بالفكر والادب والفلسفة ، حتى ان الذين قد شغفوا بالغذاء الفكري اصبحوا يشعرون بانهم يعيشون في ربيع خصب وكأنهم في مدينة كثيرة الحدائق والرياض تحتوي كل حديقة منها على كل ما تشتهيه النفس فهم في حيرة من امرهم لا يدرون اي لون يذهبون اليه .

ولقد دفعني اغتباطي الشديد بهذا الموسم الى الحديث عنه قبل انتهائه ، وقصدي من ذلك ان ترصد كل هيئة او جمعية ما يلقى فيها من محاضرات وندوات رصدا متقنا ثم تنشره بين الناس لنتمكن من الالمام والاستمتاع بهذه الالوان الشهية من الغذاء ، لان اصحاب هذه المحاضرات قد اثاروا امورا كثيرة يختلف الناس حولها اختلافا كبيرا ، الامر الذي سيخلق نقاشا فكريا يمس معظم جوانب حياتنا ..

وليس من شك ان الحركة الفكرية لا يمكن ان تكون خصبة نافعة الا اذا شارك فيها كل من هو قادر على المشاركة ، واود ان اشير بهذه المناسبة الى بعض تلك النقاط دون ان ابدي فيها رايا في الوقت الحاضر .

فان ابداء الراي في اية قضية من القضايا لا يكون صحيحا الا بعد رواية النص الكامل الذي قاله صاحبه في محاضرته او اندوته .

واول ما احب ان اشير اليه هو موقف البلاد المتقدمة حضاريا من الادب والشعر ، فقد تبين ان التقدم الحضاري لم يستطع ان يضعف او يقلل من منزلة الادب والشعر في قلوب الناس ، بدليل ما تصدره انكلترا من دواوين شعرية بلغت سبعمائة سنويا غير القصص والمقالات الادبية . وهناك امر اخر قد يتصل بما ذكرناه وهو موقفنا من هذا اللون الجديد من الشعر فان بعض الناس يرفضونه جملة وتفصيلا لاعتقادهم بانه ليس شعرا ولا نثرا وانما هو هذر او شيء يشبه الهذر ، وصاحب هذه المحاضرة لا ينكر ابدا ان هذا القول قد يصدق على قسم كبير من هذا الشعر لكنه لا يصدق عليه كله . اما ما يقال من ان مضمونه يخالف عقائدنا وتقاليدنا فان صاحب هذه المحاضرة يقول بان ذلك لا يصدق على كل الشعر الجديد ، وانما يصدق على بعضه وهذا الحال موجود في كثير من الشعر المقفى الذي قد نسب الى كثير من فحول الشعراء من العصر الجاهلي حتى مطلع هذا القرن وبعضه سائر على السنة كثير من الناس من ذلك :

قلتم لنـــا صانع قديم قلنـــا صدقتم كذا نقول

ومنـــه :

في القـــدس قامت ضجة ما بين احمـــد والمســـيح

ومنـــه :

دعينا نصطبح يا ام بكر فان الموت نقب عن هشام

ومنـــه :

لو قسم الرزق هكذا رجل قلنا له قد جننت فاستعطى

اما شعر المحبين المخالف للاخلاق فهو كثير كثير في القديم والحديث .

ومن الامور التي سيقوم حولها نقاش كبير والتي اثارها بعض المحاضرين هي اتصال الفكر باللغة ولكن ايهما اسبق او ايهما افضل ؟ تلك لمحات اشرت اليهـــا اشارة قصيرة وهي قليل من كثير ، ثم ان رصد هـــذا النشـــاط ونشره خدمة للتاريخ . فان الكلمة المقروءة اقدر على البقـــاء من الكلمة المسموعة على اي حال ..

ولا يفوتني هنا ان اشير الى ان هذا النشـــاط هو من اعظم مآثر الكويت ومفاخرها وهو من اكـــبر الدلائل على ان الامن والحرية والاستقرار هي افضـــل شيء تقدمه الحكومة لشعبها . ففي ظلها تزدهر الحياة كل الازدهـــار . فلسنـــا نبعد عن الصواب اذا مـــا طلبنا من وزارة الاعلام بان تساعد الجمعيات والهيئات على طبع ما قامت به من نشـــاط . فان ما يبذل من مـــال في نشر المعرفة مهما كان كثيرا هو في محله ، وهو في رأيي افضل ما يقـــدم في اي وجه من الوجوه .

■

٢ ــ الشعراء والادباء يضعفون امام الحب

الاحظ ان كثيرا من عظماء الادباء قدماء كانـــوا او محدثين ، شرقيين كانوا او غربيين ، لا يستطيعون ان يقفوا امام تيار الحب ، فتراهم اقوى ما يكون في تحمل اعباء الحياة وهمومها وتراهم اعمق ما يكون في فهم اسرار الحياة والنفـــاذ الى دقائقها ، يصورون ذلك تصويرا بارعا يجعل الناس معجبين بهم اعجابا يدفعهم في كثير من الاحيان الى تمني لقاء اولئك الادباء الـــذين اصدروا تلك الآثار الخالدة . فهم اشبه شيء بالكنـــوز التي تحتوي على اغلى الجواهر واثمنها . لكن هؤلاء الادباء لا يكادون يستقبلون تيار الحب حتى يضعفوا امامه ويصبحوا كالاطفال او اقل ، تجد ذلك واضحـــا جليا في اثارهم ، فامرؤ القيس المعروف بقوة العزيمـــة ومضائها يقول في معلقته :

افاطـــم مهـــلا بعض هـــذا التـــدلل
وان كنت قد ازمعت صرمـــا فاجملي
اغـــرك مني ان حبـــك قاتـــــلي
وانك مهما تامـــري القلب يفعـــل
وان تك قد ســـاءتك مني خليقـــة
فسلي ثيـــابي من ثيـــابك تنســـلي

ويذهب بعض الشراح الى ان الشاعر كان يعني بالثيـــاب قلبه وقلب حبيبته . ومعنى هذا بان الشاعر يعترف بان تلك الغيداء قد ملكت عليه قلبه .

ويقول عنترة بن شداد الذي تضرب بشجاعتـــه الامثـــال في معلقته :

ولقد ذكرتـــك والرمـــاح نواهل
مني وبيض الهنـــد تقطر من دمي
فوددت تقبيـــل الســـيوف لانهـــا
لمعت كبـــارق ثغـــرك المتبســـم

ومهما يقال في صحة نسبة المعلقات الى قائليهـــا الا ان هذه الابيات تمثل هذه الحقيقة . وانت اذا مـــا قرأت شعر عمر بن ابي ربيعة فانك ستجده كله اعترافات صريحة بتأثير الحب عليه . وما من اديب من الادبـــاء المعروفين الا له اكثر من حبيبة ، يتذلل لهـــا في شعره ويرجو منهـــا لحظة لقاء .

والمتأمل في التاريخ الادبي يجد ان معظمه يعتمد على تيار الحب اللاهب ، فاعظم الروائع الادبيـــة من قصص وشعر في القديم والحديث قد خلقها الغـــرام بالجمال لكن بعض الادباء يتخفى في حبه وبعضـــهم يجاهر . والناس كما تعرف ذوو امزجة مختلفة . وقـــد جرت للادباء احداث وقصص منها تثير العجب . وكمثال على ذلك قصة ديك الجن مع جاريته دنيا . تلك الجارية التي كان لا يرضى بان يسقط عليها الغبار ، ولشـــدة حرصه عليها وغيرته دلف اليهـــا وقتلها لانه اتهمها مـــع غلامه . ولكنه قتل في الواقع سعادته ونعيمه فيقول :

رويـــت من دمهـــا الثرى ولطالمـــا
روى الهـــوى شفتي من شـــفتيها
مكنت ســـيفي من مجـــال وشـــاحها
ومـــدامعي تجـــري على خديهـــا
فوحق نعليهـــا وما تطـــا الحصـــا
شيء اعـــز عـــلي من نعليهـــا
لكن بخـــلت على ســـواي بحبها
وانفت من نظر الغـــلام اليهـــا

وليس ادباء العربية وحدهم المنهارين امام نار الحب وانما كل الادباء في الشـــرق والغرب ضعفاء لا يقوون على مقاومة تأثير الحب عليهم ، فتاريخهم زاخر بالمواقف التي تشهد بانهم ضعفاء حين تهفو نفوســـهم الى من يملأها اعجابا . فكل من اطلع على ليالي الفرد دي موسيه ، وازهار الشر لشارل بودلير ، ومن قـــرأ تاريخ فلوبير يتضح له ذلك بل يخيل الي ان ادبـــاء العربية لا يخضعون للغرام كما يخضع ادباء الغرب . فما اعرف تذللا لاديب عربي كتذلل بودلير امام جـــان دوفـــال ، انه يعترف بان حبيبته ساقطة سكيرة عجوز

لكنه يعلن في اشعاره بانه لا يستطيع الا ان يستخذي امامها ، فهو يشتمها ويلعنها غير انه لا يلبث ان يعود اليها . اما الفريد دي موسيه فانه يكاد يكون كصاحبه من حيث الابتعاد والعودة الى عشيقته جورج صاند.

ومن اطرف ما قرات عن الاديب الامريكي وليم فولكنر انه عشق فتاة تصغره بكثير تتمشى هي في العقد الثاني من العمر وهو في العقد السادس . ولكي يتمكن من لقائها والحديث معها في السنة يوما او يومين ارسلها للتعلم في باريس على نفقته . وحين يتحدثون بهذا الى بعض من يراهم يصيح اليس هذا ظلما ؟

وفي يقيني ان سبب ضعف الادباء امام الحب يعود الى رقة احاسيسهم فكلما رق احساس المرء صار تأثره بالحزن وبالفرح اكثر من غيره .

٣ ــ نازك الملائكة وماساة الحياة

اتحفتني السيدة الفاضلة والشاعرة الموهوبة نازك الملائكة بمطولتها الشعرية ، والتي جعلت عنوانها (مأساة الحياة واغنية الانسان) . وحين بدأت في قراءتها وجدتني مشدودا اليها لاشراق اسلوبها ووضوح الفِكَرِ التي جاءت في هذه المطولة ولاني اكاد اوافقها على ما جاء فيها من فكر ورأي . ولقد كنت اشعر وانا اقراها بان الاستاذة نازك الملائكة نظمت هذه الملحمة وهي منفعلة كل الانفعال ، فان القول المعروف ما خرج من القلب يدخل في القلب ينطبق اشد الانطباق على هذه المطولة . ولقد سمعت من بعض الادباء ان رائدة الشعر الحديث ارتدت عنه الى الشعر المقفى ، وهو يستدل على ذلك بهذه الملحمة. فقد نظمتها كلها مختارة لها البحر الخفيف . لكن المؤلفة ترد على هذا الراي بانها قد نظمت هذه المطولة قبل عشرين سنة ، قبل ان تتوصل الى مذهبها في الشعر الجديد . ويبدو ان الشاعرة لم تشأ ان تغير بحر القصيدتين لتبقى المطولة كلها على نسق واحد . ولان البحر الخفيف يجري كالنهر المنساب وهو اطوع البحور لمثل هذه المواضيع . ولا اريد التحدث عن طاقة نازك الشعرية لانني لو فعلت ذلك فسيكون حديثي معادا لا معنى له اذ ان ذلك معروف عند جميع المثقفين .

والشاعرة تقول في مقدمتها للمطولة بما يفيد بان ما جاء في قصيدة مأساة الحياة من اراء لا يكاد يمثل ما هي عليه في الاونة الحاضرة ، فهي اراء كانت تعتنقها قبل عشرين سنة . اما الان فانها اصبحت لا ترى تلك الاراء تقريبا ، وانا اود هنا ان اتساءل ما اذا كانت الشاعرة ترى بانه اهل للنشر من حيث صواب مضمونه وقوة اسلوبه . وقد اشرت فيما سبق اني اشارك الشاعرة اراءها في مأساة الحياة فحياتنا ضعيفة زائلة يغلب فيها الحزن على الفرح والاضطراب على الاستقرار ، وانها لا تستحق كل هذا الجهد الذي يبذله اكثر الناس . والجهد الذي اعنيه هنا هو الجهد المادي كالسعي الى السلطة او السعي الى الثروة التي تزيد على الحاجة وما الى ذلك من الامور المادية التي تزول بمفارقة الحياة . اما الجهد المعنوي فانه اهل لكل ما يبذل فيه لانه هو المتعة الحقيقية في هذه الدنيا ولانه لا يسلب من صاحبه حتى بعد انتقاله من هذا العالم فلا يقال الاديب السابق كما يقال الوزير السابق . على اني وان كنت اذهب هذا المذهب ، الا انني ارى بان الابتسامة في هذه الدنيا خير من البكاء ، اذ ان الحياة ماضية بخيرها وشرها لا تهتم بحزن المحزونين . وفي اعتقادي ان التألم والحزن لا يصنعان شيئا اكثر من اضعاف الانسان عن تحمل اعباء هذه الحياة . وانا على يقين ان تقبل الحياة والابتسام لها خير معين على احتمال همومها ، وقد يكون هذا المذهب الذي اذهب اليه ناشئا من صفاء الحياة التي احياها في هذه اللحظة . فاذا ما اصبت بكارثة او فاجعة فاني ربما سوف اترك هذا المذهب وآخذ بمذهب الشاعرة القائل بان السعادة ضرب من الخيال . فهي ليست بموجودة عند الشعراء ولا في قصور الاغنياء ولا حتى عند الزهاد لان كلا من هذه الفئات يعاني من هموم هذه الدنيا ما يجعله كاسف البال قليل الرجاء .

واود ان اورد هنا بعض الابيات من هذه المطولة لنتذوق معا ونتحسس ما تتصف به من وضوح وصفاء وما يجري فيها من انفعال شديد . تقول الشاعرة .

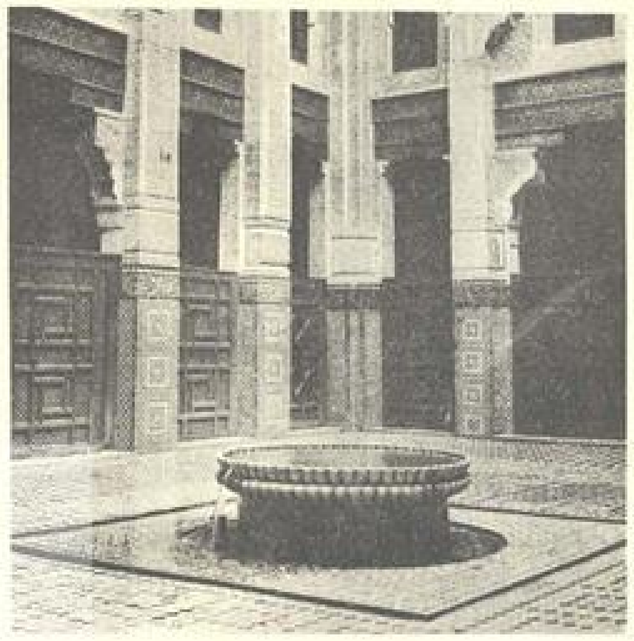
فيم الصراع يا ايها الاحياء
فيم القتال ؟ فيم الدماء
فيم راح الشبان في زهرة العمر
ضحايا وفيم هذا العداء
اهو حب الثراء يا عجب القلب
وما قيمة الثراء الفاني
في غد رحلة فهل يدفع الاموات
بالمال وحشة الاكفان
كل حي غدا الى القبر مغداه
فهل تم في الممات ثراء
انظروا ها هنا على الشوك والرمل
ثوى الاغنياء والمعدمونا
اي فرق ترى وهل غير صمت
الموت فوق القبور والراقدينا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المغرب مزيان مزيان

٧

— قصر مولاي اسماعيل
من الداخل بمدينة مكنـــاس .



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- مـــدينتـــان مغـــربيتـــان مازالتـــا في أســـر الأســـبان
- طنجـــة تحـــدت مصائب التدويل بقـــوة وصـــدق ايمـــان

في الحلقة السادسة من الحديث عن المغـــرب نشرت صورة للجزء القـــديم من مدينة مكـــناس ولكني لا ادري كيف التبس الامر على مصحح تجارب الطبـــع فحلت فاس محل مكنـــاس وبطبيعة الحال لم يفطن لهذا الخطـــأ المطبعي غيري ، لكن الاخـــــوة في المغـــرب ســـيعرفون هذا الخطـــــأ دون شك وبعض هؤلاء الاخوة على صلة بهذه المجلة . ولقد رايت ان انوه بهذا الخطـــأ المطبعي كيلا يوافيني كتـــاب عتاب من احـــد الاخوة القراء كذلك العتـــاب الذي جاءني من الصديق ادريس الكتاني حين ارســـلت اليه بطاقة تهنئة بعيـــد الفطر السعيد ولطول المســـافة ورداءة الخدمة البريدية وصلت تلك البطـــاقة متأخرة وكان وصولها في اواخـــر شهر ديسمبر فبادرني مهنئا بعيد الاضحى قبل حلول هذا العيد بأيـــام ومعاتبـــا في الوقت نفسه لتهنئتـــه براس السنة الميلادية وهو الرجل العربي المسلم الذي لا يعتز الا باعيـــاد العروبة والاسلام . والمغـــاربة يعتزون بعروبتهم كما يعتزون باسلامهم ومن المحال ان يفرق المغربي بين العروبة والاســـــلام فاذا قال لك المغـــربي انه مسلم فهو يعني انه عربي واذا قال انه عربي فهو يعني انه مسلم واذا حدثتهم عن اخـــوة لنا في المشرق غير مسلمين فانهم يقولون ان هؤلاء كالمسلمين ما داموا يعتزون بالعروبة والثقافة العربية ، ذلك ان



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

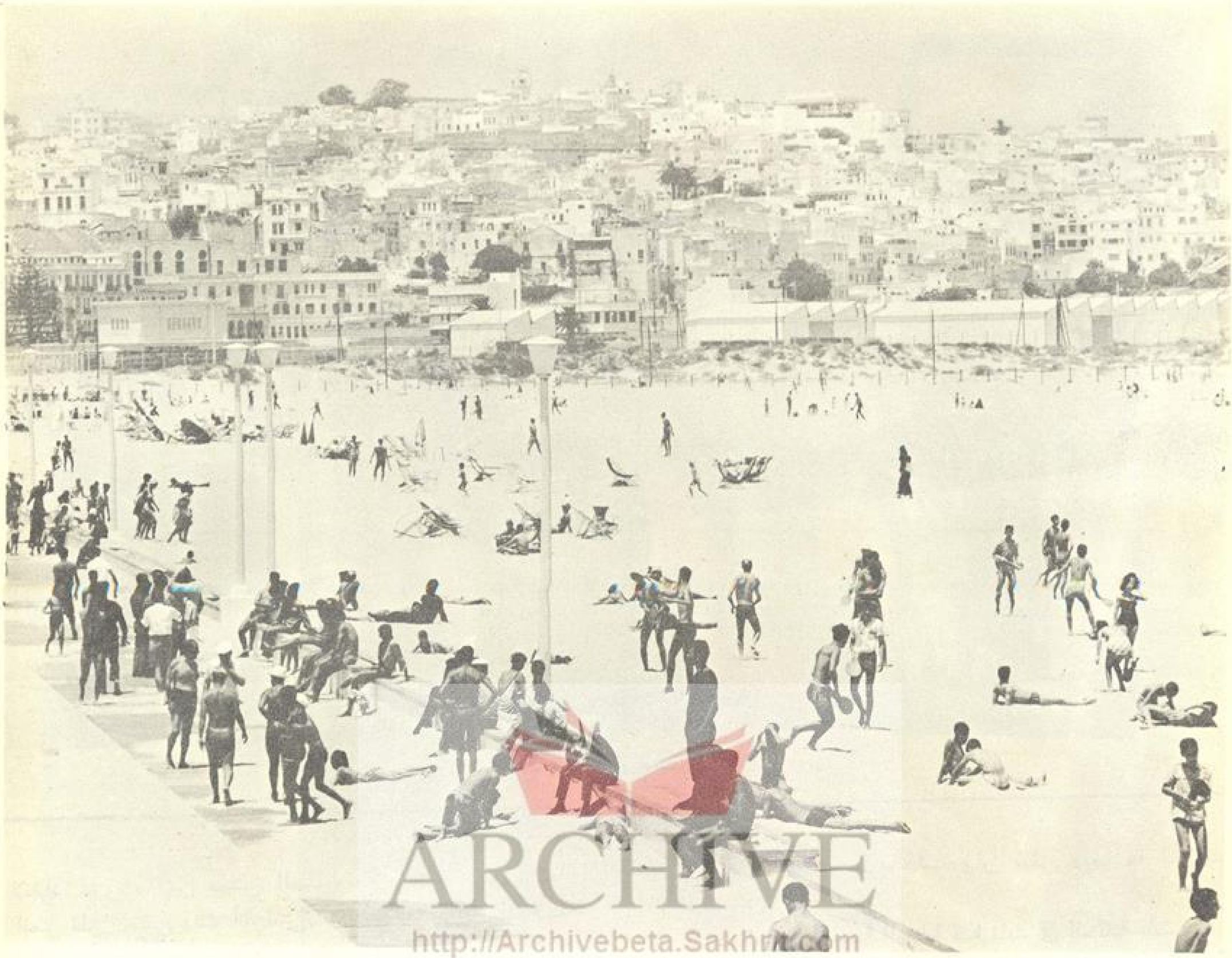
ـ مع الاستاذ فضيلة الشيخ عبدالله بن كنور على باب الغرفة في الطـابق الثاني من المنزل ، وقف كاتب المقـال الى يمينه ، ووقف الاستاذ ابراهـيم العريض الى يساره .

الثقـافة العربية مشبعة بالروح الاسلامية الكريمة . واذا كان الشيء بالشيء يذكر فان من المفيـد ان اذكـر هنا ما رواه لي الاسـتاذ حنا خلف وهو واحـد من المسيحيين الذين حملوا السلاح في وجه الاستعمـار الانجليزي الصهيوني في فلسطين عام ١٩٣٦ ، فلقـد اخبرني ذلك الاستاذ الجليل ان القائد الانجليزي سأله اثنـاء المحاكمة ألسْتَ مسيحيا يا استاذ حنا ؟ فـرد الاستاذ حنا خلف نعم انني مسيحي فقال له كيف تكـون تحت قيادة عبدالقادر الحسيني وهو مسلم وتحمل معه السلاح وتقاتلنـا ونحن مسيحيون فكان جواب الاستاذ حنا خلف : « يجب ان تعلم ايها القائد اني مسيحي دينـا مسلم قومية واني لاعتز بقوميتي العربية المشبعة بالروح الاسلامية » . فوجم القـائد الانجليزي وامر بتعذيب الاستاذ حنا خلف وسجنه .

وعلى اية حال فان مدينة مكناس ما زالت ماثلـة في ذهني وهي ذات قسمين قسم قديم واخر حـديث ، والقسم القديم من المدينة مليء بروائع الفن المعمـاري الاندلسي ويكفي ان يلقي المـرء نظرة على هذه الزخرفة الانيقة المتجلية في الصـورتين المنشورتين هنا واحداهما تمثل جزءا من قصر مولاي اسماعيل بمدينة مكنـاس



بقلم
أحمد السقاف



— شاطىء طنجة مع منظر عام للجزء القـديم من المدينة .

والاخرى تمثل باب المنصور في المدينة ذاتها ليدرك روعة الفن وجماله في مباني اشـقائنا المغاربة .

ان الحديث عن جمال ذلك القطر العربي لا تـأتي عليه هذه الخواطر مهما حاولت ان اطيل في الحديث، وانه لمن الصعوبة بمكان ان يحاول المرء المفـاضلة بين مدينـة واخرى ، فالمدن المغربية كلها جميلة سـاحرة اخاذة ولكم وددت ان اشاهد المدينتين المغربيتين اللتين ما زالتـا في قبضة الاستعمار الاسباني وهما سـبتة ومليلة وكلتاهما مواجهة لجبل طارق ولا سيما سبتة، غير ان الوقت كان ضيقـا لا يسمح بالاتصالات اللازمة للحصول على اذن بزيارة هاتين المدينتين .

ولا شك ان القاريء العربي سيدهش حين يعلم ان هنـاك مدينتين عربيتين من الوطن المغربي لم يقم الحكم هنـاك بانقاذهما من الاسبان ، كأنما العطف على القضية العربية الذي تعلنه اسبانيا يجب ان يكون له ثمن من ارضـنا ومن كرامتنا ومن حرية الالاف من المواطنين المغاربة الذين عزلوا عزلا تاما عن بـاقي شعب المغرب .

ان صداقة الشعوب يجب ان تقوم على العدل وكل امة لا تتقيد بقوانين الحق والعدالة فلا خير في صداقتهـا ، فكيف اذا كان جورها وظلمها لا يقعـان الا على من تدعي صداقته من الشعوب .

لقد عانى المغرب كثيرا من ظلم المستعمرين ، ولقد كان يخيل الي ان طنجة تلك المدينة المغربية الغـالية لن تصبح عربية بعد ذلك التدويل الغربي الرهيـب وحين اجتمعنـا بشبابها راينـا فيهم جذوة العروبة متأججـة ، وحمية الاسلام شديدة ، ولم يزدهم عنت المستعمرين سوى التشدد في العروبة والاسلام . انني ما زلت اذكر اهتمام اولئك الاخوة بقضايا امتهم العربية وما زلت اذكر حماستهم للقتـال في ساحات فلسـطين



— باب المنصور بمدينة مكناس .

لانقاذ عروبتها من دنس الصهيونية الآثمة ، ومهما انس فلن انسى ذلك المجلس الذي ضمنا بمنزل العلامة الشيخ عبدالله بن كنون وهو سراج طنجة المنير والاب الروحي لاولئك الشباب وما دار من حديث عن فلسطين وقضايا العروبة انما يدل بحق على خطأ ذلك التصور عن طنجة بعد تلك المحنة الرهيبة محنة التدويل الغربي البغيض ، فقد ابت طنجة العربية المسلمة ان تضمحل فيها روح العروبة ، وابت طنجة المسلمة ان تخمد فيها جذوة الاسلام ، ولا عجب في ذلك ففي طنجة رجال متعصبون لعروبتهم وفي طنجة رجال متعصبون لاسلامهم ويكفي ان يكون في طنجة الشيخ الجليل الاستاذ عبدالله بن كنون صاحب التعاشيب ، وواحة الفكر ، وخل وبقل ، والعصف والريحان ولقد قلت في الحلقة السادسة ان الرجل ابى الا ان يجتمع بنا وهمّ بالقدوم الى الفندق رغم ما يعاني من وعكة المت به في تلك الايام ولكننا ابينا عليه القدوم وعرجنا على منزله ساعة الرحيل ، وبقينا معه في حديث ممتع بعض الوقت . وحين غادرنا طنجة عاهد كل واحد منا نفسه على ان يزور المغرب زيارة طويلة وان يزور طنجة بالذات وان يبقى فيها ما امكنه البقاء .

وحين بلغنا الرباط كما قلت في الحلقة السادسة وجدنا صديقنا الكريم الاستاذ محمد السداح القائم باعمال سفارة دولة الكويت هناك ينتظرنا في بهو فندق حسان وفندق حسان من اجمل الفنادق في الدار البيضاء وكانت معه قرينته الفاضلة وكانت قد وصلت بالطائرة من الكويت في تلك الساعة فأصرت على زيارتنا في الفندق قبل ان تستريح من عناء السفر ، وخرجنا بعد ذلك الى حفلة شاي اقامها لنا الاستاذ ادريس الكتاني ذلك المغربي المناضل عن العروبة في كل مكان والمجلجل بالقومية العربية عن وعي وصدق وايمان ، وكان من جملة الحضور صديقنا الفاضل الاستاذ عبدالكريم غلاب رئيس اتحاد كتاب المغرب ورئيس تحرير صحيفة العلم لسان حزب الاستقلال ، ولم نستطع البقاء طويلا بمنزل صديقنا الاستاذ ادريس الكتاني لاننا متعبون من السفر ومزمعون السفر ، فعدنا الى فندق حسان للمنام على ان نصحو مبكرين في اليوم التالي لنتوجه للمطار ونغادر المغرب المزيان .

— يتبع —

احمد السقاف

حول كتاب

الألعاب الشعبية الكويتية

رد وتعليق





ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اطلعت على العدد ٥٨ من مجلة (البيان) الغراء فالفيت به مقالا للاخ خالد عبدالكريم الهلالي حول كتابي (الالعاب الشعبية الكويتية) الجزء الاول من حرف الالف والهمزة — حرف الذال . وصدر الكتاب في يناير ١٩٧٠م وقد نفذت نسخه منذ مدة طويلة وسأطبعه ان شاء الله طبعة ثانية وستكون منقحة ومزيدة ، اذكر ما فاتني ذكره، مع الملاحظات التي تكرم علي بها بعض الاخوان حول الكتاب ، وسأنشر التقاريظ التي وردت الي من الادباء والكتاب . ويبقى بعد الجزء الاول الجزء الثاني والجزء الثالث الاخير . ارجو ان اتمكن من تأليفهما كما اريد .

ارحب كل الترحيب بالنقد الهادف البناء الذي يدلني على اخطائي حتى اتلافاها . وانا — صراحة — لا ابريء نفسي من الخطأ فالعصمة لله وحده .

سبق لي ان نشرت في اخر الكتاب صفحة ٣٨٩ كلمة تحت عنوان (رجاء) أرجو فيها من القراء الكرام ان يتكرموا علي بموافاتي بملاحظاتهم وانتقاداتهم حول الكتاب. وقلت انه من المؤكد ان اكون قد اخطأت ، لان موضوع الكتاب دقيق ومتشعب ..

اشكر الاخ خالد على مقاله . وهذا ردي وتعليقي عليه :

١ — يقول الاخ خالد بان حبي للماضي وتعلقي به دفعني الى تسجيل ما ليس له ادنى صلة بموضوع الكتاب كالالفاظ العامية التي وضعت لها جدولا في اخر الكتاب محاولا حصرها مع كثرتها وحاجة كثير منها الى تفسير ونقص في المصادر لمعرفة اصولها .. الخ .

لولا حبي الشديد ، لماضي الكويت المجيد . ذلك الماضي الذي لا يزال الكويتيون الاصائل ابا عن جد يحنون اليه كثيرا ويذكرون ايامه السعيدة ، اقول لولا ذلك لما الفت كتابي هذا . ولما نشرت المقالات عن ماضي الكويت ، وسأنشر باذن الله كتبا تتعلق بماضي الكويت وتاريخها بالاضافة الى المقالات .

اما قول الاخ عن الالفاظ العامية الكويتية التي سطرتها في اخر

الكتاب فذكرتها كانموذج للالفـــاظ الشائعة لدى الاولاد في لعبهم ومرحهم وحديثهم .. ولم احاول حصرها كما يقول الاخ . ذكرت هذه الالفاظ من حـــرف الالف والهمزة الى حـــرف الذال على موجب الاحرف الهجـــائية لترتيب مواد الكتاب . ذكرتها بايجاز وذكرت ما له صلة باللغة العربيـــة وذلك بعد بحثي عن هذه الالفـــاظ في كتب اللغة العربية .

٢ ــ يقول الاخ خالد بانني لم التزم في ترتيبي لمواد الكتاب بمـــا يفعله المصنفون لهذا النوع من الكتب من اهمال لكلمة ابن ، ابي ، وآل ، وال التعريف فقد اهملت ال التعريف في اكثر الكتاب ولكن اوردت لعـــبة (اللقصة) في باب الالف والهمزة مع ان الواجب ــ كمـــا يقول الاخ ــ الى باب اللام . جوابي على ذلك هو ان وضعي للعبة اللقصة في باب الالف والهمزة هو اني وضعتها على حسب لفظها عندنا فنحـــن نقول اللقصـــة نلفظ الالف واللام ولا نقول لقصـــة حتى اضعها في حرف اللام . وهكذا بقية الكلمات التي جاء ذكرها في باب الالف والهمزة .

٣ ــ يقول الاخ خـــالد بانني اعتبرت الحركة التي يتوصل بهـــا للنطق بالساكن همزة وبالتالي وضعت الكلمات الساكنة الاول ضمن بـــاب الالف والهمزة حيث اضفت همـــزة قبلها وهذا صحيح فانا ذكرتها على موجب لفظ العامة عندنا لها فنحـــن نقول اخلوطات (مكسرات ونحوها) ولا نقول خلوطات حتى اضعـــها في حرف الخاء وهكذا بقية الكلمات التي ذكرها مثل اذبيبـــــنة ، وإسحيب إسحيب .

٤ ــ يقول الاخ خالد ذكـــر المؤلف حي البحارنة وقال في سبب التسمية نسبة لجماعة من البحرين . ثم ذكر براحة البحارنة ، وقال نسبة لجماعة من طائفة البحارنة .

جـــوابي على الاخ هو ان البحارنة جماعة معروفة في الكويت ولهم دورهم الكبير في بناء الســـفن واصلاحها وينتسبون الى البحـــرين والنسبة الى البحرين لغة بحـــراني ونحن نلفظها محرفة فنقول بحريني انما نلفظها سليمة فنقول بحـــراني ونعني بها الرجل من جماعة البحارنة وهم من الشيعة . وانا اعني بقولي عن براحة البحارنة بانها تنســـب لجماعة اي لقسم من جماعة البحارنة الذين هم في الاصـــل ــ كما قلت ــ ينتسبون الى البحرين . والسبب الذي جعل الاخ يلاحـــظ ذلك هو انني لم اوضح المقصود من التسمية انمـــا اعتمدت على الاصل وهو البحرين . وكان حديثي موجزا جدا اذ لو وضحت كل كلمة في المقدمة لاحتجت الى جزء خـــاص بها ..

٥ ــ يقول الاخ خالد بانني قلت امطوع جمع مطاوعة والملا جمع ملالية وخربوطة جمع خرابيط . ويعلق الاخ قائلا هذا تعبير معكوس يفسد الكلام والصواب مطاوعة جمع امطوع .. او مطوع والجمع مطاوعة وتحدثت عن امطوع وملا صفحة ٢٦٩ وقلت الملا بضم الميم جمع ملالة بضم الميم ولم اقل ملالبة كما ذكر الاخ جاء بهـــا من عنده والجمع المعروف عندنا مـــلالة واما ملالية فمعروفـــــة لدى بعض الفئات .

كلامي صحيح ليس فيه خطـــأ فامطوع جمعه مطاوعه وهكذا انمـــا الخطأ جاء من جانب الاخ نفسه فلو اطلع على المعاجم اللغوية الحـــديثة كالمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية وهو جزآن صدرا عام ١٩٦٠م وكذلك قاموس المنجد لعرف خطأه فمثـــلا جاء في الوسيط الدلو اناء يستقى به جمع دلاء وَدِلِيّ والزنبور حشرة جمع زنابير وهكذا دائما يذكر المفرد ثم يذكر جمعه . فانا ذكرت المفرد فقلت امطوع ثم ذكرت جمعه فقلت مطاوعة وكذلك ذكرت بقية الكلمات مفـــردة ثم ذكرت جمعها .

٦ ــ يقول الاخ خالد ذكـــر المؤلف التحسحس وفسره الضـــرب بالمخراق وهذا وهم منه لان الضـــرب بالمخراق يقابل عند اهل الكويـــت الضرب بالمعجالة ..

يجب على الاخ ان يقول التبس الامر على المؤلف بدلا من ان يقول وهذا وهم منـــــه . لان الوهم او التوهم معناه معروف وفرق بعيـــد بينه وبين التبس الامر فهذه لفظـــة مقبولة اما الوهم فلا اقر الاخ عليها وكان الاجدر به عدم تســـطيرها ، لانني لم اتوهم ، ولم يلتبس الامـــر علي ايضا . انما الاخ نفسه هو الذي التبس الامر عليه . ولو ان الاخ قرا ما كتبته عن التحسحس بامعان لمـــا وقع في هذا الخطأ . والظـــاهر ان الاخ لا يعرف الضـــــرب بالقـــترة التحسحس والضرب بالمعجالة وتسمى عند العرب (المقلاع) فهذه اداة من الصوف لرمي الحصاة بعيدة يستعملها الصغار والكبار في (المحاذف) . اذن اين التحسحس من المعجالة او اين عانة من مزغانة بون شاسع بينهما .

تحدثت عن التحسحس صفحـــة ١٤٥ وقلت ان هذه اللعبة تسمى عند العرب (الضرب بالمخراق) وحديثي



تقلم : سيف مرزوق الشملان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عن التحسحس عندنا نفس حديث الاخ وبعد ذلك قلت حرفيا : (جاءت في العاب العرب القديمة لعبة شبيهة بلعبة التحسحس بالقتر . ولكنها تختلف عنها بالاسم وفي نوع اللعب ايضا . اذ ان القترةيستعاض عنها هنا بالمخراق) .

ذكرت ما جاء عن الضرب بالمخراق في المصادر العربية القديمة كالمخصص لابن سيده . والقاموس المحيط للفيروزابادي . ولسان العرب لابن منظور ، ثم ختمت حديثي قائلا: (ما جاء عن وصف المخراق فانه ينطبق في لف قترهم للضرب بها في الالعاب التي لها علاقة بالضرب بالقترة كلعبة ياما حلت محلول وغيرها) .

المخراق هو المنديل يلف ليضرب به . اذن هو شبيه بالقترة ولا توجد مقارنة مطلقا بين التحسحس والمعجالة .

٧ ــ يقول الاخ خالد بانني قلت عن الدمل انه في كتب اللغة برفع الدال . وتعبير رفع الدال تعبير خاطىء لان الرفع حركة اعراب الصواب بضم الدال .

عندما قلت برفع الدال اعني بضمها . ولم اتبحر بمعناها من ناحية الاعراب والرفع نوع من الاعراب علامته الضمة وما ينوب عنها . ورفع الكلمة الحق بها علامة الرفع .

٨ ــ يقول الاخ خالد ذكر المصنف لعبة الشلوف وكرر هذا اللفظ مرات عديدة . وهو خطأ صوابه الفلوش .

الخطأ هو ما ذكره الاخ الفلوش الصواب الشلوف من العاب الدوامة وتحدثت عن الدوامة والشلوف صفحة ٢٩٤ . وقد لعبت الشلوف منذ سنوات عديدة وهذا اسمه . انما يجوز ان يسمى الفلوش من فَلَّشَ الشيء ومعناها عندنا كسره حطمه . زد على ذلك ان بعض الالعابيختلف اسمها لدى بعض الاحياء في الكويت وخاصة بالقبلة والشرق . وتحدثت عن هذا الموضوع صفحة ١٠٩ .

٩ ــ يقول الاخ خالد بانني تحدثت عن الجاري الدراجة وان اسمها مشتق من الجري العدو الركض لانها تجري فاسمها اذن عربي . الاخ يعارض هذا الراي ويقول وهذا الزعم لا دليل في اللغة بل لا نجد لهذه الكلمة نظيرا مطلقا وكلمة جاري ليست عربية كما ظن المؤلف بل هي كلمةهندية .

تحدثت عن الجاري صفحة ١٧٠. وقلت ما ذكره الاخ عن اشتقاق اسمها من الجري فسميت الجاري هذا مجرد راي من عندي لا زلت اعتقد صحته . لان البعض عندنا في الحي الشرقي يلفظونها بالجيم جاري او بالقاف الخفيفة احيانا قاري .

لا حاجة الى ان يقول الاخ وهذا الزعم لا دليل له في اللغة . وزعم لفظة ثقيلة الوطء ومعناها معروف وانا لم ازعم انما قولي مجرد راي فقط . وبامكان الاخ ان يقول كلمة الطف واجمل من زعم كان يقول وهذا الراي ، وهذا القول . بدلا من هذا الزعم .

ذكرت ان اول من جلب الدراجة الى الكويت جلبها من الهند . ولم اذكر ان لفظة جاري دخيلة علينا وان اصلها من اللغة انهندية . علمت ذلك بعد طبع الكتاب على نية ان اذكرها في الطبعة الثانية واعلق على اللفظة الهندية نفسها لان بعض الالفاظ العربية دخلت اللغة الهندية منذ القديم ثم بعد ذلك اخذناها من اللغة الهندية على اساس انها هندية في حين انها ترجع في اصلها الى اللغة العربية ومنها مثلا لفظة (چولة) ومعناها (موقد) هذه لفظة هندية شائعة الاستعمال عندنا واصلها عربي (شعلة) اي شعلة النار وهكذا .

١٠ ــ يقول الاخ خالد ذكر المؤلف كلمة اليال اي شاطىء البحر وقال انها كلمة تركية اصلها يول **وهذا وهم اخر من المؤلف** فالكلمة عربية فصيحة واصلها جال ثم قلبت الجيم ياء على عادة الكويتيين في نطق الجيم . هذا وقال ابن منظور في لسان العرب مادة جول الجول والجال والجيل الاخيرة عن كراع ناحية البئر والقبر والبحر .. وجالا الوادي جانبا مائه . وجالا البحر شطاه والجمع الاجوال .

هذا ــ وانحق يقال ــ خطأ وقعت به . والاعتراف بالخطأ فضيلة . ذلك ان بعض الكلماتومنها الجال اليال بحثت عنها في القاموس المحيط ، وفي المعجم الوسيط للمجمع اللغوي ولم اجد في هذين المرجعين ذكرا لها مطلقا بمعنى ساحل البحر . ورايت في بعض المصادر ان ساحل البحر يسمى في اللغة التركية اليول فقلت لا بد وان تكون هذه الكلمة دخيلة علينا اخذناها عن التركية . حيث في لهجتنا المحلية كلمات تركية كثيرة .

كل باحث لا بد وان يقع في الخطأ لان العصمة لله وحده . فهذا الدكتور عبدالعزيز مطر اللغوي المعروف وقع في بعض الاخطاء في كتابه (خصائص اللهجة الكويتية) فيقول صفحة ٩٧ عن الالفاظ الدخيلة علينا فيتحدث عن الالفاظ الهندية ويعد منها (الماش) والماش حب اخضر مدور اصغر من الحمص مشهور عندنا ويخلط مع الارز فتكون منهما الاكلة الشعبية اللذيذة (الموش) . يقول الدكتور عبدالعزيز بان الماش لفظة هندية في حين انها معروفة عند العرب منذ القديم ، وهذا اسمها في المراجع العربية القديمة . فيقول ابن منظور في لسان العرب المجلد الثالث صفحة ٣٤٩ : (الماش حب وهو معرب او مولد) . وفي القاموس المحيط : « والماش حب معروف وخلطه محمود نافع للمحموم والمزكوم ملين . واذا طبخ بالخل نفع الجرب المتقرح وضماده يقوي الاعضاء الواهية » . وفي المعجم الوسيط

حول كتاب

الجزء الثاني صفحه ٨٩٩ جاء عن الماش : « والماش جنس نباتات من القرنيات الفراشية . له حب اخيضر مدور اصغر من الحمص يكون بالشام والهند » .

نفس هذا الكلام عن الماش الذي جاء في المعجم الوسيط نقله الدكتور عبدالعزيز حرفيا في شرح الماش دون ان يشير الى المصدر . وكان الاجدر به وهو المتضلع في اللغة ان يذكر ما جاء في كتب اللغة عن الماش . وان يشير الى المعجم الوسيط الذي اعتمد عليه في الشرح . كذلك يقول الدكتور عبدالعزيز بان لفظة « اوتي » الكواء اصلها هندي في حين انها لفظة تركية « او تچي » وكذلك لفظة « چادر » الملاءة لفظة تركية نسبها الى الهندية و «چويت» لها ذكر في اللغة التركية وانا ارى انها تركية وليست هندية كما يقول الدكتور . ولفظة « خوش » معناها زين طيب جميل لفظة تركية « خوشلك » جعلها الدكتور فارسية ويجوز ان تكون مشتركة بين اللغتين التركية والفارسية .

ذكرت ملاحظاتي حول كتاب الدكتور عبدالعزيز لابين للقاريء الكريم ان لكل جواد كبوة . وان ما ذكرته له علاقة وطيدة بالناحية الشعبية . بقيت كلمة احب ان اوجهها للاخ خالد بان يحذف قوله : « وهذا وهم اخر من المؤلف » انا لم اتوهم . يستطيع الاخ ان يقول كلمة اخرى جميلة غير هذه .

١١ — يقول الاخ خالد باني تحدثت عن حرام زرام ، وحلال بلال، وخلاص ملاص .. ومن الاتباع ايضا قول العرب : « هذا الشيء لك حل بل » وهي نفس الكلمة الكويتية حلال بلال ..

ما ذكرته في الكتاب عن معنى هذه الكلمات ومدلولها اللغوي صحيح سوى حلال بلال فلم اوفق في معرفة مدلولها اللغوي . ومنذ مدة طويلة اطلعت عليها في القاموس المحيط واذا بدل لفظة بلال بفتح الباءبل بكسر الباء حل بل بكسر الحاء والباء ففي القاموس : « والبل بالكسر الشفاء والمباح ويقال حل وبل او هو اتباع.» سأذكر هذه بالطبعة الثانية .

١٢ — تحدث الاخ خالد حديثا طويلا عن الاتباع في اللغة . وهذا الحديث خارج الموضوع وفي لهجتنا المحلية كثير من الاتباع ذكر الاخ بعضها واذكر منها خربوطة بربوطة ، او خرابيط برابيط . خوي موي . سحر بحر .

هذا ما رايت نشره من رد وتعليق على مقال الاخ خالد حول كتابي . وانا على اهبة الاستعداد للرد والنقاش .

سيف مرزوق الشملان

خواطر الصباح

للشاعر الفرنسي
جاك بريفير

وضع القهوة
في الفنجان
وضع الحليب
في القهوة
وضع السكر
في القهوة بالحليب
وبواسطة الملعقة
أدار وأدار
ثم شرب ما في الفنجان
وأراح الفنجان مكانه
دون أن يكلمني ...
أشعل سيجارة
صَعَّد منها
دوائرَ من دخان
وضع الرماد
في المطفأة
دون أن يكلمني ...
دون أن ينظر حتى الي ...
ونهض
ووضع
قبعته فوق رأسه
وارتدى معطف المطر
فقد كانت السماء تمطر
وارتحل
تحت المطر
دونما كلمة أسمعها منه
دونما نظرة يلقيها الي ...

●●

أما أنا
فقد أمسكت برأسي
بين يدي
ورحت أبكي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رأي طريف

في التجديد في الاسلام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

للامام المؤرخ المفسر اللغوي الاديب الحافظ عبدالرحمن السيوطي صاحب « حسن الحاضرة » و « بغية الوعاة » و « المزهر » وغيرها من المؤلفات النفيسة ارجوزة معروفة بين الادباء والباحثين المتخصصين عنوانها « تحفة المهتدين ، باخبار المجددين »، ذكر فيها — من وجهة نظره هو — اسماء المجددين في الاسلام الذين بعثهم الله على راس كل قرن حتى القرن العاشر الذي مات فيه السيوطي ، وذلك استنادا الى حديث روي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ان الله يبعث لهذه الامة على راس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) . فكان مجدد المائة الاولى الخليفة العادل عمر ، ومجدد المائة الثانية الامام الشافعي ، ومجدد المائة الثالثة ابن سريج ، ومجدد المائة الرابعة الباقلاني او اثنان معه منهما الامام الاسفرائيني ، ومجدد المائة الخامسة الامام الغزالي ، ومجدد المائة السادسة الامام الفخر الرازي ، ومجدد المائة السابعة ابن دقيق العيد ، ومجدد المائة الثامنة هو البلقيني او الحافظ زين الدين ، اما مجدد المائة التاسعة فقد كان السيوطي يرجو ان يكون هو نفسه.

هؤلاء هم المجددون في الدين في راي الامام السيوطي ، وقد اكملهم بعض الباحثين الى القرن الثالث عشر الهجري كما رآهم من وجهة نظره .

ولما الف المستشرق الامريكي تشارلز ادمز كتابه المشهور (الاسلام والتجديد في مصر) الذي قدم له المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق، ونقله الى العربية المرحوم الاستاذ عباس محمود — وهو غير عباس محمود العقاد — صدره بمقدمة يقول فيها ان التجديد الاسلامي في مصر اتخذ خلال الربع الاخير من القرن الماضي — تحت زعامة الشيخ محمد عبده — صورة حركة معينة تسعى الى تحرير الدين من اغلال الجمود ، وتتجه الى استكمال اصلاحات توفق بينه وبين مطالب الحياة العصرية المعقدة .

ويفرق المستشرق تشارلز ادمز بين حركة التجديد في مصر في اخريات القرن الماضي ، وبين حركة الاصلاح التي قام بها طائفة العقليين من مصلحي الهنود المسلمين الذين كان همهم الاول منصرفا الى الحركة



بقلم

محمد عبد الغني حسن

الحاجة الى التجديد ، لما ابلى الناس من لباس الدين ، وهدموا من بنيان العدل بين الناس ، فكان الامام عمر بن عبد العزيز عنده مجددا في القرن الثاني لما ابلى قومه بنو امية واخلقوا ، وما مزقوا بالشقاق وفرقوا . وكان الامام احمد بن حنبل عنده مجددا في القرن الثالث لما اخلق بعض بني العباس من لباس السنة ورشاد سلف الامة ، باتباع ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله . وهكذا يظهر المجددون في كل عصر ، ولكن تجديدهم يتجلى في مجال الدراسات الفقهية والشرعية ، او في ميدان الاصلاح الديني ، كالامام الشاطبي في الاندلس ، والسيد صديق خان في الهند ، والبركوي في الترك ، والشوكاني في اليمن .

ولكن هناك — في راي السيد رشيد رضا — مجددون اخرون للجهاد الحربي بالدفاع عن الاسلام ، او تجديد ملكه ، وفتح البلاد له ، واقامة اركان العمران فيه . ويرى رشيد رضا ان هؤلاء المجددين — بهذا المفهوم — كثيرون ، كبعض الخلفاء العباسيين والامويين ، وكالسلطان المجاهد صلاح الدين الايوبي ، الذي كسر جيوش الصليبيين من شعوب الافرنج المتحدة

الثقافية ، والى التوفيق بين الاسلام وبين مطالب المدنية الاوربية المعاصرة. وان كانت الحركتان تتفقان في ان الاسلام دين عام يناسب الناس كافة، ويلائم جميع الصور والثقافات .

والنزوع الى التجديد دائما هو مظهر من مظاهر الحيوية والنشاط في كل حركة وهو احساس بنوع من التطور والتقدم الذي يجب ان يجاري الزمن ، ولا يتوقف عند حالة بعينها . والا كان الامر جمودا لا مبرر له ، ولا معنى لبقائه لانه يولد الصراع دائما بين القديم والجديد .

وقد انطلق التجديد من المجال الديني في الاسلام الى مجالات اخرى، فهناك التجديد في الرسم والتصوير، وهناك التجديد في الفنون الادبية على العموم . وليس القراء الكرام ببعيدين عن حركات التجديد في الشعر العربي ، والتجديد في النثر ، بل التجديد في الادب العربي بجملته .

واذا كان التجديد في فنون من الادب العربي قد كان موضع الاهتمام والدراسات في ابواب معينة من بعض الكتب الحديثة ، فان هناك كتبا قائمة بذاتها في التجديد . مثل كتاب «التجديد في الادب المصري» للمرحوم الاستاذ عبدالوهاب حمودة ، وكتاب «التجديد في شعر المهجر» لانس داود ، وكتاب « حركات التجديد في موسيقى الشعر العربي الحديث » الذي الفه المستشرق س. موريه ، وترجمه وقدم له وعلق عليه سعد مصلوح .

وقد اتخذ التجديد في الاسلام نظرا غير ما كان ينظر به اليه في العصور الماضية . ولعل اول من نظر الى التجديد في الاسلام نظرة اوسع من المفهوم الديني القديم هو المرحوم السيد محمد رشيد رضا تلميذ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده وصفيه ومترجم سيرته .

فالامام المحدث رشيد رضا يرى ان المجددين يبعثون بحسب

واجلاهم عن البلاد الاسلامية المقدسة وغيرها ، وقضى على الدولة الفاطمية الباطنية .

وتوسع السيد رشيا رضا في مفهوم (التجديد) الاسلامي خطوة اخرى ، حين راى ان الشعوب الافرنجية قد دخلت في طور جديد في الفتح والسياسة والعمران ، وان هذا الطور قوامه العلوم الكونية والفنون والصناعات ، والثروة والنظام . وهنا يرى السيد رشيد رضا ان حاجة المسلمين تشتد الى تجديد الحياة المتخلفة . ولا ينهض بعبء ذلك امثال المجددين القدماء بوسائلهم القديمة وحدها . كما يفعل الصوفي الذي يستمد قوته من الاموات ويتكل على الكرامات ، ويفتر بالمنامات ، ولا يطمع في تذليل صعابه، واقتحام عقابه غارق الفكر في النظريات او منقطع الى كتب الشرائع ، واستنباط احكام الوقائع . بل لا بد له من عقول غير عادية ، في رؤوس رجال كبراء غير عاديين ، يحاولون تقوية الامة العربية الاسلامية بالعلم الجديد ، والفن الجديد ، والسلاح الجديد ، والنظام الدقيق في السياسة والادارة والمال ، والتعاون بتوزيع الاعمال ، واستخدام قوى الطبيعة، حتى تقوى على اعدائها ، ولا تكون طعاما لخصومها المتربصين بها فيصدق عليها قول النبي عليه السلام: (يوشك ان تداعى عليكم الامم ، كما تداعى الاكلة الى قصعتها) .

وبهذا المفهوم الجديد الناضج (للتجديد) عد المرحوم السيد رشيد رضا جماعة من المصلحين المسلمين في ميادين الادارة والعمران ، كمحمد علي بمصر ، وفي الحرب ومجاهدة العدو كالامير عبد القادر الجزائري، ويعقوب بك في تركستان الصينية ، وفي السياسة كمصطفى رشيد باشا وفؤاد باشا في تركية ، وخيرالدين باشا في تونس ، وفي ارشاد العامة والبدو الى السلوك الديني القويم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كالسيد السنوسي في طرابلس الغرب.

وقد التقط هذه الفكرة الطريفة في التجديد عالم ازهري مجدد حر الفكر هو صديقنا المرحوم الشيخ عبد المتعال الصعيدي صاحب المؤلفات الجديدة النافعة من امثال : « لماذا انا مسلم ؟ » و « النظم الفني في القرآن » و « القضايا الكبرى في الاسلام » و « السياسة الاسلامية في عهد النبوة » وغيرها ، فاصدر كتابا جديدا طريفا عنوانه: «المجددون في الاسلام ، من القرن الاول الى الرابع عشر »(١) . وقد ادخل في كتابه هذا من مجددي المسلمين كل من رأى فيهم مشاركة في ميادين العلوم الطبيعية والكونية التي تصلح امر المسلمين في دنياهم ، كما تهيئهم العلوم الاسلامية لصلاح امر دينهم.

ولا يعد الشيخ عبد المتعال الصعيدي مبتدعا للفكرة الطريفة في التجديد هذه ، بل هو آخذ لها من السيد رشيد رضا ، وقد وسع فيها في مقدمته لكتاب « المجددون في الاسلام » وعد — على اساسها — عشرات من المجددين بالمفهوم العصري الكوني الذي ذهب اليه الامام السيد رشيد رضا .

ويعلل الشيخ المفكر الحر عبد المتعال الصعيدي لرأيه بأن التجديد في الاسلام بالمفهوم الديني لا يصلح وحده اساسا ، لان امور العبادة في الاسلام لا تقبل التغيير ، فلا بد من التجديد في امور اخر يصلح بها امر الدنيا والاخرة معا ، حتى لا يصبح الامر قاصرا على ما يصلح الاخرة وحدها ، فتتعطل مصالح الدنيا التي سخرنا الله لها ، وسخرها لنا . وعلى هذا الاساس بحث الشيخ الصعيدي تاريخ المجددين في الاسلام ودرسه على انه تاريخ نهوض المسلمين في امور دنياهم ، قبل ان يكون تاريخهم في امور اخراهم .

ومن هنا عد الشيخ عبد المتعال الصعيدي في كتابه من المجددين : صلاح الدين الايوبي ، ويوسف بن علي سلطان دولة الموحدين ، والشريف الادريسي الجغرافي العربي المشهور صاحب كتاب « نزهة المشتاق الى اختراق الافاق » ونصير الدين الطوسي العالم الفلكي المشهور وصاحب المرصد الفلكي المشهور بمراغة ، والسلطان سليمان القانوني صاحب الاصلاحات القانونية ، وغيرهم من المجددين في الاسلام بالمفهوم الذي بداه السيد رشيد رضا ، وتابعه فيه الشيخ عبد المتعال الصعيدي . وهو مفهوم نرجو ان يحقق الله به للعرب والمسلمين خيرا كثيرا ، حتى تكون العزة لهم ، والاثارة اليهم ، ونفوذ الكلمة عندهم ..

محمد عبدالغني حسن

(١) نشرته مكتبة الاداب بالقاهرة في ٦٣٦ صفحة .

تاج العروس ..

ونحن بدورنا نقدم هذه الابيات الطريفة الى وزارة الاعلام علها تراعي توزيع « تاج العروس » وكتب التراث الاخرى الى مستحقيها من العلماء والادباء والمفكرين .

(البيان)

ومساعاة الاستاذ عبدالله زكريا الانصاري

سابقى في الزّمان بلا انيس ... اذا ما فاتني « تاج العروس »
أأخلو منه ، وهو حلاءُ همي ... وأحرمُ منه ، وهو مُزيل بوسي ؟
لقد فتشتُ عنه بكل أرض ... ولم تبخلْ بقنيتهِ فلوسي ..
يمينَ الله ! لم اضننْ عليه ... بمحفظتي ، ولم أبخلْ بكيسي !
وما أنا من يضنّ على كتابٍ ... — معاذَ الله — بالمال النفيس
فمكتبتي تتيهُ بكلّ سفر ... أنيس لِلُمْلِمّ بنا ، الجليس ..

●●●●

بذلتُ له النفيسَ ، فلم اجدْه ... وما أقسى الخسارَ على النفوس
واعياني طلابيهِ ، واضْحى ... أشدّ عليّ من فَرَسٍ شموس
رجعتُ بخيبتي من طول سَعْيي ... بوجهٍ غيرِ مؤتلقٍ ، عبوس

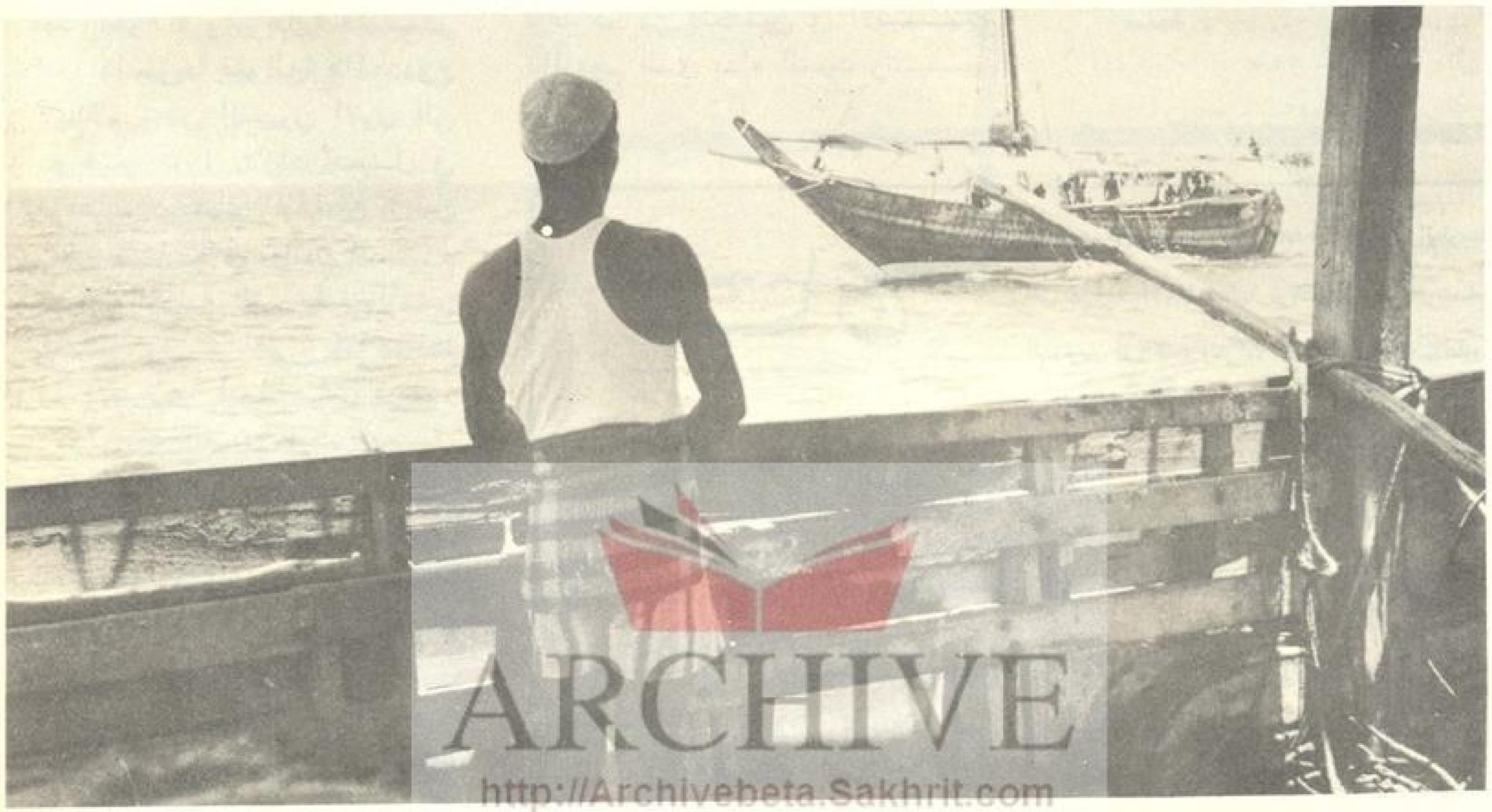
●●●●

سمعتُكَ مائتًا امسي بوعدٍ ... وما انا من وعودكِ باليَئوس !
لعلّ جميلَ سعيك يجتبيني ... ويبقي بالحياءِ على رسيسي
وعلّ (وزارةَ الاعلام) تسخو ... فتهدي التاجَ يومًا للعريس !
فرأسي يا أخي — واللهِ — أوْلى ... بهذا التاجِ من بعضِ الرؤوس ..

محمد عبد الغني حسن ٢٥ شارع الفراكه — مدينة الضباط القاهرة الدقي — مصر ج.ع.م

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« من اسفار البحار وحديث اهوالها في
الماضي القريب .. يورد بحار الامس
قصته هذه الشـــيقة .. للذكرى ! »


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رحلتنا إلى الهند

في عـــام ١٩٤٤م ، سافرنا من الكويت الى البصرة على ظهر السفينة « هاني » وهي احـــدى الســـفن الشراعية التابعة للحاج علي الناصر النجدي ، حيث كنت احد بحـــارتها . واما « النوخذا » ـــ اي : ربـــان السفينة ـــ فقد كان عبدالله ناصـــر النجدي .

في ذلك الوقت ، كانت الســـفن تشحن عـــادة بالتمر من البصرة ، لتحمله بعيدا الى الهند والنيـــار وافريقيا ، اذ راجت حينئذ تجـــارة التمور ، التي كان اصحاب السفن ينقلونهـــا من البصرة الى هاتيك الاصقاع ..

وشاءت الظروف ان نبقى في البصرة مدة خمسين يومـــا دون ان يحالفنا الحظ . فقر قرارنا عـــلى الابحار الى مسكت (اي : مسقط) تلك الامارة العربية الواقعة عـــلى ضفاف الخليج العربي . وما ان انهينا عملية التطعـــيم بالمحجر الصحي في البصرة ، حتى وفقنا الى شحنة من التمر تم الاتفـــاق عليها مع احـــد تجار العراق ، ويدعى الحاج مجبـــل الذكير . وجاء الحاج سلطان بن فهد، الذي يعمل معنا كـ « نوخذا » شراع ، يخبرنـــا بذلك . وما ان اصبحت الحمولة على ظهر السفينة ، حـــتى امر النوخذا بالاقلاع .

●●

كان الوقت مساء ، والجو هادئا ، فوقف البحارة يودعون البصرة وقد امتلأت نفوسهم املا ، ودب النشاط باجسادهم بعد الركود الطويل وملل الانتظار .. واخذت اليابسة تختفي رويدا رويدا عن اعيننا حتى غابت تماما ، وخيم الهدوء .. فما كنت تسمع سوى اصطفاق المياه على جانبي السفينة .

وفي البحر ، تخشع النفوس الى بارئها ، وتتخلص من الشوائب ، فتغدو نقية صافية تحف بها المحبة.

●●

وبعد مضي سبعة ايام ، وصلنا الى مدينة «جوا» ، التي كانت آنذاك تابعة للسلطان سعيد بن تيمور حاكم مسقط . فرسونا في البندر ، وامر النوخذا بانزال « الماشُوَّة » — وهو قارب يستعمل لنقل البحارة من السفينة الى البر . ومن ثم ، توجهنا الى البلدة بغية بيع حمولة التمر . وبما ان الحظ لم يحالفنا في ذلك ، فقد تابعنا طريقنا نحو مدينة كراتشي، عاصمة الباكستان .

شقت سفينتنا عباب اليم ، وهبوب الرياح يحدو بنا ان نواصل سيرنا بدون توقف . وبقينا نمخر العباب يوما وليلة ، امضينا خلالهما وقتا ممتعا ، اذ اقمنا حفلة للرقص الشعبي المحبب الى نفوسنا ، فلم نشعر بمرور الوقت .. واذا بصوت الطباخ يدعونا الى الطعام . فأكلنا كما لم نأكل من ذي قبل . وسرعان ما تركن النفس البشرية الى الراحة، ويجنح الخيال بها الى تشييد الآمال. كل منا يحدث الاخر عما سوف يحمله لاهله ولولده ولاصدقائه من الهدايا ، وعما سوف يقوم به بعد سنوات من مشاريع تدر عليه الارباح الطائلة ... حتى لقد جنح الخيال بأكثرنا ، فاذا نحن جميعا من رجال الاعمال .. ولا عجب ، فسحر البحر عامل مؤثر في دنيا الاحلام . وصفوة القول ان السعادة كانت مرتسمة على وجه كل منا بأجلى معانيها .

كانت تسير بمحاذاتنا سفينة يظهر من العلم المرفوع على ساريتها انها تابعة لاهل « لنجة » من بلاد فارس ، وكنا قد اصبحنا على مقربة من مدينة بارسني وهي مدينة تقع بالقرب من مدينة كراتشي وكانت الشمس قد شارفت على المغيب .. الغيوم اخذت تتجمع احيانا وتنفرج احيانا اخرى ، وفجأة لمع البرق وقصف الرعد وانهالت الامطار كأفواه القرب ، وما هي الا دقائق حتى اشتدت بشكل مرعب ، لدرجة ان الامطار المتساقطة من السماء تلاحمت مع مياه البحر فارتفعت السفينة على ظهر الامواج العاتية ، ومن ثم هوت فانقلب جميع من فيها وكادت عظام اجسادنا ان تتحطم . كل منا يحاول الامساك بجوانب السفينة ليعيد توازنه ، وما ان نقف حتى ننقلب ثانية ونحن لا نكف عن المحاولة لانقاذ السفينة من الغرق بعد ان مزقت الرياح المزمجرة اشرعتها . ولكن بدون جدوى ، فالسفينة اصبحت كريشة في مهب الريح تتلاعب بها العواصف والامواج والامطار .

صراع مرير مع الطبيعة القاسية ، لقد الجمت المفاجأة السن الرجال ودارت معركة قاسية بين الموت والحياة ، كل يسارع ليعيش مبعدا عنه شبح الموت القريب منه قاب قوسين او ادنى .. حب البقاء دفع الهمم الى القيام بالمستحيل ، فالجميع يحاولون الصمود والامواج الهائلة كالجبال الزاحفة تلطمهم بعنف فتقذف بهم ساخرة مستهزئة من عجزهم وهم الذين كانوا منذ دقائق يحلمون بالسعادة من مركز القوة .



صوت الربان يرتفع مخترقا حواجز البرق والرعد وهدير الامواج ، يحث همم الرجال بالقاء قسم من الحمولة ليخفف الضغط على السفينة بعد ان ملأتها المياه ، وبكل ما بقي من قوة نهض الرجال كرجل واحد والقوا قسما من الحمولة وبعض الامتعة في قاع البحر وهم يرددون : انا اشبيدي .

طال العذاب .. وعقارب الزمن توقفت ، فليس لهذا الليل المدلهم من اخر ، واصبح امل النجاة ضئيلا ، فخارت القوى بعد الجهد المضني . كل في دخيلة نفسه اعتقد ان رفيقه لقي حتفه .. فشل ذلك كل مقاومة منه وجفف في مآقيه الدموع .

انفجار هائل صم آذاننا فتملكنا الذعر اذ اعتقدنا ان سفينتنا قد اصطدمت بالسفينة العائدة لاهل « لنجة » .. ومعناه ان النهاية قربت .. فتركنا الامر لله .

ولكن الشمس عادت لتلامس اجسادنا بحنان ورقة .. وها نحن نعود رويدا رويدا الى عالمنا ، غير مصدقين اننا لا نزال على قيد الحياة. كل منا يتحسس جسده بيديه ليتأكد من وجوده سالما . واصوات الفرح تتعالى : لقد نجونا ، لقد نجونا ، الله اكبر .. الله اكبر .. الى الصلاة .. الى الصلاة .

« لقد ولدنا من جديد »

تابعت السفينة سيرها ، فوصلنا مدينة كراتشي واقمنا بها (١٢) يوما ، نروح عن انفسنا عناء السفر الشاق ، ونجدد نشاطنا ، ومن ثم تابعنا سيرنا حتى وصلنا « بومباي » ، احد موانىء الهند ، فبعنا القسم المتبقي من حمولة التمر.

كان هذا في عام ١٩٤٤ وهو من اعوام الحرب العالمية الثانية ، حينما كانت الهند مستعمرة بريطانية ، يتمركز بها الجيش البريطاني بكامل عتاده الحربي ، وكنت ترى ميناء بومباي يعج بالسفن الحربية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البريطانية المملوءة بالذخائر .

وذات يوم ، توجه اغلب البحارة الى داخل البلد ، وبقي ـ كالعادة ـ البعض منا لحراسة السفينة ، وفجأة دوى انفجار مروع، وشبت النيران في الميناء ، واخذت اصوات المتفجرات تنطلق ، واصبح الوضع اشبه بجبهة قتال .. فهب الاهلون يتسقطون الخبر . وقد كثرت الاشاعات حول ذلك واسرعنا بدورنا وقلوبنا واجفة الى زملائنا الموجودين بالسفينة ، فلم نتمكن من الوصول اليهم لان سلطات الامن منعتنا من ذلك .

بقينا عدة ايام نراجع السلطات المسؤولة وقد سيطر القلق علينا كليا وقطعنا الرجاء من حياة الزملاء ، سيما وقد علمنا ان حصيلة الحريق من الضحايا بلغت ثلاثين الف ضحية. فاقشعرت ابداننا لهذه الكارثة المروعة ، ويظهر ان الاقدار التي ابتسمت لنا بعد محنتنا الاولى عادت وقلبت لنا ظهر المجن وفقدنا اخواننا، فاذ بلساني يلهج : كالمستجير من الرمضاء بالنار .

ومن اليأس القاتم برز شعاع الامل من كلمات السلطات التي طلبت منا التوجه الى رصيف « داروخان »، فمن الجائز ان تكون سفينتكم قد نجت مع من فيها ، فأسرعنا نسابق الريح ، واذ نحن امام السفينة سالمة مع ركابها . فكان عناق ودموع ، لان كل فريق اعتقد انه لن يشاهد الفريق الاخر بعد اليوم .. فالرجال الموجودون بالسفينة كان عندهم نفس الظن فقد اعتقدوا اننا لقينا حتفنا من جراء الانفجار .

أبحرنا بالسفينة يوما وليلة ، وحللنا بمدينة تسمى « جانجيرة » ريثما تمكنت السلطات من اخماد الحريق الذي دام (٢٢) يوما .. وفي هذه المدينة التقينا بتجار من العراق، وقمنا بشحن بضائعهم ووجهتهم مسقط رأسنا (الكويت) ..



بقلم
عبدالله
عبدالعزيز
الدويش

في ذلك الوقت من السنة تكون الرياح شديدة السرعة ، فتمتنع السفن من السفر .. فالمجازفة غير محمودة ، ولكن الشقاء الذي كابدناه دفعنا الى العودة فقد اشتاقت النفوس الى اهلها .

كان على ظهر سفينتنا رجل طاعن في السن مع ولديه بطريق عودته الى بلده صور البلدة الواقعة على ساحل الخليج العربي ، وكان هذا الرجل معروفا بانه عالم فلكي ، فكان ينادى : بالمعلم .

بعد مضي يوم وليلة ، التقينا بسفينة تسمى « ابو تنور » عائدة للمرحوم ثنيان ثنيان الغانم ، وجهتها الكويت ، بقيادة النوخذا الحاج جاسم ابن ناجي، فاجتمع ربانا السفينتين وبعض الملاحين يتشاورون بالامر وبما سوف يتعرضون له من المخاطر في حال متابعة السير بسبب الرياح ورداءة الطقس ، وقد شارك في هذا الاجتماع المعلم (الفلكي) فأبدى رايه قائلا : ان هذه الشدة التي تخشونها سوف تزول بمجرد ابتعادكم مسافة اربعة زامات لان الرياح سوف تتبدل ، ولكن اجمع الراي على العودة الى « جانجيرة » فقد خشي الجميع مغبة المجازفة .

شيطان البحر ، اسطورة خرافية ، يتناقلها البحارة ويتندرون بها في مجالسهم ، منهم من يصر على وجوده كحقيقة مرئية ، وآخرون يعتبرون ان هذا الامر ما هو الا احلام بحارة ، جسدتها القصص الخرافية المتداولة بينهم .

شيء ما يتحرك في البحر . احد البحارة يشير بيده وقد تملكه الهلع .. شيطان البحر ، انظروا .. شيطان البحر ، اعناق الرجال تتطاول وقد انصبت نظراتهم الى البحر ، الذعر يوشك ان يفقد البعض صوابهم فقد تراخت منهم المفاصل ولم تبدر اية بادرة نحو هذا الطارق المفاجيء لمعرفة نوعيته .

صوت الربان يعيدنا الى واقعنا ويطلب منا الاسراع بالتأكد من وجود البحارة سالمين فقمنا بعملية التنادي وهي عادة يتبعها البحارة ، فاكتشفنا فقدان الطباخ محسن المهري .

خلال دقائق اصبح (الكيت) ، القارب الصغير ، في عرض البحر ، عليه بعض الرجال لانقاذ الطباخ ، وارتفعت المشاعل من على ظهر السفينة ، واخذت الاصوات المتعالية تخرج من الحناجر تشق عنان السماء تناديه .. ولكن بدون جدوى ... فقد اختفى .. ولم نعثر له على اثر رغم التفتيش المستمر طيلة الليل .. فخيم حزن شديد على الجميع .

البسجال : كلمة تعني البقاء حوالي عام بسبب رداءة الطقس .. وقد اصبح من المؤكد ان نطبق معنى هذه الكلمة ، ونقضي في « جانجيرة » هذه المدة .

مكثنا في « جانجيرة » عدة ايام، وقد خيمت علينا الكآبة وتسرب الملل الى نفوسنا وظهر ذلك جليا واضحا من تصرفاتنا ، وقد شبهت وضعنا في تلك الاونة (كالايتام في مأدبة اللئام).

التذمر يزداد يوما بعد يوم ، مما دفع البحارة الى اعلان التمرد، وكانت كلمة (المعلم) السابقة خير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حافز على تمسكهم بموقف العودة ، وعلم الحاج ثنيان الغانم بالامـــر ، فأسرع نحونا يصحبه علي النـــاصر النجدي ، ولدى اصرارنا على السفر وافق كل منهما على مطلبنا ، وقـــد اغضب هذا التصرف النوخذا جاسم الناجي ، فقرر التخلف عن الســـفر والبقاء في البلدة .

الســـعادة ما هي الا ردة فعل الى الجزئيات المنبثقة عن المصـــاعب التي تواجه الفرد فحياة الاستكـــانة معناها العفونة المتآكلة والابتعاد عن سبر غور مباهج الحياة .

معالم الوطن اخـــذت تظهر تدريجيا للعيان بعد رحلة امتدت ردحا طويلا من الزمان ، وانهمرت دمـــوع الفرح ، الاهل والاصحاب ينتظرون ، اف لهذه السفينة .. ما بال حركتهـــا بطيئة ، لا بل اصبحت قطعـــة من صخور البحر الناتئة ، انها لا تتحرك .

رباه ، انني لا اكاد اصدق أنـــا في يقظة ام في منام .. يـداي ترتفعان الى عيني وتفركانهما بقوة .. ما أراه هو الحقيقة ، حمدا لله فقد نجت هي الاخرى ، انها السفينة العائدة لاهل « لنجة » والتي اعتقدنا انها اصطدمت بسفينتنا . اذن لم يكن هناك اصطدام، هذا صحيح ، والا لكانت سفينتنا قد تحطمت هي الاخرى ، رباه لماذا غاب ذلك عن بالي حتى جميع البحـــارة غفلوا عن ذلك ، بالتأكيد فان مرجـــع ذلك يعود الى ما كابدناه من عناء .

ان اجمل ما في الحياة ان تشاهد من تعتقد ان الزمن طواه .. الناس من على الشاطىء يضربون بالدفوف. العرضات على قدم وساق .. الفرحة تعم الجميع وهم يرددون (الحمد لله على السلامة) .. (ربنا رب كريم).

المفاجآت المفرحة تتلاحق ، انه هو ، هو بذاته .. انه الطباخ يتقدم الجميع ، يلوح بيديه بانفعال وقوة .. قفزات متتالية واذ هو بيننا يقبـــل هذا ويضم ذاك .

بعد ان هدأ انفعـــاله قال : اثناء وقوفي على سطح السفينة امتع نفسي بنسمـــات المســـاء المنعشة فقدت توازنـــي ، واذ بي اتخبط في البحر ، فتملكني خوف لم اشـــعر بمثيله في حياتي ، فقمت بمحـــاولات عديدة لانبهكم لتقوموا بانقاذي ،ولكن محاولاتي ذهبت ادراج الرياح ، وبت بين الفينة والاخرى اتوقع ان تلتهمني الاسماك .. اخذت قواي تخور بعد الجهد الجبار الذي بذلته .. والميـــاه تتسرب الى معدتي .. وبعـــد فترة قصيرة فقدت الوعي .

فتحت عيني فشاهدت وجوها جديدة لم تقع عيني عليها من قبل ، وانا متوسد على الفـــراش ومن ثم رحت في ســـبات عميق .

اجرى المسؤولون في الســـفينة تحقيقا معي ، فقد خشوا ان اكون جاسوسا وقد علمت من المحقق وهو شاب في مقتبل العمر يتكلم العربيـــة بطلاقة ان السفينة التي انقذتني هي سفينة تابعة لمدينة « جوا » وهذه المدينة تقع تحت نير الاستعمـــار البرتغـــالي .. هذه السفينة كانت تقوم بمهمة خاصة ، فشاهدني احد بحارتها اتخبط في الماء ، فانتشلوني وكنت قد غبت عن وعيي .

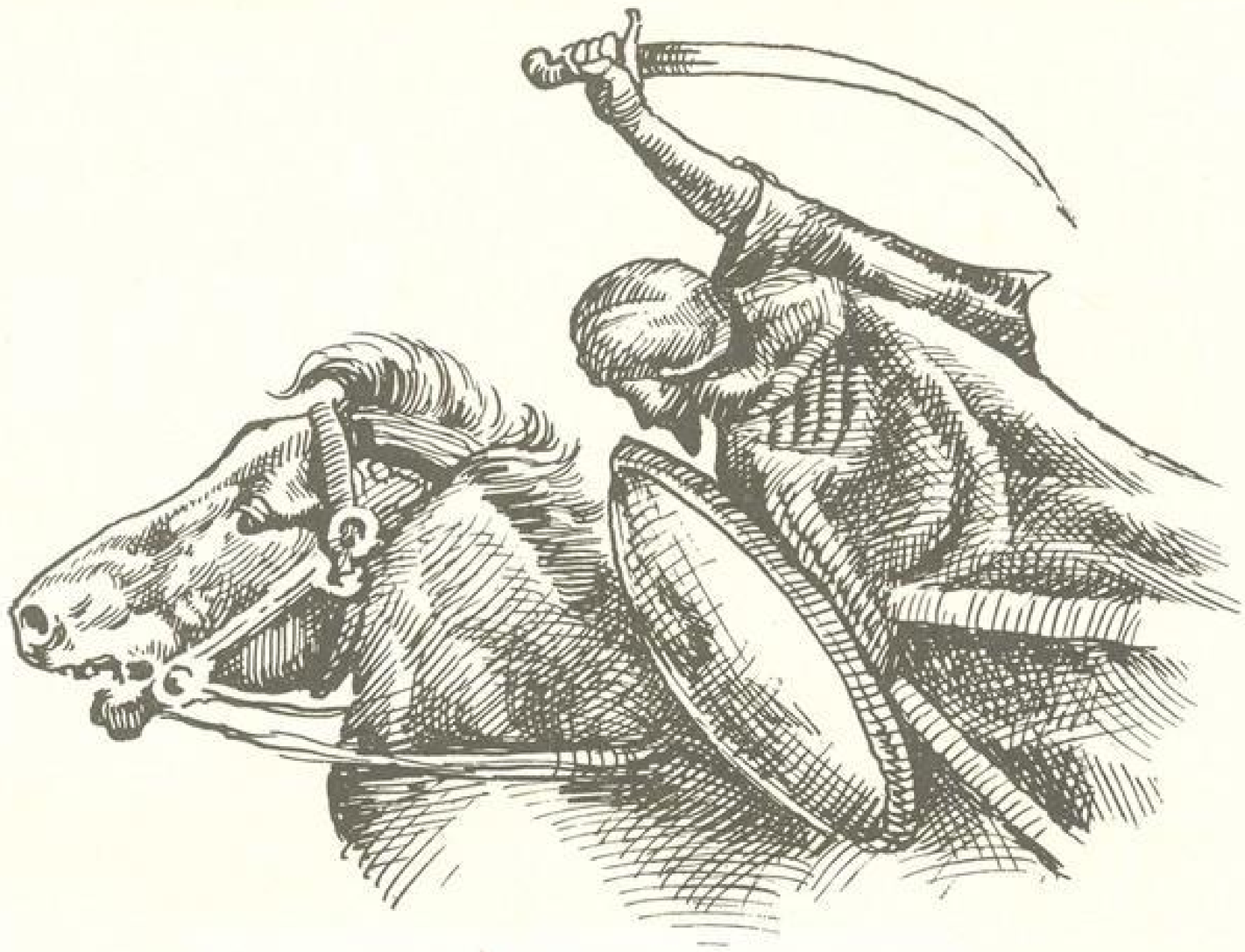
وبعد انتهاء التحقيق معي تقرر تسليمي الى السلطات المختصـــة في بلدة « جوا » .. هذا وقـــد قامت سلطات هذه البلدة ايضا بتحقيق اخر ايضا كانت نتيجته ارسالي الى مدينة بومباي حيث توجد جالية كبـــيرة من الكويتيين وهم بدورهم يقومون باعادتي الى الوطن . وهكذا تم ، وختم كلامه قائلا : لولا العنـــاية الالهية لمـــا شاهدتموني بينكم اتبـــادل واياكم الحديث .

تفرق شمل الرفاق .. كل سلك طريقه مع ذويه .. وقبل ان اغـــادر الشاطىء القيت نظرة طويلة عـــلى البحر وانا اردد قول عمرو بن العاص « يا امير المؤمنين ، اني رايت البحر خلقا كبيرا يركبه خلق صغير ، ليس الا السماء والماء ، ان ركد احـــزن القلوب ، وان ثار ازاغ العقول يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة ، هم فيه كدود على عود ، ان مال غرق وان نجـــا برق » .

الكويت

عبدالله عبدالعزيز الدويش





يا أُمَّتي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما أرْوعَ الشّعبَ مُلتفاً لغايتـــه ... وبين كفّيهِ ما في الأفقِ من شُهبِ
ومستثاراً بأمجادٍ ، وألويـــةٍ ... وصحوةٍ ، وأحاسيسٍ من اللّهبِ
وفتيةٍ جُدُدٍ إن قُلْتَ : فانتسبوا ... قالوا – بِفَرْحَةِ عُمْرٍ – نحن للعربِ
فلا يغرَّنْكَ أنـا ههنا ، وهُنـا ... نظلّ في مرجَلٍ يغلي من الغضب
وأننا – وأراضينـا مقسّمةٌ – ... نعيش ما بـين سَفّاحٍ ومنتهب
فنحنُ فينا نهـارٌ لـن يضيّعنـا ... ونحن فينا حياةٌ حرةٌ .. ونـبي !

* * *

إنا حملنا إلى الدنيا حضارتَنـــا ... فاستعصمتْ..ثم لاحَ الفجرُ عن كَثَب
قدنا الحيـاةَ بأفكار مجنّحـــةٍ ... وبالجسارةِ مـن آبائنا النُّجُـب
لكننا لـنْ نعيشَ اليومَ في كُتُبٍ ... «فالسيفُ أصدقُ أنباءً من الكتب» !
ولنْ ننامَ فَقِدْماً قال قائلُنـا ... والجيشُ يَبْقُرُ بطْنَ الروم بالقُضُب
«لبيت صوتاً زبطرياً هرقْتَ لـه ... كأسَ الكَرَى ورضابَ الخرّدالعُرب
أجبته معلِناً بالسـيف مُنْصَلِتـاً ... ولو أجبْتَ بغيرِ السّيف لم تجب ! »

* * *

يا أمّتى .. وعليك النورُ موتلـقُ ... وفيك أروع مافي الأفقِ من سُحُب
فكلّ خفقةِ نجمٍ فـوقَ ليلتنـا ... ترفُّ في قصة ، أو منظر عَجَب
وكلّ رعشةِ روضٍ ترتمي مرحاً ... على القصائد في لين وفي طـرب
إنا حرسناك بالأبيات ثائـرةً ... وبالضجيج الذي يهتاج في الخطب
وبالذي يترامى غـامِضاً قَلِقـاً ... في ذلك العالم المرصوص من أدب
حتى غدوت استعارات وأخيلـةً ... وألف ألف طباق فارغ العُلـب
فليت أنّا على ما قيلَ مـن خَدَرٍ ... نظلّ نرخى-غِضابا-أكتافَ الحجب

* * *

يا أمتي لن يقود اليومَ رايتَنـا ... جميعُ مـن رأسُهُ فوّارة الحَبَبِ
ومـن يعيشُ يرائينا ويذبحنـا ... ويوقد النّارَ بعد النار في الحطـب
ومـن يظلّ يقولُ :الحرب شِرْعتنا ... فإنْ دَعَتْه دَواعي الحربِ لم يُجَبِ
إنا على الرّغم مما في مسيرتنـا ... من الجِراحِ ، ومن همٍّ ،ومن نَصَب
نظلّ نُصغي - على أرض مطهمة- ... للفجْر وهو يغنّي نصفَ مُحْتَجب
كمْ ليلةٍ قـد قطعناها بلا أمـلٍ ... حتى أتى الصّبحُ محمولاً على التعب
وكم جروحٍ غدتْ وردا،وكمْ ألمٍ ... غدا قصائد في أجفان مغـترب !

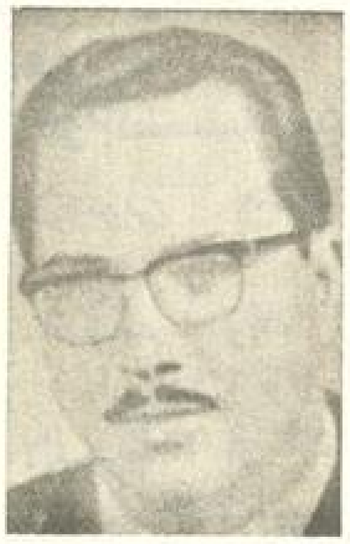
* * *

آمنت بالشعب لم تضعفْ عزيمتُـه ... ولم يخرَّ إلى الأذقانِ والرُّكَـب
ولم يقضّ الدّجى سأمانَ منطرحـاً ... ولم يقضّ الضّحى في ساحة اللعب
لكن يهم فتغدو الأرضُ لؤلـؤةً ... ويَرْتمي فترى في منظر عجـب
ويبذرُ الحبةَ العذراء عاصيـةً ... فتستحيلُ عناقيداً مـن الذهب
فنحنُ من أمةٍ إن جـفَّ جانبها ... أعْطتْ جوانب تَسْتَعصي على العطب
ونحنُ من أمةٍ شماء شامخـةٍ ... تظلّ للحَقّ-فوقَ الأرضِ-كالنُّصُب

* * *

الله يا أمتي من بعد عثرتهـا ... تعودُ تَسْطعُ في أثوابها القُشُـب
وكلّ نورٍ يُرى من بين جبهتهـا ... وكلّ غيمٍ يُرى من أفقها السَّكِب
ولنْ يعودَ عليها وجهُ مُبْتئِـسٍ ... ولن يعودَ عليها خطْوُ مكتئبِ !

«عبده بدوي»



للشاعر
عبده بدوي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قانون النقد الأموي

في ظل الشعراء والأدباء والرواة

بقلم : أبو طالب زيان

يخطىء من يظن ، ان العرب عرفت النقد ، بمعنى القواعد والاصول ، في اي عمل من اعمالها ، في اي عصر من العصور ، واتخذت من العمل المنقود وسيلة لتقعيد قاعدة ، او رسم منهج ، او تحديد هدف .

والدليل ابلغ الدليل ما سار عليه العرب في العصرين : الاموي والعباسي ، وهما العصران اللذان بلغت فيهما البلاغة العربية اوجها ، وتميزت بذلك الطابع الذي غلب عليه الذوق واتسم بالشعور ..

كانت احكام النقد في العصر الاموي بخاصة ، تجري على الفطنة في التعبير ، وتسير على الدقة في الموازنة ، غير عارفة بقواعد النقد المتعارفة اليوم ، او التقييم على اساس عمل المنقود او ذاته ، بل كانت تسير وفق الدافع ، وتقف عند ما يستحق الوقوف وتسير على هدى الخلفاء انفسهم والادباء والشعراء والرواة الذين وضعوا للنقد موازين تقوم على التحليل والتعليل : فضعف القافية عند ابن قيس الرقيات يكون موضع مؤاخذة في قانون النقد الذي تذوقه عبد الملك بن مروان ، وهو ينشده :

ان الحوادث بالمدينة قد
أوجعنني وقرعن مروتيه
وجبينني جب السنام ولم
يتركن ريشا في منكبيه

وتصلح سكينة بنت الحسين شعر كثير عزة ، وتنقد تمثله بمنديل عزة الرطب ، وتحيله الى امرىء القيس في تمثله وتشبيهه :

الم تريـاني كلما جئت طارقا
وجدت بها طيبا وان لم تطيب

وتنشد ليلى الاخيلية الحجاج الثقفي :

اذا ورد الحجاج ارضا مريضة
تتبع اقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها
غلام اذا هز القناة سقاها

فقال لها الحجاج : لا تقولي : « غلام » ، ولكن قولي : « همام » .

والمتتبع لهذا النهج من النقد ، وهذا الميزان الذي حمله الخلفاء والشعراء والرواة ، يرى ان النقد كان يعتمد غالبا ، على الالفاظ ، او المعاني ، او التشبيهات دون ابداء الراي ، او الادلاء بوجهة النظر في العمل المنقود ، وان يكن التعليق الذي يقع عقيب كل قول ، او غب كل انشاد .

وقد اتاح كثير لعزة ان تعلق على شعره وتسمه بانه اخطأ المرمى ، وجانبه الصواب من حيث يريد هو غير ذلك :

الا ليتنا يا عز من غير ريبة
بعيران نرعى في خلاء ونعزب

كلانا به عر فمن يرنا يقل
على حسنها جرباء تعدى واجرب
اذ ما وردنا منهلا هاج اهله
الينا فلا ننفك نومي ونضرب

وقد يكون النقد مبنيا على الفطنة ، وعدم فهم الشاعر لما يحب المدوح او يرضى ، كما وقع لذي الرمة . وهو يمدح بلال بن ابي بردة ، فرماه بلال بعدم التفطن ، ومراعاة مقتضى الحال ، ورده ردا كان لا يبغيه الشاعر ، لاسيما وهو يؤمل نواله ، وينتظر عطاءه :

رأيت الناس ينتجعون غيثا
فقلت لصيدح : انتجعي بلالا

ومن ذلك ما وقع للشاعر كذلك وهو ينشد عبدالملك بن مروان :

ما بال عينك منها الماء ينسكب
كانه من كلى مفرية سرب

وهنا غضب الخليفة ، وظن ان ذا الرمة يعرض به . لان عينه كانت تدمع دائما .. وقد يحسب شعر الشاعر عليه ، وهو لا يدري بعاقبة الحساب ، وجريرة هذا القول ، فيؤخذ بهذا الذنب ، وهو يظن انه اصاب او وصل الى ما لم يصل اليه غيره ..

استاذن جرير على سكينة بنت الحسين فلم تاذن له ، وخرجت جاريتها فقالت : تقول لك سيدتي : انت القائل :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا
وقت الزيارة فارجعي السلام ؟

قال نعم ..

قالت : افلا اخذت بيدها فرحبت بها وادنيت مجلسها وقلت لها مثل ما يقال لمثلها انت عفيف .. خذ هذين الالفين من الدراهم والحق باهلك .

ولعب الرواة في حركة النقد في العصر الاموي دورا خطيرا . حتى ان اي كلام في نظرهم يمكن النفاذ منه بعيب . او اطراح حلاوته وابداله بما يحلو لهم ان يزوقوه في عرفهم او علمهم .

عاب هؤلاء الرواة على الشماخ بن ضرار قوله :

اذا بلغتني وحملت رحلي
عرابة فاشرقي بدم الوتين

وقالوا : كان ينبغي ان ينظر لها مع استغنائه عنها ، فقد قال رسول الله للانصارية المأسورة بمكة، وقد نجت على ناقتها ، حين قالت يا رسول الله ، اني نذرت ان نجوت عليها ان انحرها ..

فقال الرسول : لبئس ما جزيتها ..

وعابوا على ذي الرمة متابعة الشماخ في هذا حين قال :

اذا ابن ابي موسى بلالا بلغته
فقام بفأس بين عينيك جاز

ووقفوا بجانب قول عبدالله بن رواحة الانصاري. يؤيدونه فيما ذهب اليه . ويفضلونه على ذي الرمة والشماخ :

اذا بلغتني وحملت رحلي
مسيرة اربع بعد الحساء
فشأنك فانعمي وخلاك ذم
ولا ارجع الى اهلي ورائي

والعيوب الشعرية في مذهب هؤلاء الرواة كثيرة وان كانوا يسيرون فيها على نهج التعديل والتبديل دون ذكر لوجهة نظرهم . او تفضيلهم معنى على معنى ، او لفظ على اخر ...

اخذوا على الفرزدق قوله :

اذا التفت الابطال ابصرت وجهه
مضيئا واعناق الكماة خضوع

وقالوا في التعليل او الخطأ على السواء ، اخطأ الشاعر في الترتيب . واساء القسمة . وكان الاجدر به ان يقول : ابصرته ساميا . واعناق الكماة خضوع ...

كذلك وقفوا من الاخطل وقفات كثيرة ، ابتغاء النيل منه . او تعريفهم بالمذهب النقدي الذين يريدون في الشعر .

واظهر ما تجلى ذلك في مدحته لعبد الملك :

وقد جعل الله الخلافة فيهم
لابيض لا عاري الخوان ولا جدب

وسلكوا مع الاخوص هذا المسلك ، وشدوا انتباه النقدة الى ما اتاه الشاعر في قوله لعبد الملك:

واراك تفعل ما تقول وبعضهم
مذق الحديث يقول ما لا يفعل

قال الرواة في تخطئة الشاعر فيما ذهب اليه : ان الملوك لاتمدح بما يلزمها فعله . كما تمدح العامة . وانما تمدح بالاغراق والتفضيل بما لا يتسع غيره لبذله .

على ان الخلفاء قد ادلوا في هذا المجال العريض بدلاء كثيرة ، ذهبت بين العرب وشاعت على السنة الشعراء ، دليلا على الاطلاع . واشاعة لهذا اللون ان ياخذ بنصيب في دنيا الادب العريضة حتى لا يندفع شاعر دون مراجعة لشعره . او ينشده ولا يخاف النقدة الذين يقفون له بالمرصاد.

والواقع ان عبد الملك بن مروان ، كان محك هذه النقدات ، وفارس هذه الحلبات . والمرجع الاول في كل ما يقال او يقع او يذاع على السنة الشعراء والادباء .. فحين ولي الخلافة وفد عليه كثير من الشعراء . يبغي كل منهم قربه او وصله ببضاعته

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قانون النقد الأموي

التي يعيش لهـا ويعتمد عليهـا في الزلفى والتقرب .. وكان من بين هؤلاء : الشـاعر كثير الذي تردد وفي ترداده ، يفوح منه عطر الشعر ، واريج المدائح ، حتى كان عبد الملك نفسه يحلو له ان يرفع صوته بما قاله فيه كثير ، ويتعمد ذلك بمجلس الشـعراء الذين يهمهم افسـاح المجال امام شعرهم ، وخـلاء الميـدان دونـهم ..

انشـد الخليفة قول كثير فيه حين اخذه الخلافة، وكان الاخطـل يحضر مجلسه :

فمـا تركوهـا عنـوة عن مـودة
ولكن بحـد المشـرفي استقالهـا

فقال الاخطل : ما قلت والله يا امير المؤمنين احسن منه : قـال : وما قلت فأنشـد :

اهلـوا من الشـهر الحـرام فاصبحوا
موالي ملـك لا طريـف ولا غصـب

ثم قال : جعلتها لك حقـا ، وجعلك قد اخذتهـا غصـبا .

قال الخليفة : صدقت .. اقرارا منه بصواب مـا ذهب اليه ، وافساحا لمجـال النقـد امام الخليفة نفسـه .

ومثل هذا الصدود او الانصراف ، او الطعـن ما وقـع للاخطـل نفسه حين انشـد الخليفة :

فاذا تعـاورت الاكف زجـاجها
نمحت فشـم رياحهـا المزكـوم

فقال الشعبي وكان حاضرا مجلس الخليفـة ، اشعر منه والله ، اعشى قيس وهو يقول :

من الـلائي حملـن عنّى المطـايا
كريـح المسـك تسـتل الزكـاما

فلم يسع عبد الملك الا ان صـدقه في حكـمه ، ووافقـه على نقده ، بعد ما كان مغرما بقول الاخطل ... واتخذ النقد طرائق عدة في عهد عبد الملك وابنه سليمـان الذي سـلك في النقد مسلكا يغاير مسلك ابيه ، وحكما اقرب الى الاستبدال دون اتخـاذ الاسـباب كذلك او دون ابداء وجهة النظر ، فحكمه على الشعراء الثلاثة : جرير والاخطل والفـرزدق فيه انتقاص او حط لشاعرين ، ورفع لثالثهما وتفضـيله بما تـرك غمزة في هذا الحكم ، وابطـالا لاحكـام هذا النقد ، وتقويضا لدعائمه التي لم تقم على اسـاس، من العـدل والانصاف ، حتى لقد تعدى الحكم احسن واقبح بيت في عهـده وعهد ابيه من قبله ، بل لقـد اتخذت الافضلية من وجهة النظر المروانية ان قـال مالك بن الاخطل عن جرير والفرزدق : « وجدت جريرا يغرف من بحر والفرزدق ينحت من صخر » فقـال له الاخطل : « الذي يغرف من البحر اشعرهما » ولم يبد لمـاذا .. او سبب ذلك ؟؟

والصور النقدية كثيرة في هذا العصر الذي اتسع لاكثر من ناقـد وناقدة وان كان حكمهـم قد مشى في مذهبهم النقـدي ، على الافضلية المطلقة في المعنى او اللفظ او السـياق .

يروى ان الفرزدق الشاعر خرج يريد الحج ، فلما قـضى حجـه ذهب الى المدينة ليجلس الى شيخة النقـاد في ذلك العصر : سكينة بنت الحسين .. فلما اتخـذ مجلسه بعد الاذن والسلام .. قالت له سكينة : من اشعر الناس يا فرزدق ؟

قـال : انا ...

قالت : كذبت .. اشعر مثلك الذي يقول :

بنفسـي من يجنبـه عزيـز
على ومن زيـارته لمـام
ومن امسى واصـبح لا اراه
ويطرقني اذا هجع النيـام

فقـال الفرزدق : انا والله لو اذنت لاسمعتك احسن منـه ..

قالت سكينة : اقيموه الى الغد وانتظروه ليعود.. فاذا كان الغـد ، عاد الفرزدق فدخل الى المجلـس يتيـه بنفسه ويختـال بزعامته فقالت له سكينة :

من اشعر النـاس يا فرزدق ؟

فقال الشـاعر : انا .

قالت الناقدة : كذبت .. اشعر منك صاحبـك الذي يقـول :

لولا الحيـاء لعـادني استعبار
ولـزرت قـبرك والحبيب يزار
كانت اذا هجـر الضجيع فراشها
كتم الحـديث وعفـت الاسـرار
لا يلبـث القرنـاء ان يتفرقوا
ليـل يكر عليـهم ونهـار

فقال الفرزدق : والله لو اذنت لي لاسمعتـك احسن من هذا ؟ فأمرت سكينة من حولها باخراجـه وامهـاله حتى الغد : فعـاد الشاعر الى مجلسـها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فوجد حولهـــا مولدات لها كأنهن التمـــاثيل ؟ فراعى الفرزدق واحدة منهن ، ملكت عليه نفسه وحسه .. فقـــالت له سكينة : من اشعر الناس يا فرزدق ..؟

قـــال : انـــا

قالت سكينة : كذبت صاحبك اشـــــعر منك حيث يقـــول :

ان العيـــون التي في طرفها مرض
قتلننـــا ثم لم يحيين قتـــــلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به
وهن اضعف خلق الله انســـــانا

فعـــاود الفرزدق امهاله ، فلم تجد الناقدة بدا من اخراجه وعدم اجابته لرجائه في معاودته زيارتهـــا وحضور مجلسها ، وهو في نظرها لم ينفع فيه هـــذا الاستنفار ، او هذا الحث على الاتيان بما عنـــده ليكون الفرزدق ، كما يدعي وتتجلى فيه : (الانا) كمـــا يقـــول ..

وهنا لم يجد الشاعر مناصـــا من وقفة يثير بهـــا كامن العاطفة في قلب سكينة .. فقـــال :

يا بنت رسول الله ، ان لـي عليك حقـــا كبيرا ؟

قالت وما هو ؟

قال الشاعر : ضربت اليك اباط الابل من مكة ، وسلكت اليك وعر الطريق ، بغية التسليم عليـــك ، وحضور مجلسك فكان جزائي طردي وتكذيبي وتفضيل غيري من الشعراء علي ، ومنعي من ان انشدك بعضـا من شعري حتى عز علي هذا المنع ، وقـــال هـــذا الاغضـــاء من شأني ، وانا رجل احسن الناس نعدو وتروح بين يدي ، ولعلي لا افارق المدينة الا وانا بين رجـــامها ، فاذا ما حان حيني وانا قائم على هـــذه الحال ، فمري بي ان ادرج في كفني ، والف في ثيـــاب هذه الجـــارية .. فلم تجد سكينة ازاء قول الشـــاعر الرقيق الا ان امرت له بتلك الجارية ، موصية ايـــاه بحسن صحبتها ، وجميل معاشرتها فقد آثرته بهـــا على نفسهـــا ..

فالنقد في هذا العصر ، وفي ظل هؤلاء الحكـــام ، لم يكن له قـــانون يأخذ طـــابع النقد اليوم من عرض الاثر المنقود ، وتفنيد ما جاء به ، بل كان يعتمد اولا ، وقبل كل شيء ، على التفضيل ،ويتجه الى الـــذوق ، ويرتكز على الحس العربي في جميع شكوله ، وشتى الوانه ..

فهل نراه اجدى ، وهو لم يتعد القوالين له من الشعراء والادباء والرواة ..؟ او لم يكن ســـــوى الحث على الاجـــادة ، ومن ثم الظهور والزعامة ..؟؟

القـــاهرة : **ابو طالب زيان**

صفحة من الوطن العربي

● في الكويت ، انعقد مؤتمر اتحاد المعلمين العرب السابع في الفترة ما بين السادس والحـــادي عشر من الشهر الماضي : اذار ١٩٧١ ، تحت شـــعار : « اسس التربية العربية وتكوين شخصية المواطن » . ولقـــد اصدر المؤتمر من واقع اعمال لجـــانه الثماني سلسلة شـــديدة الاهمية من التوصيات تناولت الاسس التاريخية والتراث العربي التربوي ، والاسس الفلسفية والاجتماعية لتربية المواطن العربي ، والاسس النفسية لتربيـــة المواطن العربي وتكوين شخصيته ، والتعليم والدولة العصرية ، والتعليم في الارض المحتلة في فلسطين .

● مع بداية الشـــــهر الماضي ، استأنفت رابطة الادباء في الكويت عقد ندواتها الفكرية الاسبوعـــية في مســـاء كل يوم احد ، وذلك في مقرها بالعديلية .

● من اروع ندوات الفكر البناء ، المتجاوب مع متطلبات حياتنا العربية المعاصرة ، كانت الندوة الممتعة التي عقدت في الكـــــويت ضمن الموسم الثقافي لجامعة الكويت ، مساء الاثنين الواقع في ٨—٣—١٩٧١ ، تحدث فيها الاساتذة : الدكتور زكي نجيب محمود ، والدكتور نور الدين حاطوم ، والدكتور يحيى الجمل ، والدكتور علي احمد عبدالقادر ، والدكتـــور محمد عبـــد العزيز ربيع — عن : « البعـــد الحضاري لمشكلة التخلف في الوطن العربي » .

● تحت عبارة نادى بها هنريخ مان: « كُتُبُ اليوم تُكَوِّن اعمال الغد » ، يقـــام في لايبزج بالمانيا الديمقراطية ، المعرض الدولي للكتاب لعام ١٩٧١ ما بين ٢٩—٥—١٩٧١ و٤—٧—١٩٧١ وخلال ذلك تقام ندوة مفتوحة لمناقشة مشاكل الكتاب والتاليف الادبي ، فيما بين يومي ١٥و١٧—٦—١٩٧١ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رسالة الى الربيع

رسول النماء وصوت الحياة ... ودفق العطاء بأرض مواتِ
وخفق الخلود وركب السناء ... تصوغ الحياة بأغلى السمات
أتيتك أحمل جرح وجودي ... رأيت ضياك وركبك آت
تفجر لحناً شجيّ الأغاني ... ترد الحياة لتلك الرفات
يسيل الأريج على جانبيك ... وتعطي الوجود جميل الصفات
اليك رجائي وأنت خليق ... بذاك الرجاء اليك صلاتي

* * *

تمر الفصول وقلبي جديب ... وفجري قتام وصبحي مغيب
ودربي ضباب يلف مداها ... كأني على شاطئيها غريب
الى أين أمشي ؟ وأين الطريق ... وكيف السبيل وكيف الهروب
تتوه المعالم في ناظريا ... يضيق أمامي مداه الرحيب
وقفت وسار الطريق بطيئاً ... يضج عليه قتام رهيب
لترسل شموسك فوق وجودٍ ... يكاد يفيض عليه الغروب

* * *

جياع نلوك غبار التراب ... عطاش ونلهث خلف السراب
ونغرس وهماً ونجني هباء ... ونحصد يأساً مرير العذاب
ونقطف ورداً فتدمى يدانا ... وتذوي الورود قبيل الغياب
أُلملم لليل ضوء النهار ... فيغدو بكفيّ حقل ضباب
نمس الغدير فيمسي اجاجا ... وننهل منه مهين الشراب
لتمسح بكفك وجه الحياة ... فتكشف عنها شقي الحجاب

* * *

وجوه عليها بزيف طلاء ... فتخفي بلاء ويبدو بلاء
وتضحك جذلى بغير معان ... تشد الرجاء فيخبو الرجاء
شفاه تغمغم لم تدر شيئاً ... تود ابتساماً ويأتي البكاء
تقهقه فوق جراحٍ دوامٍ ... غباء بهم ذاك أم كبرياء
يموتون في كل يوم حيارى ... اضاعوا النهاية في البقاء
لتغدق عليهم ضياء رحيباً ... ينير الطريق ويبقى الضياء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



شعر : عبد الحميد المحادين

مباديء تمضغ فوق الشفاه ... ويخفق فيها لواء الكلام
وتزهق روح بكف اثيم ... يصفق زيفاً لصوت السلام
يشد القوي شراع الوجود ... ويقفز فوق شظايا الحطام
وصوت القوي يدوي صداه ... وأنف الضعيف ببطن الرغام
تضيع الحقيقة بين الدعاوى ... وتغرق في حالكات الظلام
لتنزع بكفك حقد القساة ... ترف الشفاه ببعض ابتسام

* * *

للوني أظل حقير الأماني ... مهين الوجود جديب المغاني
ضمائر سود تسيل صديداً ... وتقذف لوني بكل هوان
تكبل صدري بقيد بليد ... وتقهر حلمي بقيد جبان
تلف القلوب بحقد رهيب ... وما ذاك قلبي وذاك لساني
واني كغيري أحس الحياة ... وعقلي بصير وصدري يعاني
لتمسح بكفك عقلاً غبياً ... يظن الحقيقة في الهذيان

* * *

تثور بنفسي أمان كبار ... ونبعي جليد وأرضي بوار
وأرقب شمساً لعل سناها ... يضاء بنفسي منه منار
فتلفح وجهي بوهج جريء ... يكاد يموج عليه قتار
واسخر منها وتمضي طريقي ... فإما حريق وإما عثار
ومن غثيان يلم بصدري ... أشك بأن النهار نهار
لترسل ضياءك فوق وجود ... عليه بلون الليالي دثار

* * *

رسول الحياة لأجل الحياة ... حبست بحلقي صوتاً جهيراً
اغص بصوت يفتق صدري ... وأصمت فوق جراحي غرورا
وأحمل خطوي وأمضي وئيداً ... وتروي عروقي دماها سعيرا
وعبر الضباب سحبت خطايا ... أقمت شقائي اليك جسورا
فخذني اليك سئمت جراحي ... سئمت العثار سئمت المسيرا
وهات يديك فأنت الربيع ... تموج سلاماً وحباً ونورا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهرمونية

وحركات التجديد في موسيقى الشعر

حدثت في تاريخ موسيقى الشعر العربي عدة حركات تجديدية ، لا اقول انها جميعا كانت محاولات بحث عن الاطار الاكثر ملاءمة للتعبير عن الحالات الوجدانية المتباينة والمتعاقبة داخل العمل الشعري الواحد ، وبعبارة اخرى : لا اقول ان هذه الحركات كانت تهدف الى ان تكون لموسيقى الشعر وظيفة « هرمونية » بالمفهوم الذي اوضحناه للوظيفة الهرمونية في العدد الاسبق .

لقد حدثت في الاندلس تلك الحركة التجديدية التي اسفرت عن الموشحات ، ومن وجهة نظر هذه الدراسة ، ربما كان اهم دوافع هذه الحركة محاولة تطويع موسيقى الشعر وتوسيعها لتتمكن من التعبير عن الحالة الوجدانية بشعر تؤديه الراقصات والمغنيات ، وفي مثل هذه الحال يخفت صوت الوجدان ونشدانه طرائق نغمية تتلاءم وطبيعته ، بقدر ما يدخل الشاعر في حسابه حركات الرقص ، والجو في مجالس الطرب والانس ، وما يتطلبه ذلك من تنويع الانغام وتشطيرها وتحويرها ، ومعنى ذلك ان استجابة الشاعر للمؤثرات الخارجية كانت اقوى من استجابته للمؤثرات الداخلية ، لقد كان الموشح ينغم ويقطع على وقع دفوف الموسيقيين ، وخطوات الراقصات والراقصين ، ولم ينغم الموشح ولم يقطع على وقع الشعور ودفقات الشعور ، ففي موشح لعبادة القزاز :

بدر تم .. شمس ضحا .. غصن نقا ..
مسك شم
ما اتم ... ما اوضحا ... ما اورقا ... ما انم
لا جرم ... من لمحا ... قد عشقا ... قد حرم

يتجلى كما نرى تقسيم ايقاعي شديد البروز والتحكم ، لا يبرره مبرر نفسي ، بل نرى اثر الجهد والصنعة يخنق كل آثار للعفوية المصاحبة للتعبير عن الوجدان ، ففي السطر الاول اربعة تشبيهات جريا وراء تلك العادة السيئة الذميمة ، والقيم الفنية الهابطة ، التي كانت تجعل من الاعجاز البياني أن تتأتى للشاعر اربعة تشبيهات في بيت واحد ، على ان ذلك ليس ما يعنينا ، وانما الذي يعنينا هو انه في السطر الثاني قد ساق اربعة اساليب تعجبية من صفات استمدها من تشبيهات السطر الاول ، مرتبة وفق ترتيب التشبيهات ، وهذا عمل من اعمال العقل والعين ، لا من اعمال القلب والوجدان ، فلا يتأتى لنفس العاشق الغزل ان يصف فتاته بانها « بدر تم » ثم ينتقل الى ثلاثة تشبيهات اخرى ، هي انها شمس ، وغصن ، ومسك ، حتى اذا جاءت النفس الى السطر الثاني — بعد هداتها والتقاطها انفاسها — عاودت عرض الحالات الوجدانية المتباينة المرتبطة بالتشبيهات المختلفة ، ثم رتبت على كون الفتاة « بدر تم » هذا الاسلوب التعجبي « ما أتم » ، وعلى كونها « شمس ضحا » هذا الوصف « ما أوضحا » ، وعلى « غصن نقا » هذا الاسلوب « ما أورقا » ، وعلى « مسك شم » « ما أنم » ان هذا براعة ذهنية

ولفظية ، وليس بثراء فكري او شعوري .

ولقد شاهد المشرق العربي ايضا حركات تجديدية في موسيقى الشعر ، اسفرت عن المزدوج بصورته المعروفة ، والمشطر ، والمربع ، والمخمس ، بصورها المختلفة المتعددة جدا ، كما شارك المشرق العربي في حركة الموشحات ، بل ان من شعراء المشرق من يقال انه اول من نظم الموشحات ، وهو ابن المعتز ، ويروى له موشح مطلعه :

ايها الساقي اليك المشتكى
قد دعوناك وان لم تسمع
ونديم همت في غرته
وبشرب الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته
جذب الزق اليه واتكا
وسقاني اربعا في اربع

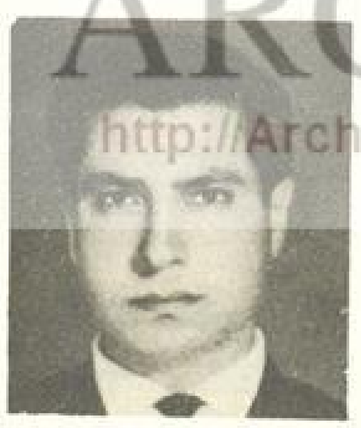
ولست بحاجة الى التدليل على ان هذا التجديد في موسيقى الشعر بالمشرق العربي لم يكن استجابة لدواع « هرمونية » ، شأنه في ذلك شأن التجديد في الاندلس ، كما رأينا على انه للمرة الاولى في تاريخ موسيقى الشعر العربي نرى لمحتوى القصيدة اثرا في شكلها الموسيقي ، فقد اقترن شكل الابيات المزدوجة بالقصص الطويلة ، والحكم والامثال ، والمطولات في العصر العباسي كما لم يرتبط بها الشكل المألوف للقوافي الموحدة ، اذ نظم في هذا الشكل ابان بن عبدالحميد اللاحقي كتاب كليلة ودمنة ، ونظم الحريري ملحمته في قواعد الاعراب ، ونظم ابو العتاهية — ولعله هو وبشار اول من نظم فيه — مزدوجته المشهورة « ذات الحكم والامثال » وعدتها اربعة الاف بيت ، منها قوله :

حسبك مما تبتغيه القوت
ما اكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا
من اتقى الله رجا وخافا
هي المقادير ، فلمنى او فذر
ان كنت اخطات فما اخطا القدر
لكل ما يؤذي وان قل الم
ما اطول الليل على من لم ينم

ويكتسب هذا الشكل قيمة حضورية تختلف باختلاف المحتوى الذي يملأه ، فهو في قصيدة قصصية يساعد على الانتقال الخفيف بين الاجواء والبيئات المختلفة في القصة ، ولكنه في ابيات ابي العتاهية التي سقناها يزيد شعورنا باستقلال كل حكمة او مثل عما عداه في القصيدة ، واذا كانت القصيدة العربية تستبيح تعدد الاغراض مع وحدة القافية ، واذا كان تعدد الاغراض حريا ان يؤدي الى تعدد القوافي مثلا ، فان الابيات المزدوجة شكل يلائم تعدد الحكم والامثال واختلافها من بيت الى بيت ، وهذا نوع من التآزر بين الشكل والمحتوى ، وخطوة ما على طريق الهرمونية .

وعرف الشعر في عصرنا الوانا من التجديد في الموسيقى الشعرية ، فتغيرت القوافي بتغير المقطعات في القصيدة الواحدة ، وليس هذا تجديدا بالمعنى الصحيح ، لانه استمرار لما سبق ذكره من مربع ومخمس ومسمط ، ولم يربط الشعراء المحدثون بين تنويع القوافي ومحتوى القصيدة ، غير اننا اذا احسنا الاصغاء الى الصوت الداخلي للمحتوى والصوت الخارجي للقافية فاننا سنظفر بعدة نماذج توفر لها من الحس اللغوي والموسيقي ما جعل لقوافيها قدرة — حضورية — على التآزر مع المحتوى خفوتا وجهارة ..

من القصائد التي ادعو الى ان نصغي الى صوتيها : الداخلي والخارجي قصيدة ابي القاسم الشابي « من اغاني الرعاة » ، انها تبدأ بهذه المقطعة :



بقلم
اسماعيل الصيفي

اقبل الصبح يغني للحياة الناعسه
والربى تحلم في ظل الغصون المائسه
والصبا ترقص اوراق الزهور اليابسه
وتهادى النور في تلك الفجاج الدامسه

وحينما يدعو الراعي الخراف والشياه الى ان تنشط وتمرح يسوق ذلك في القوافي التالية :

واتبعيني يا شياهي بين اسراب الطيور
واملأي الوادي ثغاء ومراحا وحبور

●●

واقطفي من كلأ الارض ومرعاها الجديد
واسمعي شبابتي تشدو بمعسول النشيد

●●

واذا جئنا الى الغـــاب وغطـــانا الشجر
فاقطفي ما شـــئت من عشب وزهر وثمـــر

وحين يشفق الراعي على قطيعه من تعب المراح، ويدعوه الى الراحة يسوق ذلك في القافية التالية :

وامرحي ما شئت في الوديان او فوق التلال
واربضي في ظلها ما شئت ان خفت الكـــلال

وتتكون كل مقطعة في هذه القصيدة من اربعـــة ابيـــات ، الا الاخيرة فهي من هذين البيتين :

لك في انغابات مرعـــاك ومسعاك الجميل
ولي الانشاد والعزف الى وقت الاصـــيل

فان الحس اللغوي والموسيقي عند الشـــابي قد الهمه ان يقفي ابيـــاته بقواف خافتة الجرس (هامسة، بهاه ، تلال ، الجميل) في حديثه عن هـــداة الصـــباح الباكر ، او عن اصواته الهامسة حـــين يتنفس ، او الكلال والتعب الذين يصيبان خرافه وشياهه ، وان يقفي ابيـــاته بقواف واضحة الجرس (الراء والدال) حين يصف نشـــاط الشياه ومرحها ، ولا يلزم ضرورة ان يكون الشـــابي واعيـــا بهذه العملية الابداعيـــة ، فليس الوعي بها مهمة الشـــاعر ، ولكنها مهمة الناقد . ولا اريد بهذا ان اردد ما قاله سليمان البستاني في مقدمة ترجمته للاليـــاذة من انه لاحظ ان القاف قد تجود في الشدة والحرب ، والدال في الفخر والحماسة ، والميم واللام في الوصف والخبر ، والبـــاء والراء في الغـــزل والنسيب ، فلست ارى ان هنـــاك علاقات مطلقة بين القوافي والمشاعر ، ولكنها علاقات حضورية خاصة ، ففي القصـــائد التي تتنوع قوافيها يمكن التماس امثلة لاختـــلاف القيم الموســـيقية للقوافي ، وللتكامل بين هذه القيم الموسيقية اللفظية وما تحتويه القصيدة من اجواء شـــعورية متباينة .

بجانب هذه الحركات التجديدية في مشرق البـــلاد العربية ومغربها ، كانت هنـــاك محاولات تجـــديد فردية ، لم يخل منها عصر ادبي، فقد رويت عن العصر الجاهلي ابيـــات لا تلتزم فيها قافية ، وقد ذكر الباقلاني في « اعجـــاز القرآن » ابيـــاتا من ذلك منهـــا :

رب أخ كنـــت به مغتبطا أشـــد كفى بعري صحبته
تمسكا مني بالـــود ، ولا أحســـبه يزهد في ذي أمل
تمســـكا مني بالـــود ولا أحســـبه يغير العهد ولا
يحول عنه ابـــدا فخـــاب فيـــه أملي

وقد يدعونا الى الشـــك في صحة رواية هذه الابيـــات انه قد اجتمعت فيها طائفة من المحظورات التي ينكرهـــا العروضيون وبعض نقدة الشعر ، فبجـــانب اختلاف القافية كما هو واضح نجد اختلاف الوزن . فالبيت الاخير من مجزوء المنسرح وما قبله من المنسرح التـــام ، كما نجد التضمين بين البيت الرابع والخامس ، اذ يتصل التعبير في البيتين اتصالا غير مسموح به عنـــد كثير من نقـــاد الشعر العرب ، كل ذلك يدعونـــا الى الشك في صحة رواية الابيات ، او يجعلنا نظن مع الدكتور ابراهيم انيس انها مصنوعة للتدليل على ان من كلام العرب قسما لا هو بالشـــعر ولا هو بالنثر ، خضوعـــا لمقتضيات القسمة العقلية ، واذا صح هذا الظن فمن المؤكد عندي ان صانعها لم يكن بصيرا بصناعة الشـــعر لما ذكرته من وقوعه في عدة محاذير .

على اننا لا نستبعد ان تكون الامثلة القليلة المروية في هذه البـــابة من قبيل المحاولات الفردية التي لم يكتب لهـــا حظ من التوفيق ، وربما كان يتغير هذا الحظ لو ســـار على هذه الطريقة شاعر فحل وتبعه شعراء ، او لو عبر الشـــاعر بهذه الطريقة عن تجربة شعورية اعمق مما فعـــل .

ومهما يكن من امر فانا نرى ان ما في هذه الابيات من مخالفـــات الوزن والتضمين كان بسبب من محتوى الابيـــات ، فقد ترك الشاعر فكرته وشعوره يحطمـــان الحدود القـــائمة بين البيتين فاستـــباح التضمين ، كما ترك لفكرته وشعوره الحرية في اختيار القالب النغمي الذي يلائمهما فاستـــباح الانتقال من المنسرح التـــام الى مجزوء المنسرح ، ولا ريب ان قصر الجملة الموسيقية التي نغم عليهـــا الشطر الاخير :

فخـــاب فيه املي

كان ملائما ـــ ملاءمة حضورية ـــ للشعور المبـــاغت بالفاجعة . وبالانهيار السريع والتخاذل ، اللذين اصابا الشاعر حين فجع في اخيه الودود ، او المرجـــو وده ، وهذه الملاءمة بين الشكل ومحتواه خطـــوة مبكرة في الطريق الى الهرمونية .

وتختلف الايـــام على هذه المحاولة ـــ ان صـــح انها كانت محاولة ـــ فاذا صداها يتردد في العشرينـــات والثلاثينـــات من هذا القرن ، فقد خـــرج عبدالرحمن شكري وابراهيم المـــازني على الناس بشعر مترســـل من القافية ، وهو شـــعر لا يسعنـــا الطعن في صحة روايته او في انه كان محـــاولة فردية ، غير اننا لا نكاد نلمح وراء الترسل من القـــافية او التزامها احيـــانا في ثنـــايا شعره المرسل عند شـــكري والمازني اية ضرورة فنية تدعو الى هذا الترسل ، كتقـــديم مضمون جـــديد ، يحتاج التعبير عنه الى تغيير الموســـيقى ليتم الايحـــاء ، وليتم التـــآزر بين المضمون وموسيقاه ، فقد تتوالى الابيـــات العشرة في اسلوب حكمي تقريري ، غير مرتبط بحدث او بموقف يصفه الشاعر ، او يستقطر منه الحكمة ، وانما هو يعـــاني الموقف ، ويقـــاسي الحدث ، فترسب المعاناة والمقاســـاة في ذهنه مقررات عن الحيـــاة ، فيصوغها قائلا :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بلونـا سهمـة الايـام حتى
راينـا الشـك يثبت باليقـين
تقيم السخل في سـبل الضوارى
وتقضي للقـوي على الضعـيف
وتقفـر ذلة المثـري المفـدى
وتـرحم كل جبـار عنيـف
وتسـعد ذا الدهـاء بما جناه
على صـافي السريرة من دهـاء

فهذه طائفة من الحكم التوالي يمكن التقديم فيهـا والتأخير ، وليس ثمة ارتبـاط خاص بين البيتين الثالث وما قبله حتى يتفق معه في القـافية ، وانما جاء هذا الاتفـاق ـ كما جاء الترسل ـ عفوا بدون مبرر من محتوى القصيدة ، وقد يكون لهذه المحـاولة قيمتها في الدلالة على تكرر الثورة على القافية ، وفي الدلالة على الرغبة في تنويع الانغـام الشعرية والتجديد فيهـا ، ولكنهـا تبقى ـ بعد ذلك ـ خطوة ضلت طريقها الى الهرمونية .

والى جانب الحركات والمحاولات التجـديدية في قوافي الشعر لم ينقطع تيـار الحركات والمحـاولات التجديدية في اوزانه ، ولقد رويت عن مهلهـل بن ابي ربيعة ابيـات مطلعهـا :

يال بكر انشـروا لي كليبـا
يال بكـر اين اين الفـرار
تلك شـيبان تقـول لبكـر
صرح الشـر وبـان السـرار

ورويت عن طرفة قصيدة عدة ابياتها عشـرون من هذا الوزن الذي اعترف اهل العروض بقلة المنظوم منه، ولم يجد الدكتور ابراهيم انيس الا ثلاث محاولات في شعر العصر الحديث كتبت على هذا البحر ، ويمكـن ـ كما قال الدكتور ـ ان يدرس ما ورد من نماذج هذا الوزن في ضوء بحر الرمل ، ولقد افرد لها العروضيون بابة خاصـة اذ قالوا انها من بحر قائم بنفسه سموه المديد ، وسـواء كانت هذه النماذج محاولات تستهدف تنويـع الطرائق النغمية في ضوء بحر الرمل او مستقلة قائمة بنفسهـا فهي لم تخرج في تاريخ الشعر العربي عن ان تكون محـاولات فردية لم تجد استجابة عامة لدى الشـعراء .

واذا تركنا الجاهلية التي بدات فيها هذه المحاولة وانتقلنـا الى العصر العباسي استمعنا ابا العتـاهية يقـول :

عتـب ما للخيـال خـبريني ومـا لي ؟

ويقـول :

للمنـون دائـرا ت يـدرن صرفهـا
حـتى ينتقينـا واحـدا فواحـدا

مجددا بذلك في الوزن والقافية جميعا ، فلمـا قيل له : لقد خالفت العروض ، قـال انا اكبر من العروض .

وجاء العصر الحديث ، فقـال البارودي على وزن لم يعهده العروضيون :

امـلأ القـدح واعـص من نصـح
وارو غلـتي بابنـة الفـرح
فالفـتى مـتى ذاقهـا انشـرح

وقال شوقي على وزن لم يعرفـه العروضـيون يصـف الخمـر :

طـال عليهـا القدم فهي وجـود عـدم
قد وئدت في الصـبا وانبعثـت في الهـرم
بـالغ فرعـون في كرمتهـا من كـرم
أهـرق عنقودهـا تقـدمة للصـنم
خبـاها كاهـن ناحيـة في الهـرم

وجدد في الوزن والتقفية حين قال على لسـان حماد في « مجنـون ليلى » :

يا نجـد خذ بالزمـام ورحب
سر في ركـاب الغمام ليثرب
هذا الحسين الامـام ابن النبي

وحين قال على لسان شرميون في « مصرع كليوباترا »

ملكـتي دعى
هـذه الفِكَـرْ
جنـد رومـة
يعبد البِـدَرْ

قبلـه

قال التلميذ الفتى لأسـتاذه الشيخ

ـ ما قولك في نار تحرق ولا تحترق ، ودر في الجمر يأتلق،وحبب يذكي الاثنين ليصلح ذات البين .؟

قال الأسـتاذ الشيخ لتلميذه الفتى

ـ أما النار التي تحرق ولا تحتـرق يا بني فهي جذوة الشـفاه عند غض المقل ، والدر الذي في الجمر يأتلق ، انبثاق الثنايا في جحيم القبل ، اما الحبب الذي يذكي الاثنين ليصـلح ذات البين ، فذلك هو الرضـاب الذي يخلق من سقر جنة عرضها السموات والارض .

امين يوسف غراب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهرمونية وحركات التجديد في موسيقى الشعر

في سبيلها
يركب الفَرَرْ
او على لسان كليوباترا :
بل حارس جاف
من حرس القصر
معربد الخطو
من نشوة النصر
لا تسع الارض
رجليه من كبر

على ان هذه الحركات التجديدية والمحاولات الفردية التي اسفرت عن اوزان او تشكيلات جديدة .. جديرة ان ينسحب عليها ما ابديناه على موسيقى الشعر العربي من ملاحظة ، فهي جميعا ذات طابع زخرفي ، والفارق بين احداها والاخرى هو اولا جدة الوحدة الزخرفية او قدمها ، وهو ثانيا المساحة التي تشغلها هذه الوحدة او تلك ، فقد تكون مساحة الوحدة شطرا ، وقد تكون عدة ابيات .

وعلى ان حركات التجديد في القوافي والاوزان مهما تباينت تسير في طريق باركه عروضيون عرب ، فقد ذكر الدمنهوري على متن الكافي في الحاشية ص١٦ ، والصبان في شرحه على منظومته : « ان بناء اللفظ العربي على وزن مخترع خارج عن بحور الشعر العربي لا يقدح في كونه شعرا ، وقد نصر هذا المذهب الزمخشري في القسطاس» .

هذا هو فهم القدماء للفن ومسائله ، وهذه هي محاولاتهم التجديدية على اختلاف العصور ، تؤكد انهم لا يرضون بتجميد الاوزان وتحجيرها ، ولئن كانت كل هذه الحركات والمحاولات تستهدف اضافة معزف او معازف ينغم عليها الشعراء تجاربهم فهذا هدف كاف لتبرير هذه المحاولات ، ولكننا نرصدها جميعها من زاوية واحدة هي مدى ما تضيفه هذه الحركات من اضافات هرمونية الى موسيقى الشعر ، ولقد راينا ان نصيبها جميعا من هذه الهرمونية قليل ضئيل ، فهل ترى يزيد نصيب حركة الشعر الحر من هذه الهرمونية ؟ لا املك اليوم — في هذا العدد — متسعا للجواب عن هذا السؤال .

مهرجان المربد الشعري في البصره

●● سيقام في الاول من شهر أبريل — نيسان — ١٩٧١ وحتى السابع منه، في «المربد» بمدينة البصرة — جنوب العراق — وقد وجهت اللجنة العليا لهذا المهرجان دعوات الى عدد من الادباء والشعراء العرب ، وذكر في بغداد، أن عدد المدعوين بلغ ١٣٠ اديبا وشاعرا، مع المستشرق المجري عبد الكريم جرمانوس، والمستشرق الفرنسي «جاك بيرك»، وسيحضر المهرجان : نازك الملائكة، شاذل طاقة، بلند الحيدري، سعدي يوسف، غائب طعمة فرحان ، ومن الكويت : علي السبتي، خالد الخشان ..!

ووزارة الاعلام العراقية، قررت اقامة المهرجان، احياء للمهرجان الشعري في سوق «المربد»، وتخليدا للحركات العلمية والادبية والشعرية التي عاشتها مدينة البصرة في العصر الاسلامي الاول ، ولان مدينة «المربد» كانت منطلقا للشخصيات الفكرية والادبية، وللشعراء: كالفرزدق، جرير، والاخطل، ويعتبر سوق «المربد»، ثاني محفل شعري عربي، بعد سوق عكاظ من حيث الشهرة، وسيعالج المهرجان على مدى سبعة أيام، قضايا الشعر، وتشجيع الشعراء على الابداع، وتطوير القصيدة العربية ..!

أنين القيثارة

●● الشاعر العراقي عبد الخالق فريد، صدر له ديوان شعر جديد بعنوان «أنين القيثاره» كتب مقدمة الديوان، شاعر الشباب أحمد رامي ..

العين بالعين

●● صدر العدد الثامن عشر من سلسلة « من المسرح العالمي » التي تصدرها وزارة الاعلام، متضمنا مسرحية «العين بالعين» للشاعر الانجليزي «وليم شكسبير» من ترجمة الدكتور زاخر غبريال، ومراجعة الدكتور عادل سلامه، وسيصدر العدد القادم متضمنا المجلد الثاني من الاعمال المختارة، للكاتب السويدي «أوجست سترندبرج» ..

الادب الجزائري

●● الكاتب فاروق يوسف اسكندر ، سيترجم مجموعة مقالاته التي نشرها في مجلة «البيان» عن الادب الجزائري الى الفرنسية، يقوم بترجمتها الآن المستشرق جاك بيرك ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



جولة بين اعمال اديب فيلسوف :

البير كامو

ALBERT CAMUS

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تتناول مقالتي هذه الاعمال الادبية لكاتب يقول البعض عنه انه اديب ، ويقول اخرون : انه فيلسوف.. اما هو فيقول عن نفسه : « انا لست فيلسوفا ، ولم اكتب الا ما قد عشته وما فكرت فيه (١) » .

حصل البير كامو على جائزة نوبل للاداب في ١٧ اكتوبر سنة ١٩٥٧ ، لانه قدم للانسانية ، كما اقرت الاكاديمية السويدية للعلوم والآداب ، قدم قضايا الحياة التي تفرض نفسها على الضمير الانساني في ايامنا هذه ، ليتناولها بالبحث والدراسة .

ومن الخطأ ان نرى في اعمال (كامو) دعوة للفضيلة ، او تركيزا دراسيا على عنصر الشر . فانه لم يكتب الا عن حياته وما عاشه ، لان العمل الادبي، بحسب قول ليشيه ، ليس الا المسيرة الطويلة ، لابراز الصورتين او الثلاث التي يتفتح عليها القلب الانساني لاول مرة(٢) ، فهو لم يكتب الا عن تجربة ولم يعرض في كتبه الا احداث زمانه .

ولد البير كامو في ٧ نوفمبر سنة ١٩١٣ في (مندوفي)، احدى قرى قسطنطينة في الجزائر .. وفي ذلك الوقت كانت الجزائر ، كسائر الدول العربية والافريقية ، ترزح تحت وطأة الاستعمار .. ولم يكن يجرؤ اي مواطن في هذا التاريخ على التكهن حتى بأن المستعمر سيغادر الاوطان في يوم ما .

وتوفي البير كامو في ٤ يناير سنة ١٩٦٠ على اثر حادث وقع للسيارة التي كانت تقله الى باريس عندما اصطدمت بشجرة فارعة فأودت بحياته ، ومات ميتة غير معقولة تثبت للوجود ان الشاب الذي عرف العبث وقال عنه انه ومضات في الحياة .. لم ينج منه وان تمرده المنهجي وقوله : لا ، بكل عزم وثقة ، افاد الشعوب المستعمرة قبل الافراد ، وتمردت بدورها على الاستعمار الذي كان يفرض نفسه .

ولكن ما بين ميلاده ومماته مسيرة شقاء وكفاح ومجد .. لم يحظ فيها الا بحبه للبحر والشمس

والانطلاق : ثالوث يتساوى فيه جميع الناس دون تدخل من الاخرين ، وبدون ثمن يحدده تجار الحروب . ولعلنا نستطيع عمل المقارنة بين هذا الثالوث الذي احبه والحديث الشريف الذي يقول : الناس سواسية في ثلاث : الماء والنار والكلأ والدافع الى هذه المقارنة هو علمنا بأن كامو ليس الا جزائري المولد ، وعاش وترعرع وسط ابناء العرب المسلمين في حي باب الواد المتواضع فقير .

قضى كامو من عمره ، منذ مولده ، سبعة وعشرين عاما في الجزائر ، قضاها في عناء وكفاح والتزام : وانطبع بما يطبع عليه ابناء الجزائر من قيم وافكار .. وعندما بلغ الثلاثين من عمره كان قد حدد اتجاهاته الانسانية والسياسية الوطنية منها والدولية .

وتجلت هذه الاتجاهات في اعماله الادبية التي توالت منذ سنة ١٩٣٧ . ومن الخطأ ان نتكلم عن كامو بمجرد قراءة عمل واحد من اعماله : فهو نفسه يقول في كتابه (الانسان الثائر) « لا يمكن ان تكون احدى شخصيات العمل الفني هي الاديب نفسه ، ولكن هناك احتمال بان يكون الاديب في آن واحد جميع الشخصيات الفنية التي خلقها(٣) » .

ويقول ايضا في مذكراته التي نشرت بعد وفاته بسنوات : « لا يجب ان تكون اقوال او مؤلفات الانسان



بقلم
رضا الجمل
الاستاذ بجامعة الكويت

مجال الحكم عليه بحسب قول (بيل) واضيف ولا حتى افعاله (٤) » .

ولهذا السبب يرى الباحث انه لا بد من عمل عرض سريع لابرز ما جاءت به اعماله الفنية توضيحا لفكره وحياته والتوصية بقراءة جميع المؤلفات التي يمكن ان توضح افكاره وعلاقتها بحياته الشخصية .

كانت باكورة اعماله الادبية مؤلفا صغيرا سماه (الحق والباطل) ظهر سنة ١٩٣٧ وضمنه بعض انطباعاته الاولى للحياة ، ومنها « لا استطيع ، شخصيا ، الحياة بدون مزاولة للفن ، فالفن ليس الاستمتاع الفردي ، وانما الوسيلة المعبرة لاثارة مشاعر اكبر عدد من الناس وذلك بعرض صورة خاصة لهم من الآلام والمسرات المشتركة (٥) » .

ويقول فيها ايضا « لم يكن فقري يوما سببا في شقائي ، فلقد كنت اعوضه بالثقافة(٦) » . ويتجلى في هذا العمل شعوره بالفردية ووحدته المضنية ، فيقول « لو ان شخصا فتح لي ذراعيه لكنت بكيت على صدره (٧) » .

وسنة ١٩٣٨ ظهرت مجموعته (افراح)(٨) والتي يعبر فيها عن نفسه بسرور كبير ، ويكشف عن خلجات صدره ، فيما يتعلق بالحياة والموت ، ويقول ، دوما ، الذي يمكن ان اسميه خلودا ان لم يكن ما سيستمر بعد مماتي .. اني لا اؤمن الا بهذا العالم » .

وسنة ١٩٤٢ ظهرت روايته الاولى (الغريب) والتي اثارت حوله ضجة كبيرة . فبطل الرواية لا يؤمن بالله ولا بالعالم الآخر ، ويعيش حياته لحظة بعد لحظة دون تفكير في غد او مستقبل ، او فيما وراء الطبيعة .. ومع هذا يحب الوضوح والصراحة ويقبل ان يعدم ، ولا يحب الكذب من اجل انقاذ رقبته من حبل المشنقة .

وسنة ١٩٤٢ ايضا ظهرت له دراسة تحليلية للحياة تحت اسم اسطورة (سيزيفوس) وهي الاسطورة اليونانية المعروفة التي حكم فيها الالهة على (سيزيفوس) بعقاب مدى حياته لانه سرق النار ، سر المعرفة . واعطاها للبشر ليتساووا مع الالهة . وكان الحكم عليه بان تضيع كافة اعماله عبثا : يرفع (سيزيفوس) على راسه حجرا ثقيلا ويرتفع به الى اعلى الجبل ليضعه على القمة .. ولكن هيهات ان ينجح .. كلما اقترب من القمة يسقط الحجر من على راسه الى سفح الجبل، ويفشل مجهوده فيعاود من جديد العمل ورفع الحجر، ومن جديد يفشل ، وهكذا يضيع حياته من اجل الوصول الى هدف لا يتحقق .

فما هو العبث ؟ انه صعوبة وغربة العالم الذي يعيش فيه الانسان في العقل البشري .. ويقول كامو في هذا « كنت قلت بسرعة ان الحياة عبث .. وان العقل المدبر لهذا العالم غير موجود ، وهذا باختصار ما كان يجب ان يقال في هذا الشأن .. ولكن العبث نفسه ، فهو هذا التعارض بين هذا اللامعقول ورغبة الانسان الملحة في وضع كل شيء في مكانه ... ومنذ اللحظة التي يكتشف فيها الانسان لا معقولية الحياة يصبح العبث عاطفته المزقة للوجدان » . فكيف الهروب من هذا العبث ؟ وجدت الاديان ولكن الكاتب متمرد عليها لانه لا يؤمن بما بعد الموت . اذاً ، اهو الانتحار ؟ بالطبع لا . لان الانتحار فينظره جهل وسلبية . اذاً ، كيف يعيش من يؤمن بالعبث .. ليس في استطاعة الانسان الا ان يتحدى كل شيء في الدنيا فيستهلكها ويستهلك نفسه معها . ولكي يعيش الانسان ، يجب عليه ان يبقي على شعور العبث في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نفسه ، كي يستمد منه طاقة التحدي اللازمة للبقاء .

وسنة ١٩٤٤ اصدر مسرحيته الاولى (سوء تفاهم) ، وفي هذه المسرحية تدور الاحداث بما يثبت لا معقولية الحياة وعدم وجود العقل الخير المدبر لها : تعيش (مارتا) مع والدتها بعد غياب شقيقها في وسط مخنوق وفي فقر مضن .. ورغبة في الخروج من هذا الضيق تلجآن الى القتل لعلهما تحصلان على المال اللازم لنفقات المعيشة والهروب .. وفي يوم يعود الابن الغائب متنكرا فتقتلانه دون معرفة لحقيقة شخصيته .. وعندما تلجأ زوجته الى الفندق الذي نزل به وتسأل عنه تعبر عن حيرتها والمها ، فهي الانسان وسط الحياة، وتصرخ وتقول « ارجو مساعدتي .. اني في حاجة الى المساعدة .. الرحمة .. ارحموني .. ساعدوني . » ويضيع صراخها هباء .. ويأتيها الجواب من خادم القاتلتين : لا .. فالخير يضيع ويقتله الناس ولا يبقى الا الشر .

وسنة ١٩٤٥ ظهرت خطاباته المشهورة الى صديق الماني والتي قال فيها « ما زلت اعتقد ان هذا العالم بدون معنى وان الشيء الوحيد الذي له معنى في هذا الوجود هو الانسان لانه المخلوق الوحيد الذي يتميز بان له عقلا يفكر به(٩) » .. ويرتفع بنفسه الى الوضع الانساني عامة ويقول « بغيتي هي عدالة الوضع الانساني(١٠) فعظمة الدول لا تكون الا بعدالتها » .

وسنة ١٩٤٥ ايضا ظهرت مسرحية (كاليجولا) والتي يرفض فيها (كاليجولا) ان يكون انسانا ويرغب في ان تصبح مشيئته هي العليا .. فهو يجمع المتناقضات ويفعل الشر والخير دون حدود .. يقتل ويظلم ويؤلم .. ولا خطأ ولا صواب في افعاله .. مشيئته هي العليا .. ولكنه في نظر الناس مجنون ، وافعاله غير معقولة ولكنه هو لا يبالي بما يقولون ، ويقول « اشد ما يعجبني هو تبلد شعوري(١١) » .

انه رمز للوجود بدون عقل ، وافعاله متضاربة وغير معقولة ، والناس من حوله يدركون العبث ويرغبون في وضع الامور في نصابها .. ايقبلونه على وضعه ام يتمردون عليه لكي تستريح عقولهم .. وفي النهاية استقر بهم الامر الى قتله تخلصا من اذاه وراحة لعقولهم .

وسنة ١٩٤٧ ظهرت روايته (الطاعون) وهي التي عرض فيها دراسة ذهنية ممتعة لقضية الشر الذي يقع على الانسان اجتماعيا كان ام ميتافيزيقيا ... ورمز لهذا الشر بوباء الطاعون .. فالشر موجود في الدنيا ولا مفر منه .. والانسان اقر ذلك وقتل في نفسه الاعتراف بوجود عقل مدبر خير للدنيا .. فكيف يعيش بدون الله وسط هذا الكون ؟ ويقول (ريو) ، احد ابطال الرواية ، « الان حياتنا حياة المرضى الذين يجب مباشرة علاجهم(١٢) » وطالما ان قانون الحياة هو الموت .. فمن الافضل لله ان نصارع بكافة القوى ضد الموت دون النظر الى السماء التي لا تجيب .. فالشر موجود والحياة الانسانية نضال لابادته .. وهذا هو النضال الدائم بين البشر وبين قدرهم «فالشر الذي في الدنيا مصدره دائما جهل الانسان وحتى ارادة الانسان الحرة تستطيع ان تسبب من الاضرار اكثر من الشر نفسه (١٣) » ، ولذا من الاوفق المبادرة بالحد من الشر وايقافه . فهذه اولى الخطوات واهمها ، بدون النظر الى السماء .. وبذلك ، من الممكن ان يكون الانسان قديسا .. وهذه هي الحقيقة الوحيدة الملموسة في ايامنا هذه ؟ والقداسة في نظره هي عمل الخير دون انتظار الثواب فيما وراء الحياة .

وسنة ١٩٤٨ ظهرت مسرحية (الحصار) التي وان كانت تتناول نفس الموضوع ، الا انها تختلف في هدفها عن الرواية . ففي حين ان الرواية تستعرض الشر الميتافيزيقي ... فالمسرحية تستعرض الطغيان والدكتاتورية .. انها هجوم على الساسة والسياسية التي تبكم الناس وتشلهم عن حرية التعبير عن النفس . فالدكتاتورية تتعدى جميع الحدود وتتطلب من الناس الصمت والمذلة والهوان كي تستمر في الحكم .

ولكن مثل هذا الطغيان يزول بمجرد التمرد عليه « بمجرد ما يتفوق شخص على خوفه ، ويتمرد ، يهتز الطغيان ويتوقف عن الاستمرار وان كان لا ينتهي تماما(١٤) » .

وسنة ١٩٤٩ ظهرت مسرحية (العادلون) والتي اكد فيها كامو ما سبق وقاله على لسان (ديامو) بطل الحصار « ليس المهم لدي حياتي ، وانما الدوافع التي من اجلها اعيش .. لقد ارتضيت الموت .. وهذا مصدر قوتي التي تدمر كل شيء يعترضها (١٥) » . فالميكيافيلية لا يمكن ان تكون فلسفة للثوار العادلين . ففي حين ان ايفانوف يقول « لقد عرفت انه لا يكفي معاداة الظلم وانه يجب التضحية بالروح لهزمه (١٦) » فان كلياييف عند تنفيذ خطة الثوار بالقاء القنبلة على الدوق ، عدو الشعب ، يتمنع لان الدوق ظهر وبصحبته طفلان بريئان في نظره . وهنا يؤكد لنا ان الغاية يجب ان تكون مجردة من الظلم وان الوسيلة يجب ان تكون شريفة تماما كالغاية . ويختلف كلياييف وحبيبته دورا مع ستيبان ، الثائر الذي يجيز كل شيء من اجل الثورة ويرد عليه كلياييف قائلا « .. ستيبان ، لقد قبلت ان اقتل كي اطيح بالدكتاتورية ، ولكن وراء ما تقول ارى دكتاتورية اذا تحققت ستجعل مني قاتلا مجرما . فأني كنت احاول ان اعدل .. وقتل الاطفال يتنافى مع الشرف ، واذا حدث في حياتي ان

انفصلت الثورة عن الشرف ، فلن اتوانى ابدا عن رفض الانتماء اليها(١٧) » فالوسيلة يجب ان تكون من نفس جوهر الغـــاية حتى عند الثوار .

سنة ١٩٥١ صدر عمله الفكري الثاني (الانسان المتمرد) والانسان المتمرد يختلف عن الثائر .. فمن هو الانســـان المتمرد ؟ هو الذي يقول لا .. وهو الذي لا يتراجع اذا رفض .. اي انه في نفس الوقت يلتـــزم ويقول نعم منذ اللحظـــة التي يتمرد فيها .. فهو يقول انا اتمرد اذا انا موجود وهو الذي يرفض الظلم .. اي ظلم كان .

والكتاب مقسم الى اربعة فصول ، يتناول الاول فيهـــا التمرد الفردي والثاني التمرد الميتافيزيقي والثالث التمرد في التاريخ والرابع التمرد والفن .

فالتمرد او الرفض يكون من الشخص لوضعـــه الذاتي ، تماما كما يرفض العبد يومـــا اوامر ســـيده . اما التمرد الميتافيزيقي فهو عندما يرفض المظلوم الظـــلم الذي يقع على الانسان عامة ، تمامـــا مثل ما فعل سبارتكوس في روما من اجل العبيد وما فعله بروميتوس اليوناني ... وفي جرار هذا التمـــرد يقر كل منهما انه مسئول عن تصرفاته وانه لم يعد في حاجة الى السماء.

ولكن هذا التمرد لا يعني ان يبيح الفرد لنفســـه كل شيء فهو مقيد بما تمليه عليه انسانيته نحو الجماعة.

اما الفصل الثالث وهو عن التمرد التـــاريخي ، ويعتبر المؤلف بدايته سنة ١٧٩٣ بظهور العقد الاجتماعي لجان جاك روسو الذي مهدت افكاره للثورة الفرنســـية والتي تعتبر الحركة الجماعية الاولى في العصر الحـــالي ضد الظلم . فقبل هذا التـــاريخ كان الاعتقاد الســـائد ان الله هو الذي يصنع الحكام وان الحـــكام هم الذين يصنعون الشعوب . اما بعد الثورة فالشعوب ادركت انها قوة وانها هي مصدر التشريعات . وتطور التفكـــير بعد ذلك مع القديس (جوست) الذي اراد ايجاد نظام يسود فيه الخير ولكن جـــاء من بعده اليعاقبة وافسدوا ما ســـبق وتقدم ، ومهدوا لنشر الفوضى المعاصرة التي اصبحت تتمثل اما في الانفرادية او في صورة جماعـــات حاكمة باسم الدولة . واتلفت فلسفة (هيجل) ما كان قد تبقى من الماضي ولم يعد الانسان مخلوقا مكتملا منـــذ ولادته .. وانما تجربة يمكن ان يكون الفـــرد نفسه هو موجهها او خالقها . وبذلك هدم اي (ترانسندنتاليـــة) ســـابقة للمباديء والقيم وتنبأ بانه على مر الايـــام سيعترف الانسان بان الدولة هي الله الذي يعبد .

ولكن كامو يقف موقفـــا معاديا لهيجل ولماركس.. ولا يأخذ بما جاءا به من افكار فماركس في نظره يبعث من جديد الرســـالة اليهودية التي تقوم على امل انتظار اقـــامة الدولة اليهودية التي سيكون عمادها وســـائل الانتـــاج . ويفقد الانسان ايمانه بالله والغيب .. ويرى كامو ان ماركس لا يختلف كثيرا عما تنادي به الكنيســـة المسيحية في ان يتحول كل شيء ويخضع لها وتصـــبح هي الروح العليـــا لمشيئة الناس .

اما الجزء الرابع فهو خاص بالانسان وحيـــاة الانسان وكي يعيش الانسان عليه ان يرفض ان يكون الهـــا .. لانه ان لم يفعل ، سينفصل عن الجماعة ولا يتقاسم معهم نضالهم المشترك ضد المجهول وقـــدرهم المشترك .. وينادي في هذا الفصل بالفن وحب الجمال. وحب الجمال هو الدافـــع للخلق وخلق ما ليس موجودا من صـــنع الخالق ، والعمل الفني ليس في نظره النقـــد ولا التعليق وانما هو خلق جديد يفيد وينير الطـــريق نحو الكمـــال . فالفن هو الالتزام بالتضـــامن(١٨) » والمساهمة في النضـــال العـــام .

وسنة ١٩٥٦ ظهرت مسرحيـــة (السقوط) اي التدهور الاخـــلاقي للانسان وضياعه ونفاقه وكذبـــه ورياءه وحقده وغيرته .. فكل انسان اصبح يعضـــد فسق الاخرين ويؤمن بان في ذلك طريق نجـــاته .. فلن يدان في عالم بدون عدالة وليس به انسان بريء(١٩)».

وهي رواية ذاتية تماما كـــ (الغريب) تحيى على لســـان بطلها (كلامنس) ، محـــام تنكر لقيمه الاخلاقية في يوم ما وترك غريقـــا يسقط في قاع النهر دون ان يسرع لانقـــاذه او يبلغ حتى عن حادثته . وكان سلوكه هذا متوافقـــا مع نفسيته الساقطة التي لا تؤمن بالحياة ولا بالفضيلة ، رغم انه ممثل العدالة بين النـــاس .

وسنة ١٩٥٧ ، سنة حصوله على جائزة نوبـــل للاداب ، ظهرت مجموعته القصصية (الالحاد والايمان) وهي تروي العديد من القصص ، ابطـــالها فقـــدوا الايمان بالله وابطـــال اخرون لا يؤمنون بغير الله .

ففي قصة (المراة الساقطة) نعرف على لسانهـــا ان «الحياة قاسية للجميع(٢٠)» وفي قصة (الملحد) يقول: ... يا لها من نـــار تكويني .. واذا فتحت فمي كأني القي باحجـــار ، اريد الراحة .. ويقول قلبي النظام.. وفي نفس الوقت اشـــياء اخرى تراودني ولكني دائما كنت النظـــام(٢١) . ويقول فيما بعد عن الصنم الذي يعبده الكفار « انه يمثل السلطة والقوة ومن المستطاع هدمه ولكن ليس من اليسير تعويضه .. فهو الســـيد الوحيد الذي لا تزول عنه صفة القسوة .. ولا يوجـــد ســـيد غيره طيب(٢٢) » .

وفي قصة (الصخرة المقدسة) يدور الحديث التالي بين احد المؤمنين واحد الملحدين :

— هل يعطيك الله دائمـــا ما تريد ؟
— دائما .. لا .. ايها القبطان .
— اذاً ؟
— انه حر .. اليس كذلك(٢٣) ؟

وسنة ١٩٥٨ صدرت له في جزأين مجموعة مقالاته

السياسية منذ سنة ١٩٤٩ ، وهذه المقالات توضح الكثير من افكاره وتكشف عن كثير من نواحي حياته الخاصة . وهو يقر فيها « بان القرن السابع عشر كان عصر الرياضيات وان الثامن عشر كان عصر العلوم الطبيعية وان التاسع عشر كان عصر البيولوجيا ... في حين ان القرن العشرين هو عصر الخوف(٢٤) » .

فالعصر الحالي يتميز بالحروب والثورات السياسية وكانت لهذه الانتفاضات الانسانية قسوتها على الفرد . فالفرد عرف فساد الزمان من « موقفه البائس امام السلطة المعاصرة(٢٥) » .

ويقول : الجيل الحالي يتحمل عبء الاجيال السابقة وما انتجه العقل الانساني المعاصر من افكار غيرت وقطعت كل علاقة بين انسان اليوم وانسان الماضي . «فالجيل السالف كان يعتقد بدون شك انه متصرف الى اعادة تشكيل الحياة ولكن جيل القرن العشرين ليس مطالبا باعادة تشكيل الحياة وانما واجبه اكبر من ذلك وهو ان يحول وانهيار هذا العالم(٢٦) » .

وبعد وفاته صدرت مجموعة يومياته الخاصة من سنة ١٩٤٢ ــ سنة ١٩٥١ ، وفيها يقول : « ان ما يوجد في روسيا ليس الا حريه جماعيةكلية ، وليست حرية فردية شخصية . فان ما يوجد في روسيا هو استعباد الانسان(٢٧) » .

ويقول عن الراسمالية والشيوعية قولا مأثورا « مأساة عدم الحصول على كل شيء وعذاب المساواة في كل شيء » .

هذه اعمال الاديب فيما عدا المترجمات والمقالات والمقدمات العديدة التي يتكشف لنا من مجملها انه ليس بثائر عقائدي ، وانما مصلح اجتماعي ينادي بما نادت به التقاليد وما تنص عليه القوانين من اخلاقيات وحب لخير الجماعة وبعد عن ايذاء الاخرين . رغم ما كان يعانيه من تمزق لبعده عن الاعتقاد فيما وراء الحياة .. ولعله لو لم يكن قد خطفه الموت لكان قد اصلح من نفسه ما كان قد انعوج بها وقدم للانسانية كتابا دينيا يرد به على ما جاء في كتابه السقوط(٢٨) » .

فما هي حياة هذا الاديب الذي انطلقت اهاته عبر افاق الدنيا تعلن سخطه على الميكيافيلية وكرهه للشر ؟ هذا ما يجب ان نعمل له بحثا اخر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) يوميات كامو رقم ٢. جاليمار ص ٦٣
(٢) ريمون ليشيه ــ اقرأ كامو ــ هاشيت ، ص ٧٨
(٣) كامو ــ الانسان الثائر ــ جاليمار ، ص ١١٣
(٤) كامو ، مذكرات ٤٢ ــ ٥١ ، جاليمار ، ص ٢٥٤
(٥) كامو ، الحق والباطل ، جاليمار ، ص ١١٣
(٦) كامو ــ الحق والباطل ــ جاليمار ، ص (المقدمة)
(٧) المرجع ذاته ــ ص ٩٣
(٨) كامو ــ افراحه ــ جاليمار ، ص ٩٣
(٩) كامو ــ خطابات الى صديق الماني ــ جاليمار ــ ص ٧٨
(١٠) نفس المصدر ــ ص ٢٠
(١١) كامو ــ كاليجولا ــ جاليمار ــ ص ١١٩ الفصل الرابع ، المشهد الرابع
(١٢) كامو ــ الطاعون ــ جاليمار ــ ص ١٤٨
(١٣) كامو ــ الطاعون ــ جاليمار ــ ص ٢٧٩
(١٤) كامو ــ الحصار ــ جاليمار ــ ص ١٧٨
(١٥) كامو ــ الحصار ــ جاليمار ــ ص ٢٢٧
(١٦) كامو ــ العادلون ــ
(١٧) كامو ــ العادلون ــ جاليمار ــ
(١٨) كامو ــ حديث السويد ــ جاليمار ــ ص ١٣
(١٩) كامو ــ السقوط ــ جاليمار ــ ص ١٢٨
(٢٠) كامو ــ الالحاد والايمان ــ جاليمار ــ ص ٢٦ (المراة الساقطة)
(٢١) نفس المصدر ص ٤٩ (الملحد)
(٢٢) نفس المصدر ص ٦٤ (الملحد)
(٢٣) نفس المصدر ص ٢٠٧ (الصخرة المقدسة)
(٢٤) كامو ــ مقالات ــ ٤٤ ــ ٤٨ ــ جاليمار .
(٢٥) كامو ــ حديث السويد ــ جاليمار ص ٣٠
(٢٦) كامو ــ نفس المصدر ص ١٧
(٢٧) كامو ــ مذكرات ــ ٤٢ ــ ٥١ جاليمار ــ ص ١٠٥
(٢٨) كامو ــ مذكرات ــ ٣٥ ــ ٤٢ ــ جاليمار ص ١٠٥

بين شاعرين





ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابن عرنى و نسيب عريضة

دراسة مقارنة بقلم : خليل الهنداوي

كل أديب ، وكل شاعر لابد أن يكون له ، في طور تكوينه ، مثل سابق يعجب به ، ويتأثر به ، على وعي منه أو دون وعي . ولكن ميزة العبقري أن ينفصل عنه بعد دور الفطام .

نسيب عريضة شاعر مهجري من حمص ، درس في المدارس الروسية بلبنان ، وانتقل للدراسة الى مدينة الناصرة بفلسطين ، وكان متقناً للعربية والروسية . ثم هاجر الى الولايات المتحدة تاجراً ، ولكن تجارة الأدب غلبت عليه ، ونشوة الشعر استبدت به ، فاضطر الى أن يضيف اللغة الانكليزية الى ما أتقنه من قبل من لغات !

جرب الصحافة ، في مراحل حياته كلها ، وأنشأ مجلة «الفنون» لتكون ملتقى أقلام أدباء المهجر وكان له الفضل الاكبر في تجميع أكبر رابطة أدبية ، هي الرابطة القلمية التي أصبحت مدرسة المهجر الأدبية الأولى ، ففي دار مجلته تمت الاجتماعات الأولى ، وتيسر التعارف الروحي والفكري بين أدباء الرابطة ... من جبران الى نعيمة ، الى أبي ماضي الى رشيد أيوب . وعندما أغلق مجلته التي كانت صحيفة حية ، لظروف مالية ، انتقل نشاط النشر الى جريدة «السائح» لصاحبها — عبدالمسيح حداد — زميل عريضة ومواطنه . وقد كان للرابطة فضل

عليه ، إذ كانت كالمدرسة ، تطلب من طلابها أن يكونوا منتجين ، وفي كل اجتماع دوري كانت تتلى المقالات والقصائد ، وتعرض الآراء والمناقشات . وفي دار مجلة نسيب عريضة تم التعارف الاول بين جبران ونعيمه ، هذا التعارف الذي خلق الرابطة القلمية ، وجعل من نتاج أصحابها مدرسة أدبية كبرى ، لايزال أثرها واضحاً في تطوير الأدب العربي الحديث .

ولكن نسيب عريضة — في شعره — كان مقلا بالنسبة الى أقرانه ، ولكنه كان صاحب خط جديد ، لا يجاريه فيه أحد ... هو خط شرقي صاف انساني ، استمد من التصوف روحه ومعالمه . وساعده على ذلك غربته ، وخيبته ، ووهج حنينه الى الوطن ومرابع الشرق التي يغمرها الهدوء والسكينة .

وأكثر ما نظمه من شعره كان في فترة حياة الرابطة القلمية ، إذ أنه في هذه الفترة أعطى أجود ما عنده ، ولا سيما شعره الذي كثر فيه الوله والشك والحنين ، والتوق الى المجهول ... ومن ذلك قصيدته الكبرى «على طريق ارم» وما «ارم» إلا تلك المحجة البعيدة التي كان الشاعر يحث اليها الرحال . ويبدو أن «ارم» قد استهوت جبران ، فكتب مسرحيته الصوفية حولها ، كما نظم عريضة قصيدته .

وساعده على ذلك رحابة جوه الشعري وعمق روحه ، وثقافته الأدبية ، حتى يعتبر عريضة — بشهادة صديقه نعيمه — أوسع شعراء المهجر رحاباً ، دون استثناء !

* * *

وأما شعره الصوفي فهو شعر رقيق ، قلق لا يعرف الهدوء ، يتمثل فيه الصراع العنيف بين العقل والقلب ، والروح والجسد ، يتخذ الغزل وعبارات الشوق والوله طريقة له ، كسائر الشعراء المتصوفين .

فمن أين نشأ هذا الميل في نفسه ، ومن هو الشاعر الذي كان قريباً من نفسه ؟ ذلك مالم تشرحه ترجمة حياته ، ولا عرج عليه دارسوه .

وفي يوم ما كان بين يدي ديوان «ترجمان الأشواق» (١) للشيخ محيي الدين بن عربي ، ذي التآليف الصوفية المتعددة ، وصاحب أكبر كتاب صوفي «الفتوحات المكية» وقفت على شعر تختلف نغمته عن نغمة العلماء ، معدنه يرن بالشعر ، وعالمه يزخر بالأشواق ، يدل على أن ناظمه اقترحه في صدر شبابه ، يوم كان النزاع حاداً بين قلبه وعقله وروحه !

وفي الحين نفسه وقعت على ديوان «الأرواح الحائرة» (٢) للشاعر نسيب عريضة ، فاذا هو قريب الصلة ، متشابه الخطة ، مع ابن عربي ، الأمر الذي أصبح لا شك فيه عندي أن ابن عربي كان الشاعر الاثير عند نسيب عريضة ، ينهج نهجه ، ويترسم خطاه !

وقد يقرأ القارىء هنا بعض المقطعات ، ثم ينتقل الى الشاعر الآخر ، فلا يجد نفسه إلا أنها لا تزال في موضعها . فهما شاعران يجمع بينهما التصوف ، والضياع والحيرة والحنين : فالرموز تكاد تكون واحدة ، والركائب والطريق واحدة ، والأحاسيس التي تنتاب الشاعرين ، في طريقهما ، واحدة .

فابن عربي ، بدلا من أن تشرئب روحه الى «ارم ذات العماد» يتخذ من منازل الحجاز رموزاً له :

ألا يا حمامات الأراكة والبان
ترفقن ، لا تضعفن بالشجو أشجاني
ترفقن ! لا تظهرن بالنوح والبكا
خفي صباباتي ، ومكنون أحزاني
أطارحها ، عند الأصيل وبالضحى
بحنة مشتاق ، وأنه هيمان

وحين يستبد به الشوق ، والضياع ، وقد أناخت الركائب بوادي العقيق ، يقول بلهفة :

سحيراً ، أناخوا بوادي العقيق
وقد قطعوا كل فج عميق
وقد كتبوا أسطراً أودعوها :
«ألا من لصب غريب ، مشوق» ؟
له همة فوق هذا السماك
ويوطأ بالخف وطء الحريق
ومسكنه عند هذا العقاب
وقد مات في الدمع موت الغريق
فيا واردين مياه القليب (٣)
ويا ساكنين بوادي العقيق (٤)
ويا طالباً طيبة ، (٥) زائراً
ويا سالكين بهذا الطريق :
أفيقوا علينا ، فانا رزئنا
بعيد السحير ، قبيل الشروق
بيضاء غيداء بهتانة (٦)
تضوع نشراً كمسك فتيق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بين شاعرين

تمايل سكرى ، كمثل الغصون
تنتهـا الرياح كمثل الشقيق
فما لامني ، هواها عذول
رلا لامني في هواها صديقي
ولو لامني في هواها عذول
لكان جوابي اليه شهيقي
فشوقي ركابي ، وحزني لباسي
ووجدي صبوحي ، ودمعي غبوقي

فهل يرمز هذا الرزء الا إلى الشك ، حيث آثار المحبوبة ظاهرة والمحبوبة خفية ، وحيث الحب تساوت فيه القلوب ، فلا غيرة ولا لوم ، لأنها مطلب الكل .

وفي مقطوعة ثانية ، رشيقة الوزن ، كأنها ايقاع القلب ، يشرف على أنوار المحبوبة المتوارية وراء براقع المجهول ، فيهيب بالحادي مترفقاً :

وأنت يا حادي اتئد ! فالنار بين أضلعي
قد فنيت مما جرى خوف الفراق ، أدمعي
فارحل الى وادي اللوى مرتعهم ، ومصرعي
ونادهم : «من لفتى ذي لوعة مستودع
يا قمراً تحت دجى خذ منه شيئاً ، ودع
وزوديه نظرة من خلف ذاك البرقع
لأنه يضعف عن درك الجمال الأروع ،
أو عليه بالمنى عساه يحيا ويعي

* * *

ما صدقت ريح الصبا حين أتتْ بالخدع
قد تكذب الريح اذا تسمع ما لم تسمع

أكان هذا كله وهماً أم حقيقة ؟ ولكن ، ما أكذب الحس في ادراك الحقيقة المجردة !

ومن هي هذه الحاضرة الغائبة ، الظاهرة المتوارية ؟

فكل خراب بها عامر وكل سراب بها غادق(٧)
وكل رياض بها زاهر وكل شراب بها رائق
فليلي من وجهها مشرق ويومي من شعرها غاسق(٨)
عيون تعودت رشق الحشا فليس يطيش لها راشق

ويواصل ابن عربي المسير وراء الأثر ، وقد ضل الطريق ، فلا يهتدي اليهم إلا بما تركوه من أنفاسهم العطرة ، وها هو يصف هذه الرحلة :

فسرت ، وفي القلب من أجلهم
جحيم ، بينهم تستعر
أسابقهم في ظلام الدجى
أنادي بهم ، ثم أقفوا الأثر
وما لي دليل على أثرهم
سوى نفس من هواهم عطر
رفعن السجاف ، أضاء الدجى
فسار الركاب لضوء القمر
فأرسلت دمعي أمام الركاب
فقالوا : متى سال هذا النهر ؟
كأن الرعود للمع البروق
وسير الغمام ، لصوب المطر
وجيب القلوب لبرق الثغور
وسكب الدموع لركب نفر

وهكذا نجد الحقيقة عند محيي الدين بن عربي تتمثل في غادة حسناء ، حملها حسنها على أن تتحجب ، خوفاً على العيون من بريق حسنها ، وقد سار بها ركبها في ليل حالك ، حتى ضاع أثرها على الطالب .

وهذه الصورة تنطبق على الحب الذي ينشأ في البيئة الجاهلية : ركب يتبع ركباً ، وعاشق يلهث وراء معشوقه ، وبينهما البيد المترامية ، والرعود والبروق ووجهها وحده هو الدليل الذي يظهر حيناً ثم يتوارى ، يشير الى الطريق ثم يطمسها .

ولكن الشاعر ، مع ذلك لا يقوى على الوقوف أمام الجمال الاروع ، كأنها صورة موسى حين قال لربه : «أريد أن أراك» ولما تجلى من وراء الجبل صعق لرؤيته ، لأن عينيه أضعف من أن تحدق في ذلك الجمال .

فليطل ، إذاً ، جمالها من وراء برقعها !

وزوديه نظرة من خلف ذاك البرقع
لأنه يضعف عن درك الجمال الأروع

* * *

وهذا نسيب عريضة يمشي بعد قرون على الطريق ذاته ، بهذه الروح ذاتها ، يناجي نفسه ، وقد تخبطت

في الطريق ، ووقفت مترددة ، حائرة !
لماذا وقفت بخوف وحيرة ؟
أيا نفس !! عند الطريق العسيرة
ألا امشي ! فان الحياة قصيرة
ألا امشـــي !
مقر الاله بعيد ، فسيرى
لكي تدركي الله قبل النشور
وجدي ، ولا تسألي عن مصيري
بعيشـــي !
علام التفاتك نحو الطلول ؟
أشاقك تذكار ماضي محيل
فملت الى العود ، قبل الوصول
ألا امشـــي !
ألا امشي ! وبعد الجهاد الحقيقي
سنسبق آمالنا في الطريـق
ونجني الأشعة قبل الشـروق
ألا امشي !

فالأرواح على المسير واحد ، والغرض من المسير واحد ، ولكن الرمز ، هنا ، يكاد يكون أوضح في رجي الأشعة قبل الشروق .

ومن مناجاته التي تمثل تبرمه بهذه الحياة :

يا أخت روحي اسمعيني مـن أوج تلك السماء
قد كان يقضي يقيني هلا أجبت النداء ؟
أراك لم تعرفيني أزال عني البهاء ؟
أجل ، تغير كنهي مذ جئت أرض الشقاء

* * *

بدلت فيها جلالي بحلة من عظام
يا أخت روحي تعالي قد ضجرتني الأنام
لاحت قصور الخيال كومضة من ظلام
أكلهن خوال ؟ ما من يرد السلام ..

وفي مقطوعته «يا نفس» يتمثل القلق والاضطراب والضياع !

يا نفس ! مالك والأنين تتألمين وتوئلين
عذبت قلبي بالحنين وكتمته ، ما تقصدين؟
قد نام أرباب الغرام وتدثروا لحف السلام
وأبيت يا نفس المنام أفأنت وحدك تشعرين ؟
أو ما لحزنك من براح حتى ولو أزف الصباح
يا ليت سرك لي مباح فاعي صدى ما قد تعين
عطش وجوع واشتياق أسف وحزن واحتراق
ياويح عيشي ! هل تطاق نزعات نفس لا تلين
والقلب ! وأسفي عليه كالطفل يبسط لي يدية
هلا مددت يداً اليه كالامهات الى البنين !
يتلمس النور البعيد بأنامل الفكر الشريد
ويسيل من فمه النشيد سيل الدماء من الطعين !

أو ليس في هذه التأوهات ملتقى بين مع تأوهات ابن عربي ؟

* * *

على أن قصيدة نسيب عريضة «ارم ذات العماد» تبقى نسيج وحدها في أدب الرحلات الصوفية . وارم ورد ذكرها في القرآن بأنها «ارم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد» وورد في كتب التفسير أنها مدينة عجيبة ، بناها شداد بن عاد ، من حجارة الذهب واللؤلؤ والجوهر ، ثم أقفرت هذه المدينة العجيبة ، واختفت في الصحراء ، فهي في مكان محجوب ، عامرة بقصورها وكنوزها ، ولكن ، لا وصول اليها ، وقد طلبها كثير ، فهلكوا ، أو ضلوا !

أما «ارم» التي يتحدث عنها نسيب عريضة فهي «ارم الروحية» . يسير الشاعر مراحل ، مع قافلة في طلبها . وما قافلته الا عقله وقلبه وروحه ، ويصف طريقه مرحلة مرحلة ، حتى يخيل اليه في النهاية أنه لمح نارها من بعيد ، فيحث الخطا نحوها ولكنه لا يصل اليها ..

ان الرمز — عند شعراء الصوفية — يبقى واحداً ... هو رمز الحقيقة التي ينشدونها ، ويسعون وراءها ، ثم لا يصلون !

فها هو ذا الشاعر يسلك الطريق ، وقد تفتحت فوقه أعين الدراري ، واستيقظت أنفس الليالي ، ورفرفت أجنح الخيال ، وطار الحلم يسعى الى الجمال ...
ولكن ، لماذا يمشي ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في كل يوم هوى جديد
بلا وصال ولا لقاء
حولي مياه حلت وساغت
لكن قلبي بلا ارتواء
لو رمت يوماً لكنت أجني
من ثمر الحسن ما أشاء
لكن هوى النفس في خيال
قد لاح للروح في السماء

وحين يضيق به المجال ويتردد في متابعة الطريق ، يستمد من البرق الساطع الهدى والرجاء .

أنظر ! فلي في البروق سر
تعرفه النفس في البروق
ألا ترى البرق نار ركب
تقدمونا على الطريق
من ألف دهر ، وألف دنيا
سمو الى المشرع الحقيقي
فسر بنا .. نقتفي خطاهم
نصر الى منبت الشروق

وتنطلق القافلة على الدروب .. حتى إذا أنهكه التعب ، راح يدعو الحداة الى الرفق في المسير :

يا حداة القلوب رفقاً
طال درب الهوى وشقا
فإلامَ القلوب تشقى ؟
هل لها وقفة فتلقى
راحة في الدروب
يا حداة القلوب

وهو ، خلال ذلك ، يساوره الشك في الوصول الى الغاية ، فيتساءل بينه وبين نفسه :

هل ترى نبلغ المكانا ؟
هل نرى حلمنا عيانا ؟
هل ترى ينتهي مدانا
قبل أن تنتهي قوانا ؟

فيستمد من الضعف قوة ، ومن اليأس اندفاعاً انه مشى ، وينبغي له أن يكمل :

يا قلوباً غدت نياقاً
سامها الوجد أن تساقاً
دون أن يقطع الوثاقا
أحسني ! أحسني اللحاقا
أسرعي بالهبوب
مع ريح الجنوب

وعندما يقف على الطلل الأخير بجسده ، يغبط جسده لأنه ، في لحظة من اللحظات ، عرفهم :

هنيئاً ! أنت تعرفهم
وتذكر أنهم نزلوا
ولكني حلمت بهم
وأتبعهم فلا أصل

إنها رحلة بدون انتهاء ، ولا لقاء .. هل يقف ؟ هل ييأس ؟

سيري ؟ ولو كنت – نفسي – !
على ضلال مبين
فأي فضل لركب
على الطريق الأمين ؟

ان الحياة – عند المتصوفة – مكابدة ومعاناة ، ودعوة إلى المخاطرة ، في رحلة يسير فجرها إلى الغروب وغروبها إلى الشروق :

ها الفجر أشرق يهدي
الى طريق الغروب
وما الغروب لعمري
سوى شروق جديد

وهنا ينشأ الصراع العنيف بين القلب والعقل ، فالقلب الدليل يعرف السبيل ، ويعدهم بالوصول ، ولكنه يهدي ، وليس يهاد .

وبعد خوض مشاق كثيرة ، يصيح العقل :

«لماذا تمالئون الضلول ؟ اتبعوني وأنا الدليل ! »

فيحذرهم القلب من ضلال العقل وأكاذيبه

ما العقل غير خؤون
يغريكم باليقين
يلهيكم بالظنون
والأمر في علم ربي !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويغلب العقل على القلب ، ويسير بالركب ، يدعي الهدى ، وهو على ضلال .

جزنـــا بحـار رمـــل
آفاقهـــا مـــن ســـراب
لاحـــت بهـــن قصـــور
أبراجهـا فـــي السحـاب
والآل يجـــري لديهـــا
جـداولا مـــن تـــراب
لكننـا .. مـا اهتدينـــا
إلـــى طريـق الصـــواب

فضج الركب ، وصاحوا بالعقل :

—«أين المناهل ؟ أين الزاد ؟ »

وتقوم معركة بين العقل والشك ، انتهى فيها العقل إلى الفرار .

ويجمع الشاعر ، مرة ثانية ، ركبه الحائر ، فيعتذر من في الركب بضعف العزيمة ، ويعودون يبحثون عن القلب الدفين ...

فينطلق الشاعر وحده ، وقد انفرط شمل الركب ، يهيب بالعقل حيناً ، وبالقلب حيناً ، وبالنفس أخيراً :

يا نفـــس ! رفقـاً ومهـــلا
فأنـــت ظعـــني ورحـــلي
تعـــللي بســـكوت وعلليـــني بجهـــلي
حزني ! لماذا تغـــني ؟ أسرك اليـــوم ثكلى ؟
أمـــا علمت بأنـــي فقدت قلبي وعقلي ؟
فاصمت ! وســـر في السكون
عـــلى طريـــق الجنـــون
لعلـــه بعـــد حـــين
يبـــدو لنـــا وجه ربـــي...

وأخيراً ، تلوح نار ارم .. تلك نار الخلود !

تلك نـــار القرى والجيـــاع الـــورى
مـــن اليها ســـرى مـــا أراه يعـــود
بـــل سيغـــدو الوقـــود
تلك نـــار العلـــم أوقدت فـــي «ارم»
قبـــل عهد القـــدم ما لهـــا من خمود
أو تـــزول العهـــود
نحـــو ذاك الوميـــض سر بنـــا نستعيـــض
عـــن ظلام الحضيض وشـــقاء الوجـــود
بســـناء الوعـــود
لح ولـــح في الفضاء قـــد سمعت النـــداء
ودليـــلي الرجـــاء فعســـاه يعـــود
ظـــامئـــاً للـــورود !

وهكذا تنتهي الرحلة ، بتعليل الشاعر نفسه ، بأنه لمح نار «ارم» ولكنه لا يزال يمني نفسه بالوصول إلى المنهل الحقيقي ... حيث يرتوي من الحقيقة ..فهل وصل؟

° ° °

وبعد هذا كله ، أين نجد وجوه الشبه بين الشاعرين؟

١ — كلا الشاعرين لم يستقر في موطنه ، مذ نزح عنه ، وكلاهما حمل نفسه على الاغتراب ، فابن عربي وليد الأندلس غادر موطنه إلى بلاد المشرق ، حيث تفتحت له كوى روحية ، ينحدر منها نور السماء على الأرض وأخـــذ بمذهب التصوف وآدابه مذهباً لـــه في الحياة والعقيدة ، ودفعه الحنين الى زيارة الديار المقدسة ، في مكة مبعث الاسلام ، وفي المدينة مثوى الرسول ، ثم اختار له دمشق منزلا ومحياً ، ومماتاً ، ولعله كان أكثر اطمئناناً لأنه عاش مجاوراً لمنازل الأحبة !

بينما نسيب عريضة وليد حمص ، ألحت عليه عوامل المعيشة أن يهاجر للعيش ، وقد ألقت به المقادير في أمريكا ذات الأرض الذهبية ، ولكنه لم يجن من هذه الهجرة إلا الخيبة والمرارة ، فراح يناضل ويجرب مهاجراً منفياً ، معدماً ، يتوق الى تلك المنازل التي تركها مختاراً ، وعاش قصياً عنها مضطراً . ومن هنا ، كانت بواعث الغربة والحسرة والقلق تفترس نفسه :

ابن عربي هاجر الى جنته التي اختارها واستمتع بها ، ونسيب عريضة خرج من جنته وظل مطروداً ، ممتنعاً عنها بجسده لا بروحه .

٢ — اتخذ ابن عربي التصوف مذهباً ، فكانت حياته كلها على ضرب واحد ، لم يخرج عنه في تفكيره وشعره ونثره وحياته ، بينما نسيب عريضة عاش التصوف بشعره وعاطفته وقلبه ، لا يهمه إلا أن يكون متصوفاً ذاتياً ، لا متصوفاً يبشر برسالة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على أن الحقيقة كانت عندهما واحدة ، والحياة التي مثلاها واحدة ، والرحلة التي تكبدا فيها المشقات واحدة اقتبساها من العالم الروحاني الذي آمنا به ، على الرغم من اختلاف عقيدتهما الدينية ، فابن عربي الى الاسلام ، ونسيب عريضة الى المسيحية ، لكنهما التقيا في جوهر الدين الواحد ، والاله الواحد . وابن عربي ذاته هو الذي يمثل جوهر الدين بالكف ، تتفرع عنها الأصابع ، وهي متصلة بالكف ، فليس احد الى ضلال ، وليس احد بخارج عن الحقيقة ، مادام يؤمن بالجوهر الواحد ، والكل على طريق الله .

٣ ــ الحقيقة ــ عند الشاعرين ــ تتمثل بخيال محجوب عن العيون ، تسري وراءه الركاب ، في مفازة مقطوعة ، طالما التهمت العابرين ولم تشبع ، وامتصت دماء القلوب ولم ترتو

وفي هذه المراحل يتشابه الوصف ، فمن صور صحراوية لا يلمع فيها إلا السراب ، ورمال تمتد دون نهاية ، وبروق تلمع لتخدع ، ثم تتوارى . وسحب تهم بالغيث ، ثم تقلع .

ولا شك أن هذه الصور المادية مردها الى البيئة الصحراوية .. وأكثر ما تتردد هذه الصور في شعر نسيب عريضة الذي يختزنها في نفسه ، ويرسمها لوحة ثابتة في ذكرياته

٤ ــ لعل خيبة نسيب عريضة في عالم المادة الذي أقبل عليه ، تركت أثراً أكثر بروزاً في نفسه باعتباره فتى ضيع جنته الأولى ، ولم يحظ بجنته الثانية ؛ فهو محروم مغلوب على أمره في كلتا الجنتين .

ولا عجب ، بعد ذلك ، ان يجنح الى التصوف الذي يجعله قانعاً ، متحفزاً ، لأنه وجد فيه مطية لحنينه وقلقه ، وغربته الروحية . حيث يستحيل الحنين الظاهر حنيناً باطناً تنشط فيه النفس الى الانطلاق من ربقة العبودية ، والتجرد من المادية .

٥ ــ ابن عربي ــ في شعره ــ يدور في فلك واحد ، لا يكاد يتخطاه ... انه مسافر سائر ، لا تستقر قدماه ويجعل من الحبيبة رمزاً للحقيقة التي تسفر حيناً ، وتحتجب أحياناً .

بينما نسيب عريضة نراه أرحب آفاقاً ، وأشجى الحاناً ، قد وزع شخصيته بين ما يريده العقل ، وما يتوق اليه القلب ، وما تطمح اليه النفس ، فهو في خصومه باطنية دائمة ، لأن كلا من عقله وقلبه ونفسه يتوهم أنه وحده الجدير بطلب الحقيقة والوصول اليها ، فيذهب الشاعر ضحية هذا التوزع ، فهو ليس بواحد في رحلته ، وإنما هو كمسافرين في ركب واحد ، لكل مسافر غايته وشأنه الذي يغنيه .

وبذلك كان شعر نسيب عريضة أغنى حواراً مع عقله وقلبه ونفسه .

٦ ــ وإذا كان ابن عربي ظل هائماً ، وراء الأثر ، متباكياً شاكياً ، دون وصول ، فان نسيب عريضة يقنع بمشاهدة النور ، وان لم يصل اليه .

أليس هو ذلك الذي تحرق للعودة إلى وطنه ، ولم يكن ذلك بامكانه ؟

إنه في مأساة هذا الوجود ، لا ينسى مأساة الهجرة التي استحالت في نفسه إلى مأساة الانسان في هذه الحياة ، وانقلبت إلى هجرة روحية تتردد أصداؤها في شعره الصوفي الرائع !

وكله شوق وحنين للوصول ، ولكنه لم يصل ... وإذا لم يكتب له أن يصل فليعلل نفسه ، إذاً ، بأن المشاهدة من بعيد تنطوي على معنى الوصول ، فيقول :

يا أخي أيا أخي ! المصاعب شتى
غير أنا في سيرنا غير واحد
فلنسر ! فلنسر ! وإما هلكنا
قبل ادراكنا المنى والمواعد
فكفانا أنا ابتدأنا وأنا
ان عجزنا فقد بدأنا نشاهد ..

٧ ــ وأما الحب فهو عميق عند الاثنين ، وان كان ــعند ابن عربي ــ أكثر تعمقاً باعتباره صوفياً أصيلا يعتقد بوحدة الوجود ، فهو حب عميق ، عريض تتعانق فيه المؤتلفات والأضداد على صعيد واحد .

قلب ابن عربي تنقى من كل نزعة وهوى ، وأصبح يتسع لكل شيء وكيف لا يحب كل شي وهو «مجلى وجه الله» في مقياسه :

فانظره في شجر ، وانظـــره في حجر
وانظـــره في كـــل شيء ، ذلك الله

ولا عجب بعد ذلك أن يتخذ من الحب ديناً ، يربط الانسان بأخيه الانسان ، مهما اختلفا عقيدة ونزعة ، فيقول :

لقد صـــار قلبي قابلا كـــل صورة
فمرعى لغزلان ، وديـــر ، لرهبـــان
وبيت لأوثان ، وكعبـــة طائـــف
وألواح تـــوارة ، ومصحف قـــرآن
أديـــن بدين الحـــب ، أنى توجهت
ركائبه ، فالحب ديـــني وإيمانـــي

ولعل هذه المحجة هي آخر ما وصل اليه ابن عربي ، بعد حل وترحال ، وركوب وهبوط ، لأن الانسانية المصابة لا يشفيها من دائها إلا هذا الدواء ، فالحقيقة عنده واحدة ، لكنها ترتدي أردية مختلفة ، فلماذا لا تخرق أعيننا هذه الأردية المختلفة إلى الجوهر الذي لا يختلف ؟

وهذا نسيب عريضة ينادي أخاه في الانسانية بهذه اللهجة المؤثرة :

يا ابن ودي ! يـــا صاحبي ! يا رفيقي
ليـــس حبي تطفـــلا أو ثقالـــه
فأجبني : يـــا أخي ! يا صديقـــي !
وأعـــد ! انهـــا ألـــذ مقالـــه
وإذا شـــئت أن تســـير وحيـــداً
وإذا مـــا اعترتـــك مـــني ملاله
فامض ! لكنمـــا ستســـمع صوتي
صارخـــاً : «يا أخـــي» يؤدي الرساله
وسيأتيك–أين كنت– صدى حبي فتدري جماله وجلاله

هذا هو ما وصل اليه نسيب عريضة على جنـــاح شاعريته .. فقدس الانسان ، ودعا الى لقاء الانسانية ، بعيداً عن الأنانية ، بعد أن آلمه أن يرى المادة القاسية لم تحمل الى الانسان إلا الشقاء والعبودية ، يوم فرقت بين الأخ وأخيه ، وأقصت الابن عن أبيه ، وجعلت الجار عدواً لجاره !

٨ – وهناك تقارب كبير بين أسلوبي الشاعرين في انتقاء الصـــور المتشابهة ، والألفاظ المطرقة من منجم واحد ، دون أن يحملنا هذا التقارب على أن نظن أن نسيب عريضة كان مقلداً . فالشاعران – على تقاربهما– كانا متباعدين مع ذلك في خطوط الصور الكبرى لرسم لواعجهما وأشواقهما وحنينهما . بل لعل نسيب عريضة قد يكون أكثر توفيقاً في صدق عاطفته ، لأنه لم يصدر إلا عن تجربة ... فالهجرة الروحية سبقتها هجرة مادية ، والحنين إلى مرابع الروح سبقه حنين إلى مرابع الوطن ، والتبرم بعالم الجسد سبقه التبرم بعالم هاجر اليه ، ولم يأنس بـــه .

٩ – وأخيراً . يلقى الشيخ محيي الدين بن عربي وجه ربه ، في مهجر بعيد عن موطنه ، ويختار له مثوى ، على مشارف الشام ، في جبل قاسيون ، ليكون مزاراً للأرواح المتصوفة .

ويقضي نسيب عريضة أجله في أرض المهجر ، ويثوى في مرقد مهجور ، غريباً ، كما عاش غريباً ، بين مراقد كثير من الناس ، لم تجمعه بهم إلا الانسانية ... فلا إلى وطنه يعود ، ولا ظمأه إلى مناهل «ارم» يرتوي . إنه الروح الحائرة أبداً في موكب «الأرواح الحائرة» فرحم الله الشاعرين .

• • •

١ – طبع دار بيروت ودار صادر .
٢ – طبع في مطبعة جريدة الاخلاق ، نيويورك .
٣ – البئر .
٤ – واد في المدينة .
٥ – طيبة : المدينة نفسها .
٦ – بهتانة : طيبة الرائحة .
٧ – غادق : ممطر .
٨ – غاسق : مظلم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غياب

صباح

شعر

عادل شعبان

كِلانا صَنَعَ من صاحبه فكرَهُ وقلبهُ ..
رفيقا شباب وربع ..
شريكا أمل وألم ..
ما أسعدَ ترابَ الاسكندرونة اليوم باسطاً
ذراعيه ليضمهُ إلى صدره !

أيـا نغمةَ الأشواق ، في القرْب والبعدِ
ويا خفقةَ الأضواء في لاهـب الكَبْـدِ !
ويـا زَهْوَ أيـّام الطفولـةِ والصِّبـا
ويا سِحرَهـا المسفوحَ مـن عاطر الورد !
ويـا خَيْرَ أفكاري ! وخَيْـرَ مشـاعري !
وأغلى الأمانـي الناضرات التي عندي !
صنعتُكَ فكـرًا مثلما قـد صنعتني
طليقاً ، شفوقـاً بالسَّدادِ وبالرَّشـد
صنعتُكَ قلبـاً مثلما قـد صنعتـني
مُحبّاً لكـل الناس حُبّـاً بلا حَـد
صنعتُـكَ مـن ربعي المقدَّس حُسْنُـهُ
حَبَتْـهُ جِنانُ اللهِ مـن حُسنها الفـرد
فكيف تَغيبُ اليَـوْمَ عـن عالَمٍ أرى
حناياهُ بعـد اليوم كالحجر الصَّلْـدِ ؟
كأنّ الـرَّدى أوْدى بكـل خليقـة
عـلى الأرض إذ أودى بأُعجوبة الـودِّ
حَنَانَيْكَ ! إن القلبَ منّيَ ههنـا
عطوفٌ عـلى ذكرى ، مقيمٌ عـلى عهد

• • •

أتذكـرُ روضَ الربع ينظِمُ عِقدَنـا ؟
وفي الربع : مـا أحْلى النظيمَ مـن العِقد !
غصـونٌ وغُـدرانٌ تَهـامَسُ حولنـا
وطيـر يغني أعْـذبَ النَّغَـمِ الوردي
ونحن نُجيـلُ الفكرَ .. والفكـرُ أُفقُهُ
رَحيبٌ ، يَجوبُ الكَوْنَ في غير ما جَهْد :(١)
نـرى عـالَمَ الإنسانِ فيـه سـيادةٌ
لبعضٍ ، وَبَعْـضٌ واهنُ العَـزمِ والقصد
ولا بُـدَّ من «عِلم» ، ولا بد من «جُندِ»
لكـلّ أبـيٍّ بالسّـيادة مُعتـدّ
ونحـنُ نَجيلُ الفكرَ في أُمّـةٍ لنـا
تنـامُ عـلى الماضي المضمَّخِ بالمجـد
وما كـان ماضي القـوم يُسعِدُ حـاضراً
إذا لم يكنْ فـي حاضرِ القومِ من سعد
تَفَتَّـحَ بالآمـالِ منهـا شبابُهـا
فقامـت سـدودٌ حـولَ آماله المـرْدِ
هتفنا : فأيـن الصَّفوةُ الغُـرُّ ساعـداً
يَـدُكُّ سدودَ الـدهر سدّاً عـلى سـدِّ

• • •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أتـذْكرُ لمـّا مَـزَّقَ الدّهـرُ شَمْلَنـا
وكنّـا على قربٍ ، فَصِرنا على بُعد ؟!
تَشِطُّ النّـوى بالربع عـن دارِ قومـه
نحيّيـكَ ربعاً حافظَ العهـد والـود !
فقلبُكَ حُـبٌّ ليـس يخبـو ضياؤهُ
لقـد صاغهُ الخلاّقُ مـن جوهر الخُلْد
وقلنـا ، ودمعُ العيـن جافى خدودَنـا :
أنبْكي ؟ وهل تَشْفي الدموعُ ؟ وهل تُجدي
غـدًا جمرنا الوقّادُ يُفـري قيودَنـا
فنجمعُ شملَ الـدار نجـدًا إلى نجد
غدًا نـوقظ الأخلاقَ ، أخلاقَنـا التي
بهـا اكْتَسَبَ الآبـاءُ ذكرًا مـن الحمد
غـدًا نصقلُ الأذهانَ ، أمـضى سلاحنا ،
فنُشرِقُ متـلَ السيف يُشْهَرُ من غِمد
وقلنا : وهـذا العصرُ يبني حضـارةً
فلمّ لا نُباري في البناء وفي الجُهد ؟! (٢)
أينقذنـا غيـرُ الحضارة ؟ إنهـا
قِـوامُ حياة الحـرّ لا الخانعِ العبـد

• • •

(ألا يـا صَبا نَجْدٍ متى هِجْتَ من نجد ؟
لقد زادني مسـراكَ وَجْدًا على وجدِ) : (٣)
نشيـدٌ عشقنـاهُ ، فغّنيتَـهُ لنـا
بصوتٍ شـجيٍّ مـن فمٍ بلبـلٍ غَـرِدِ
ونجـديَ ربعي مـن ضلوعي نسـجتُهُ
ووجديَ مـن نـار الصبابة والسُّهد
فغرّدْ بأبياتٍ سَـرَتْ مـن ضميرنـا
كلَيْنـا ، لمسرى الشوق أقبلَ مـن نجد
وآنِسْ بهـا منك الحنينَ إلى الحِمـى
ومـا فيه مـن أهلٍ وما فيه من هند (٤)
لئـنْ زِدتَ بُعـدًا يا أُخَـيَّ ، فإنمـا
محبّتُنـا تُدنيكَ مني عـلى البُعـد :
يداعـبُ أجْفاني خيالُـكَ ، إنـه
صداقـاتُ إخـوانٍ تَجَمّعُ فـي فـرد
صداقـاتُ إخوانٍ خِصـالي خِصـالهم
فهم مـن فؤادي ما يُكِنُّ ومـا يُبـدي
إلى الله أُهْـدي الراحليـنَ أحبّـتي
وهم خيرُ مـا عندي ، وهم خيرُ ما أُهدي



(١) الجهد بفتح الجيم : المشقة .
(٢) الجهد بفتح الجيم وضمها : الطاقة
(٣) كان الراحل شغوفا بالابيـات الشهيرة : (الا يا صبا نجد الخ ..) يترنم بها في عفوية محببة .
(٤) المراد بهند زوج الفقيد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبد الحميد الرّافعي

شاعر من لبنان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم: محمد شمس الدين

في اصبوحة يوم من ايام ربيع عام ١٨٦٢ كانت نسائم الفجر الاولى تنشر نبأ ميلاد شاعر ، سيكون له في المستقبل شأن عظيم، أما الشاعر فهو عبد الحميد الرافعي ، واما المكان الذى اطلعه الى الدنيا فهو المدينة العبقة بأريج الليمون ، طرابلس الفيحاء ! . . .

أسرة الشاعر

اشتهرت اسرة الرافعي في طرابلس ومصر بنبوغ معظم أفرادها في مجالات العلم والفقه والادب وقد تولى الكثير من رجالها مناصب القضاء اوالادارة والافتاء ايام بني عثمان ، ومن الذين لا تزال أصداء جولاتهم ومواقفهم الرائعة ترن في الاذان المغفور لهم مصطفى صادق الرافعي ذو البيان المعجز والقلم الملهم وأمين الرافعي صاحب جريدة الاخبار وعبد الرحمن الرافعي الحقوقي الكبير . أما والد شاعرنا فهو الشيخ عبد الغني العالم الكبير الذى الف المصنفات الكثيرة نظما ونثرا وقد تولى مناصب القضاء فى اليمن وسواها ، وهكذا فى هذا الجو ، جو العلم والوجاهة والادب نشأ شاعرنا فى رحاب اسرته يبني مداميك شخصيته حجرا حجرا على اساس متين . . .

حياته

درس عبد الحميد اول المبادىء العلمية فى بلدته طرابلس في مكتبها الرشيدى ثم لازم دروس علامة عصره الشيخ حسين الجسر صاحب الرسالة الحميدية ، وكفى بذكر اسمه فخرا . وبعد ذلك حدا به الظمأ الى المعرفة والتبحر في العلوم الى ولوج الازهر فكانت مدة اقامته في هذا الصرح العلمي الكبير زهاء خمس سنوات ، انتقل على اثرها الى الاستانة لاستكمال دراسة الحقوق ونيل اجازتها ،

وما ان انتهى به المطاف من الطلب والتحصيل حتى ولج ابواب العمل فتقلب فى وظائف عديـدة ، قاضيا فى طرابلس ثم في بنغازى ، ثم قائمقاما لقضاء الناصرة في فلسطين وسواها واخيرا استقرت به الحال في الدائرة الاولى لكتابـة عدل طرابلس التى بقي يشغلها حتى وافاه الاجـل يوم ٩٣٢/٤/٢٣ وهو في السادسة والسبعين من عمره .

وقد منحتـه الحكومـة اللبنانية وسام الاستحقاق اللبناني وأقيم له عام ١٩٢٩ يوبيل خمسيني تكلم فيـه العديـد من رجالات العرب ومما قال امير الشعراء شوقي في هـذه المناسبة :

أعرني النجم او هب لي يراعا
يزيـد الرافعين ارتفاعـا
أمير المهرجـان وودت أنـي
أرى في مهرجانك أو أراعى

في السياسة

من الطبيعي ان يحس الشاعر المرهف الاحساس بالظلم وان ينادى استجابـة لنوازع شعوره بالثورة على الظلام ، وقد شاءت الاقدار ان يتعرض عبد الحميـد الى ظلم جمال السفاح في فترة ما قبل الحرب العالميـة الاولى فكان ان نفاه هذا الاخير الى بلغاريـا على اثر التحاق ولـده سمير بثورة الحسين بن علي .

ومن عيون القصائد التى نظمها في منفاه اذ ذاك :

رمتني عوادى الدهر لا در درها
بقرق كليسا وهي في آخر الملك
نفاني اليها الظالمـون تجنيـــا
علي بـلا ذنب جنيت ولا أفـك
عدوت بها كالطير في القفص انزوى
مهيض جناح واجدا الم الضنك
بعيدا عن الاوطان والاهل لا أرى
شقيقا اليه النفس تضحك اوتبكي
اذا صاح فيها الديك انكرت صوته
فاحسب هنديا يؤذن بالتركي

وقـد بقي في منفاة الى ان أذن الله للغشاوة أن تنقشع وينحسر مد الطغيان العثماني ، حيث عـاد الى بلدتـه طرابلس يكحل عينيه بمرأى جناتها وجمالات مرابعها .

النزعـة القوميـة

على غرار شوقي وحافظ ومطران وسواهم من الذين عاشوا في مطلع هـذا القرن كانت تعتمل في نفسه نزعات التحرر والانطلاق والثورة على الغريب المتحكم ، وقبل ان تنتظم فكرة القومية العربية في جمعيات ومنتديات كانت صيحته الشهيرة قبيل عام ١٩٠٨ :

يا أيها العرب اللاهون في حلـم
هبوا فنومكم يا قوم قـد طالا

وعلى اثر حدوث الانقلاب الاصلاحي أنشد مستصرخا بني قومـه :

هبوا بني العرب الى م الكرى
وقد دها الامال دهاسها
وجردوا العزم الذى طالمـا
شق صدورا طال وسواسها
وجددوا مجد بني يعـرب
فالعار ان يطفـأ نبراسها
ان رجال العدل ان اوطنوا
منازلا تخضـرّ ايبـاسها
وهؤلاء استنزفوا مالنـا
وضاعت الـدور وأحلاسها

في الغزل

اذا كان الغزل هو مقياس قوة الشاعر في اداء الفكرة ورقة الشعور وسمو الخيال ، فان شاعرنا له القدح المعلى في هذا المجال ، ولا غرو في ذلك فبيئته تنضح بالعطر والجمال وروحه تكاد تذوب رقة وعذوبة ، ووجدانه ملتقى خطرات الالهام والاحلام ، على ان غزله نقي خالص وحبه بعيد عن كل دناءة واستهتار :

جنيت من خدها وردا ونسرينا
ومن مراشفها شهدا وزرجونا
عداة زارت بلا وعد ولا امل .
يوما لقد كان عيد الدهر ميمونا
ولم أجز حد آداب السلام سوى
بنظرة لحظت منها المضامينا
صافحتها فرأت عيناى راجفة
والوجد اظهر في وجهي تلاوينا

وهذه انشودته التى سارت في طول البلاد وعرضها ، ولا يزال يحفظها اهل الهوى والحب جيلا بعد جيل :

آه منها وعليهـــا غـادة ملت اليهـا
كلمـا رمت وصالا قطبت لي حاجبيها
فلقت حبة قلبـي جعلته شامتيهـا
وشوتها وقلتهـــا تحت ناري وجنتيها
ارسلت شعرا كليلٍ ثم غطت قدميهـا

كيف اسلوها وموتي وحياتي بيديها . . .

ولا ريب في ان شاعرنا قد تعرض لتجربة الحب ومعاناة الهوى وفجّر هذه المعاناة وتلك التجربة قصائد حية تنبض بنوازع فطرته ورهيف احساسه ، وسواء انجح في حبه ام اخفق فقد ترك لنا في الحالين صورا صادقة يترجم بها عن مكنون صدره :

يقول في قصيدة « سلوها » وهي من غرر شعره :

سلوها لماذا غير السقم حالهـــا
ترى شغفت حبا والا فمالهـا
تبدل ذاك الورد بالورس وانطفى
سناها ورقت فهي تحكي خيالها .
اظن هوى الغزلان قد هد حيلها
فاني رأيت الريم يوما حيالهـا
تناجيه سرا وهي في زى والـه
فخلت أخاها كان او كان خالها
فيا حب غلغل في صميم فؤادها
ويا رب لا تعطف عليها غزالها
ويا حبها بالله كن متـــدللا
وزدها كما كانت تزيد دلالها
ولو عطفت يوما علي بنظرة
لقبلت حتى بالعيون نعالهـا

وصفـه

الوصف متمم للغزل ، فكلاهما ترجمة لخوالج النفس ، وتصوير صادق للاحاسيس ، وعندما يفصح المبنى عن المعنى دونما ارتجاج او ارتباك تكون الصورة بارعة وآسرة :

ولله ما اشجى عبد الحميد حين يصف الشيب الذى عاجله :

يا شيب عجلت على لمتـي
ظلما فيا ابن النور ما اظلمك
بدلت بالكافور مسكي وما
أضواه في عيني وما أعتمك
من يقبل الفاضح في ساتر
فهات ليلاى وخذ مريمك
غرك ان الشيب عند الورى
يكرم هل في الغيد من كرمك
نفرت عني غانيات الطلى
ويحك قد اسقيتني علقمك
دعوتني الشيخ وكنت الفتى
أخرني الدهر الذى قدمك
ونال من حولي ومن قوتي
جور زمان فيّ قد حكمك

ومن ابياته الرائعة في وصف السفينة :

اذا الريح غنتها حداء تمايلت
على البحر رقصا وهو بالدف ضارب
تجوب جيوب البحر في خطراتها
كأن لها طفلا لدى البحر غائب

تقييم شعره

كتب الاستاذ انطوان الجميل صاحب مجلة الزهور في عدد خاص من مجلته : « عبد الحميد الرافعي شاعر فصيح الالفاظ جيد التراكيب شعره شعر البداءة مع مسحة حضرية وقد اشتهر بلقب « بلبل سوريا » لما عرف عنه من شعر رقيق واسلوب انيق » .

وكتب السيد رشيد رضا صاحب المنار :

« ولو نشأ عبد الحميد في مصر لفاق في جميع مناحي الشعر جميع شعراء العصر فبذّ البارودى في الفخر والحماسة وشوقي في السياسة وحافظ في الاجتماعيات وخليلا في المدنيات » .

يتبين مما تقدم ان شعر عبد الحميد الذى عاش في عصر المدرسة التقليدية « الكلاسيكية » قد غلبت عليه مسحة التجديد في التراكيب والالفاظ والمعاني ، وهو في كافة الاغراض الشعرية التي طرقها واضع التعبير ، شيق الاسلوب ، بعيد عن حوشي الكلام ، ولا يرى منقصة في استعارة الصور والكلمات التي تتداولها العامة اذا كان من شأنها أن تنقل بصدق معطيات فكرة او تجربة.

أما اثاره التي خلفها فكثيرة وجلها مطبوع وأشهرها « المنهل الاصفى في خواطر المنفى » « الغرائد الرافعية » « والافلاذ الزبرجدية » . . .

رحم الله عبد الحميد الرافعي ، ذلك البلبل الذى غرد في دنيا العرب يستنهضها وينفخ في بوق كرامتها ، ويفتح ناظريها على روائح صور المجد والحق والجمال . .

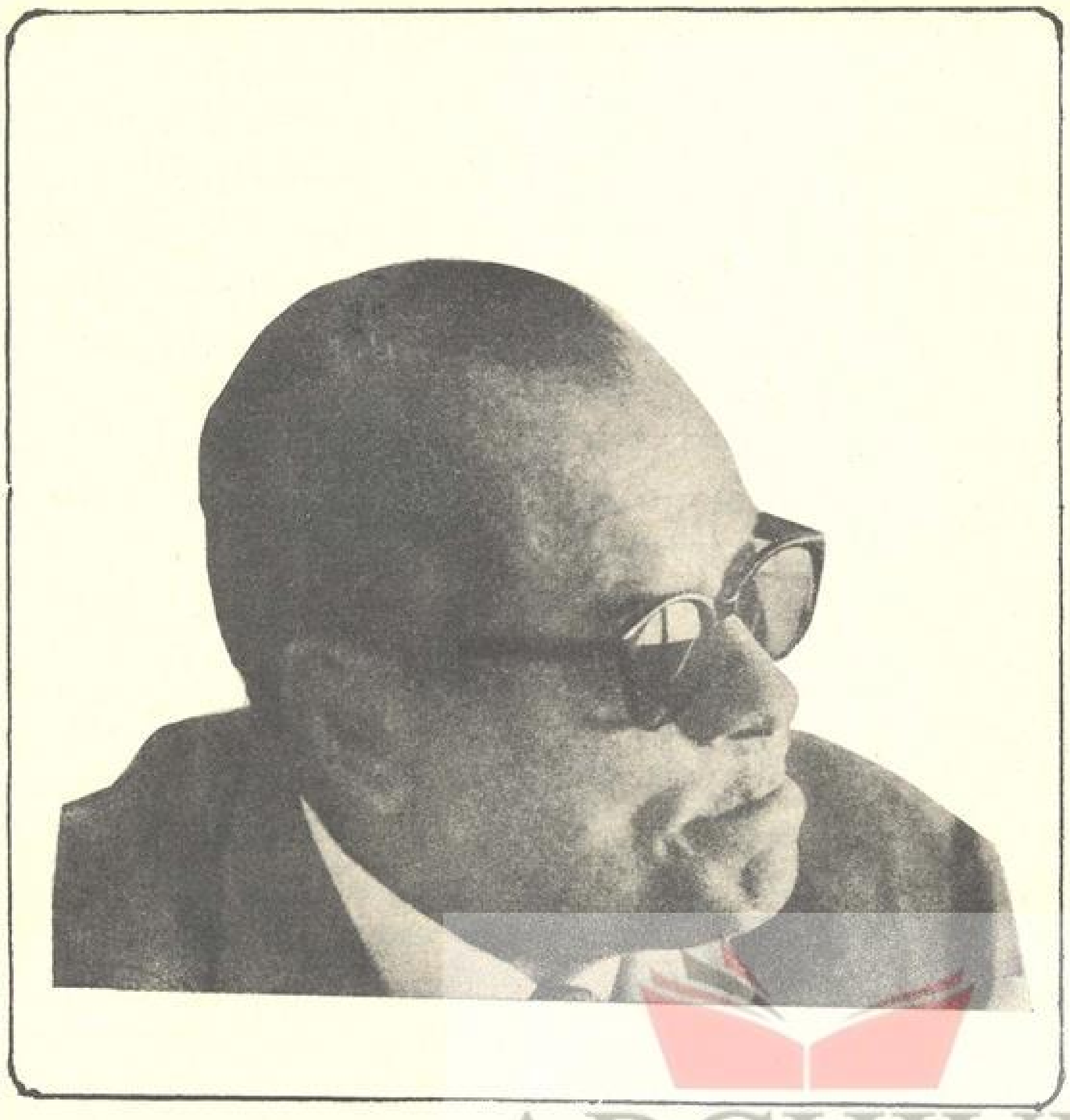
محمد شمس الدين
مستشار محكمة استئناف طرابلس – لبنان

★

مصادر البحث :

– كتاب اليوبيل الخمسيني
– جريدة المنار : للسيد رشيد رضا
– مجلة الزهور : لانطوان الجميل
– اطروحة الرافعي الشاعر – جودت كريمه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



شخصيات شئت

تبحث عن روائي

ثماني سنوات ، قضيتها بعيدا عن عالمي الذى اوثره - كتابة القصة - متفرغا للقراءة الايجابية التي اثمرت دراستي عن « مصر في قصص كتابها المعاصرين » ، وبعض الملاحظات النقدية والهامشية .

ولقد كانت اعمال صديقي الاديب الكبير نجيب محفوظ ارضية للدراسة . وكان ادبه وحياته نبضا لمعظم المقالات .

جبريل

انا كمال عبد الجواد في الثلاثية .

بهذه العبارة البسيطة الواضحة ، انار نجيب محفوظ الطريق ، امام النقاد والدارسين . لتبين مدى تأثر الفنان بالمرحلة من حياة المجتمع التى عاشها وعبر عنها . ومدى تأثر الفنان في المرحلة من حياة المجتمع التى كتب لها ، وقرات له .

وكمال عبد الجواد ليس وليد ذاته . ثمة شخوص كان لها تاثيرها البالغ في تكوين شخصية كمال الطفل ، ثم كمال المفكر والفنان ، وأسهمت في تجسيد تلك الشخصية التى تعد - بلا جدال - مرآة لضمير عصرها

° ° °

كانت الام - مثلا - وليس ياسين - كما يقول المستشرق الصديق الاب جاك جوميه في دراسته المخلصة عن ثلاثية نجيب محفوظ - هى التى غرست في نفس كمال الطفل حب الأدب والقصص بخاصة ، حين ينام متوسدا ذراعها ، وهى تسكب في اذنه بصوتها الرفيق قصص الأنبياء والأولياء . .

نجيب محفوظ يتحدث عن كمال في « قصر الشوق » بان ياسين هو أول من هز أوتار أذنيه بأنغام الشعر ونفثات القصص . ومن هنا جاء قول الأب جوميه بأن ياسين هو الذى دفع بكمال في تيار الادب . .

وفي تقديري ، أن اسطر الأم للطفل الصغير وهو يتوسد ذراعها ، اسبق من القصص الذى زواد له ياسين ، بعد ان التحق بالمدرسة . وصار له فراشه المستقل

لقد كان ياسين – حقيقة – أول من أخذ بيد كمال في درب الادب . كان يقرأ القصص والأشعار ، ويحكى بعضا منها لكمال الطفل ، فيلهب خياله ، وينقله الى عالم جميل من الرؤى والاحلام . . ولكن كمال الطفل ما يلبث أن يصبح شابا ، ويرتاد دروبا أخرى من القراءة ، وبدا ياسين لعينيه أبعد ما يكون عن عرش الثقافة الذى بوأه إياه قديما . يقول كمال لياسين في « قصر الشوق » :

– لشد ما أحبيب الانجليز فى صغرى انظر كيف امقتهم الآن مقتا ؟ . .

– سعد بطلك سافر ينشد صداقتهم . .

هتف كمال بحدة :

– والله لأبغضنهم ولو لوحدى .

ولم يكن هذا البغض إلا تأثرا بالغا بذلك اليوم الذى عاد فيه الى الوطن صفاءه بعد الإفراج عن الزعماء حتى المومسات شوهدن على عربات الكارو وهن يهتفن بالاستقلال ، ولا نظرة مهانة توجه اليهن . ولم تسجل محاضر أقسام البوليس حادثة ما ، فقد سرت نشوة الفوز والامل فى نفوس ابناء الأمة جميعا . .

فى ذلك اليوم ، لقى فهمى – شقيق كمال – مصرعه ، فى صورة اشبه بما حدث لبطل قصة « كل شىء هادىء فى الميدان الغربى » الذى اجتاز عشرات المخاطر ، ثم صرعته رصاصة طائشة . وكان فهمى واحدا من ستة ، صرعهم رصاص الجنود الانجليز – فى مظاهرة السلام – دون امر من قيادتهم العليا باطلاق النار (هل كان فهمى عبد الجواد – أو الشخصية التى تعبر عنه – حقيقة سادس الشهداء ، الذين لقوا مصرعهم برصاصات غادرة يوم السلام ؟ ام أن الأمر لا يعدو استغلالا جيدا من الفنان ، لإغفال المؤرخين أسماء الشهداء الستة ، ربما لأنهم من البسطاء الذين لم يكن لهم دور قيادى فى أحداث الثورة ؟) .

منذ ذلك اليوم ، أصبح الوفد « عقيدة تلقاها عن فهمى . واقترنت فى قلبه باستشهاده وتضحيته » . وكان حبه لزعيم الوفد سعد زغلول ، وتقديره له ، يبلغان مرتبة التقديس – أو على حد تعبير بطل قصة « نفوس مضطربة » لحمد زكى مخلوف – « إذا قال الزعيم أن الشمس تشرق من الغرب ، وتغرب فى الشرق . . فما على الشمس إلا أن تطيع ، وإلا فلتفصل من الحزب » .

° ° °

« كان المنفلوطى اديب عصرنا ، وكنا نقرأه ونبكى » . .

وكان المنفلوطى – حقيقة – اديب ذلك العصر . اسلوب الشجن الذى اصطنعه لنفسه ، كان عنصرا مكونا لأبناء جيله ، وأجيال ثلاثة من بعده . .



فى « عودة الروح » للحكيم ، لا يجد اليوزباشى سليم العطيفى إلا رواية « ماجدولين » التى صاغها المنفلوطى بالعربية ، ينتقى بعض عباراتها ، ليضمنها رسالة الى الحبيبة سنية هانم .

ويقول محمد زكى مخلوف على لسان بطل قصة « نفوس مضطربة » : ولكن المنفلوطى يا بابا ؟ الم تقرأ ماجدولين ؟ ألم تقرأ الشاعر ؟ ألا يبكيك سيرانو ؟ وفى سبيل التاج . . ألا تنهمر عيناك عندما تقلب اخر صفحة من صفحاتها ؟ . . بالله حدثنى عن رأيك فى النظرات ، وفى العبرات وفى الفضيلة ؟

وفى ذكريات عبد الحميد السحار الأدبية : « وتناولت ماجدولين للمنفلوطى فتهيبتها ولكن ما أن قرأت بضع صفحات منها حتى انشرح صدرى ، وامتلأت غبطة ، وكدت اطير من الفرح ، لأننى استطعت أن أفهم ما أقرأ وأن أتأثر به . وأنفعل له » .

ويقول كمال لوالده فى « قصر الشوق » : هل من العيب يا بابا أن أتطلع إلى أن أكون كالمنفلوطى يوما ما ؟ . .

لقد ترك المنفلوطى بصمات واضحة على كل نتاج جيله ، وأجيال ثلاثة من بعده . ولم يكن أسلوب الشجن – وحده – هو الذى جعل منه ثمرة للعصر الكتابى آنذاك ، فقد شغل الناس طويلا بقصيدته التى نظمها فى هجاء الخديو عباس . اثر قدومه من الاستانة « قدوم ولكن لا أقول سعيد » . وظل فى السجن ستة أشهر لقاء إصراره على كل حرف فى القصيدة ، رغم وعد السلطات بالعفو عنه . وكان تغلب الوجدان الدينى فى عصره ، وتتلمذه على الإمام محمد عبده والشيخ على يوسف وسعد زغلول – وقد أصدر كتابا بعنوان « القضية المصرية » يدافع فيه عن سياسته ويخاطبه بلفظة « مولاى » – وتمكنه البارع أن يضرب على اوتار القلوب ، فى النظرات والعبرات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والشاعر وغيرها من القصص المترجم كان ذلك كله مكونا لشخصيته التى اثرت بعمق ، فى أجيال ثلاثة متعاقبة .

ولم يكن المنفلوطى يعرف سوى العربية وسيلة للقراءة والتعبير ، وكان يلجأ إلى بعض أصدقائه لترجمة الروايات الأجنبية ، ثم يعيد هو كتابة الترجمة بأسلوبه الخاص .

ثم ظهر فى الطريق - الذى مهده المنفلوطى - كتاب آخرون ، اجادوا كتابة القصة والرواية . وكان ظهور هؤلاء الكتاب الجدد ، ايذانا بمغيب شمس اقوى ظاهرة أدبية واجتماعية فى مطلع هذا القرن . وما لبث المنفلوطى أن اعلن اعتزاله للحياة الأدبية : « كنت آليت على نفسى منذ أعلنت هذه الحرب - العالمية الأولى - قبحها الله ، وقبح كل ما تأتى به ، ألا أكتب حرفا فى صحيفة سيارة ، فى شأن من الشئون العامة . خيرها وشرها حتى ينقضى أجلها ، وأن أترك هذا القلم هادئا مطمئنا فى مرقده ، مدرجا فى ذلك الكفن الأبيض الرقيق المنسوج من خيط العنكبوت ، حتى يأتى ذلك اليوم الذى يستطيع فيه أن ينبعث كما يريد ، لا كما يراد منه . . ولكن نازلا بهذا المجتمع المصرى منذ عام أو عامين ، لم أحفل به فى مبدئه ، ولم ألق له بالا ، وعددته من النوازل الصغيرة المترددة ، التى لا تلبث غيومها ان تنعقد فى سماء البلد ، حتى تهب عليها نسمة من نسمات الروح الالهى ، فتنقشع » .

ولعل استهواء المأساة العنيفة لنجيب محفوظ ، دلالة على تأثر بالغ برومانسية المنفلوطى ، إلى حد أنه يحيل « واقع » متفائل فى ختام روايته « بداية ونهاية » - مثلا - الى « فن » مأساوى ، يودى بمعظم أبطال الرواية إلى مصير مؤلم(١) .

* * *

وثمة لقاء ، كان - كما يقول غالى شكرى - إحدى نقط التحول التاريخية التى أحدثها سلامة موسى فى جيل بأكمله ، وان كنت لا اوافق على أن الفنان قدم لنا اللقاء بين أحمد شوكت وعدلى كريم تأييدا فنيا على أن تأثير سلامة موسى فى جيل أحمد شوكت ، كان أعظم ثورية وأبعد تقدما ، بالرغم من اتفاقنا على شجب ما ذهب إليه الاستاذ توفيق حنا فى مقاله « عدلى كريم = سلامة موسى » من أن شخصية احمد ابراهيم شوكت تحمل التعبير عن شخصية نجيب محفوظ التقدمية الاشتراكية .



وحسب اجتهادى الخاص ، فإن احمد شوكت فى « السكرية » بكل وضوحه الفكرى وايمانه العميق بقيم ثابتة ، إنما هو امتداد متطور لشخصية كمال عبد الجواد فى « قصر الشوق » بكل ارهاصاتها الفكرية المحيرة . .

يقول نجيب محفوظ عن تأثير سلامة موسى فى تكوينه الفكرى : « كان لسلامة موسى أثر قوى فى تفكيرى ، فقد وجهنى الى شيئين هما : العلم والاشتراكية . ومنذ دخلا مخى لم يخرجا منه الى الآن . وكان الأديب الوحيد الذى قبل أن يقرأ رواياتى الأولى وهى مخطوطة . قرأ ثلاث روايات ، وقال لى إن عندى استعداد ، ولكن الروايات غير صالحة للنشر ، ثم قرأ الرواية



سلامه موسى

الرابعة وكانت « عبث الاقدار » واعجبته ، ونشرها كاملة فى « المجلة الجديدة » كما قرأ أول أقاصيص كتبتها ، ونشر بعضها فى « الرواية » و « مجلتى » .

وفى اعتقادى أن الروايات الثلاث - عبث الاقدار ، رادوبيس ، كفاح طيبة - لم تكن إلا تأثرا بالغا من الفنان بحركة إحياء الفرعونية التى كان سلامة موسى أعلى دعاتها صوتا . وخطط نجيب لكتابة تاريخ مصر الفرعونية فى أربعين رواية ، مثلما فعل الكاتب الانجليزى وولتر سكوت فى تاريخ بلاده .

وكانت هذه الدعوة - إحياء الفرعونية - موازية بنفس الدرجة لدعوة أخرى ، وهى الاتصال المباشر بالحضارة الأوروبية ، والمصارحة بغثانة التراث العربى ، إلى حد أن أستاذنا الدكتور حسين فوزى يكتب فى مقدمة كتابه « سندباد عصرى » : « درجت على حب الغرب ، والإعجاب بحضارة الغرب ، وقضيت أهم أدوار التكوين من عمرى فى أوروبا ، فتمكنت أواصر حبى ، وتقوت دعائم إعجابى . . فلما ذهبت الى الشرق ، عدت إلى بلادى وقد استحال الحب والإعجاب ، إيمانا بكل ما هو غربى » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبرغم ضرورة الاتصال بثقافة الغرب – والثقافة الانسانية عامة – إلا أن الإيمان بكل ما هو غربى ، ثم اقتران ذلك بإحياء القومية المصرية ، قد أوجد الفرصة لبعض الدعوات الخاطئة – فى مفهوماتنا الحالية – أن تحدث تشويها فى وجه التيار التقدمى ، لعل ابرزه رفض التراث العربى كله .

لقد كانت الدعوتان سبيلا لمحاولة اكتشاف الشخصية المصرية التى وجدت إرهاصاتها فى كتابات لطفى السيد ، ودعوة مصر للمصريين ، ثورة ١٩ – ثم كانت حتمية الصراع بين الثقافة العربية والثقافة الغربية ، توصلا لجذور الثقافة المصرية ، التى تنبت أدبا مصريا ، يكتشف الشخصية المصرية ، ويعبر عنها .

ويجد سلامة موسى الفرصة لأن ينكر – فى بساطة – صلة المجتمع المصرى بالشرق ، ويذهب إلى أن مصر جزء من الغرب ، باعتبارها جزءا من حوض البحر الأبيض المتوسط ، وهى قد اسهمت بصفتها المتوسطية فى صنع الحضارة الغربية ، وهى بالتالى مدعوة لمشاركة الغرب حضارته الحالية ، دون أن يتناقض ذلك مع طبيعتها وسيادتها على نفسها . ثم يتساءل سلامة موسى فى كتابه « اليوم والغد » : هل الأمة المصرية أمة أوروبية ، يجب أن تسير مع الملامح الاوروبية ، وتتثقف بثقافتها ، أو أمة شرقية يجب أن تحتفظ بما ورثته عن الشرق ؟

ويجيب على تساؤله بالدعوة إلى عقد زواج كاثوليكى بين مصر والغرب ، إلى حد إبدال حروف اللغة العربية بالحروف اللاتينية ، وتأريب المجتمع – أى جعله أوروبيا فى سماته وصفاته وملامحه ! .

ولقد تعمدت أن أعرض لطبيعة تلك الفترة بشىء من التفصيل ، لأوضح أن نجيب محفوظ ، لم يكن منتميا فى كل مراحل فنه إلا إلى مصريته . فهو قد رفض المخطط الذى وضعه لنفسه ، وتحول ببساطة إلى الواقعية الطبيعية فى « القاهرة الجديدة » وما تلاها ، لأنه – رغم تأثره بدعوة إحياء الفرعونية – لم يلجأ إلى التاريخ لمجرد افتتانه بالدعوة ولكنه استخدم التاريخ كوسيلة لمعالجة مشكلات حية . وكان البحث عن الذات المصرية ، هو نبض أعماله جميعا . .

والحق أن إعجاب الفنان بالماضي ، لم يكن وليد هذه الفترة المتسمة بالدعوة إلى الفرعونية وحدها . فثمة إرهاصات تشى بحبه للماضى ، فى دعوات كمال المتكررة لفؤاد الحمزاوى للذهاب الى جبل المقطم والقلعة والخيمية « لتسريح النظر فى مخلفات التاريخ ، وعجائب الحاضر » وكانت قهوة احمد عبده بخان الخليلى – فى نظره – مجتلى للمتامل وتحفة للحالم ، مع أن فؤاد الحمزاوى لم يكن يجد فيها إلا مجلسا تغشاه الرطوبة والهواء الفاسد .

وباختصار ، فإن أدب نجيب محفوظ كله – تاريخى ومعاصر – يستمد أحداثه من الذاتية المصرية الخالصة الملامح والسمات . والمصرية التى نجدها فى « كفاح طيبة » و « رادويس » و « عبث الاقدار » هى هى نفس الملامح والسمات المصرية التى نجدها فى « خان الخليلى » و « زقاق المدق » و « القاهرة الجديدة » والثلاثية وغيرها . .

° ° °

ولقاء آخر ، كان بداية لصداقة فكرية رائعة بين كمال عبد الجواد ورياض قلدس ، الذى نقله – بصداقته المخلصة وطموحه – من متاهات الفلسفة وألغازها ، إلى عالم القصة والرواية ! .

لقد كان هذا اللقاء بداية لصداقة ممتدة ، عبر عنها نجيب بقوله : « كانا سعيدين بصداقتهما . ففى محضره تستقظ روحه ، وتستشعر ذاك الانبثاق الذى يبلغ نشوته فى عناق الفكر المتبادل . هذا على الرغم من أنهما لم يكونا شيئا واحدا ، وان كانا متكاملين فيما بدا . وظلت صداقتهما شعورا متبادلاً فى صمت ، لم ينوها به ، فلم يقل أحدهما للآخر أنت الصديق . . ولا قال له : لا أتصور الحياة بدونك . . ولكن كان ذلك كذلك » .

ونحن نجد فى أحاديث رياض قلدس – وأغلب ظنى انه الفنان عادل كامل – إلى صديقه كمال عبد الجواد ، إلحاحا متواصلا بقيمة الفن القصصي الذى لم يكن فى نظر كمال سوى مضيعة للوقت ، حتى قال لصديقه مرة : أنا أفضل أن أومن بالأرواح – وكان ملحدا – عن أن أومن بالقصة مثلا ؟ ! . .

° ° °

وثمة شخوص ، كان لها تأثيرها البالغ فى تكوين شخصية كمال الطفل ، وبالتالى شخصية كمال المفكر والفنان « ذلك أن رفاق صباه من أهل الحى ، لم يواصلوا التعليم الى النهاية . منهم من توظف بالابتدائية أو الكفاءة ، ومنهم من اضطر الى مزاولة عمل من الأعمال البسيطة مثل صبى قهوة بين القصرين ، وصبى الكواء البلدى بخان جعفر . كان كلاهما من أقرانه فى الكتاب ، وما زال ثلاثتهم يتبادلون تحية الزمالة القديمة كلما اتفق لهم لقاء »

وبرغم تفاوت المستوى الاجتماعى – الآن – بين نجيب محفوظ ، وبعض أصدقاء طفولته ، فإنه لا يزال حريصا على صداقتهم : ففى السادسة من مساء كل خميس يجتمع نجيب محفوظ بهؤلاء الأصدقاء فى قهوة عرابى بميدان العباسية . ويتبادل الجميع القفشات والنكات والأحاديث التى لاتمت للفن بصلة . . فيدونها الفنان فى ذاكرته الواعية ، ثم فى نوتته الصغيرة ، ثم يحيلها – على الورق – حياة نبضها أمانة وصدق .

° ° °

يبقى سؤال : أين « الحسين » من حياة كمال احمد عبد الجواد ؟

نحن نلحظ أن الفنان لا يعنى بملامح الشارع الذى قضت فيه أسرة كامل على فى « بداية ونهاية » معظم حياتها ، ولكنه يقف طويلا أمام ملامح الحى الذى كان نبضا لمرحلة بأكملها من حياته (كان رحيل أسرته الى العباسية ، وعمره ست سنوات ، أشبه بـ « نقل » قطعة من حى الحسين بكل تراثها وعاداتها وتقاليدها وطبائعها إلى حى العباسية الأوروبى الملامح والسمات . ومن هنا ، فإن نشاته فى العباسية لم يكن لها تأثيرا أو أثر على حبه للحى العتيق . يقول : أحببته لأنى أشعر فيه بالمصرية الخالصة . الحياة بعيدا عن أى تأثير مودرن . وبدأ حبى له وأنا صغير في المدرسة الابتدائية عندما كنت أتردد عليه وأنا أزور صديقا لى ، كان والده صاحب وكالة عطارة فى الغورية) . .

نجيب محفوظ فى وقفته الاستاتيكية الفاحصة المتمهلة ، أمام ملامح الحى العتيق أشبه ببلزاك فى قصة « على من يقع اللوم » عندما يصف ملامح المدينة التى تدور فيها أحداث القصة ، ويقف أمام شارع بالذات لأنه – فى الحقيقة – الشارع الذى ولد فيه . .

نجيب محفوظ فى الثلاثية وغيرها ، يرسم لوحات نابضة بالحركة والحياة للشوارع والأزقة والاقبية والمشربيات والأرابيسك والمجاذيب والمساليب والمآذن السامقة والمقاهى الهابطة وسوارس والمجاورين والليالى الصاخبة والجو الحالم . .

نجيب محفوظ تعبير عن البيئة القاهرية ، التى لم تتأثر بما وفد على المجتمع المصرى من أجناس . . فأبقتها نشازا داخل حدودها ، أو صهرتها تماما داخل هذه الحدود وظل الطابع المصرى الاصيل ، ميسما لها ولابنائها .

« محمد جبريل »

(١) يقول نجيب محفوظ أن « بداية ونهاية » هي قصة أسرة مصرية عرفها عن قرب ، وان نهاية المأساة التي عاشتها الأسرة كانت سعيدة ، بعكس نهاية الرواية .

مرثية

بشار

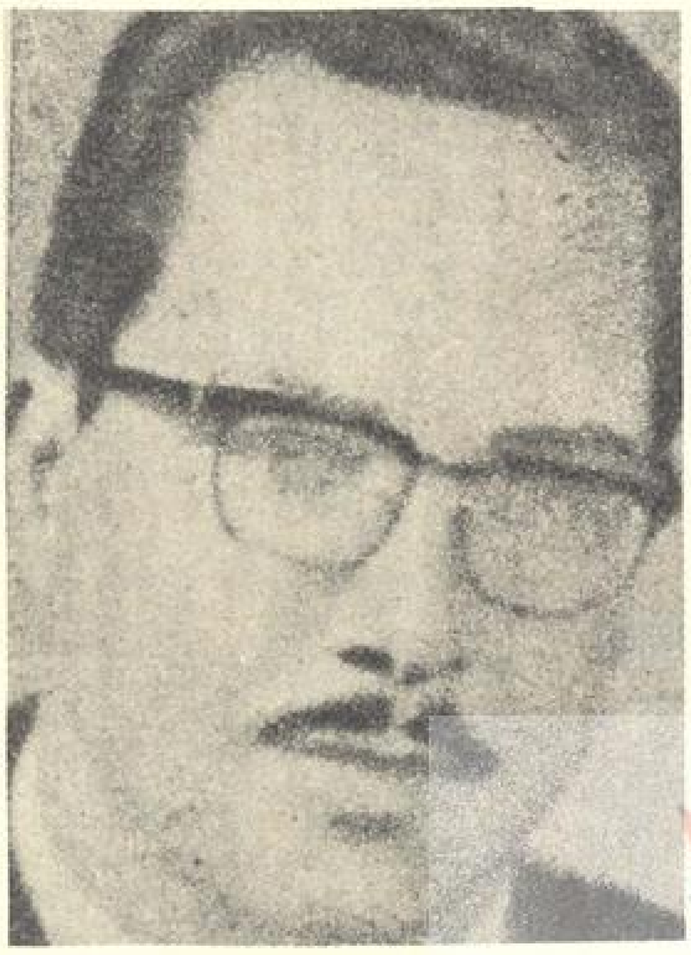
شعر

نبيل ياسين

حتى اذا شنقت يا بشـــار
حتى اذا استراح في عينيك وهج النار
تظل يا بشـــار
تحمل في يديـــك راس الموت
لا جثة ، لا صـــوت
لديـــك يا بشـــار
الصلب ، والغفوة ، والنهـــار
جمعتهـــا اليك
ان تذبـــح الاشـــياء في عينيك :
الشمس ، والريـــاح ، والغبـــار
فاســـتبق يا بشـــار
الملح .. والردى لـــديك
وجهك يا صـــديق
البسني الرحيل .. والطـــريق
وشيت بي لزوجة الخليفه
يصـــلبني
يجعل من حنجرتي الباب ، ومن اضلاعي السقيفه
جففت نبض الدفء في دمي
ذوبت صوت الشعر في فمي
ومـــت ...
هل مت يا بشـــار
هل مت ياابن النـــار .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشاعر عبده بدوي



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتجربة الغضب والموت !

يقف الشاعر عبده بدوى موقفا فريدا في نوعه بين الشعراء المعاصرين الذين يتخذون موقفا معينا ، ويتوقون الى ابراز هذا الموقف وتأكيده في كل ما يقولونه ، وهو موقف يرمز الى الأصالة في نفس الشاعر ويعبر عن انسان يمد قامته في الهواء الطلق دون أن يستند الى حوائط الآخرين ، وقد أمنه ذلك من الضياع وسطهم ، والذهاب دون أثر باق .

ونحن اذا أردنا تقديم تجربة هذا الشاعر المتميز ، فلا بد لنا من وقفة قصيرة أمام شكل العطاء الذى سخت به موهبته وقدمته لنا ، ولأن لهذا الشكل علاقة بمضمون هذا العطاء وكيفيته . كما أنه يعتبر في ذات الوقت دليلا على قدرة الشاعر الفنية ، وهي قدرة تختلف من شكل الى شكل .

ولقد انتهج الشاعر عبده بدوى في شعره طريقة الشعر العمودى وطريقة الشعر الجديد وزاوج بين الطريقتين في عمل مسرحي غنائي هو « الأوبرا » . كما أنه طوع الشعر في عمل جديد هو « القصيد السمفوني » . ولعل هذه تجربة جديدة في العالم العربي ، ولعل شاعرنا هو أول من يرتاد هذا المجال بين الشعراء العرب المعاصرين .

وفي فترة من الزمن كان الشاعر من خصوم الشعر الحديث أو الحر . ولكنه تحول الى ممارسة هذا اللون من الشعر وكتب به ديوانيه « كلمات غضبى » و « الحب والموت » ، واستطاع أن يمزج بين الشعر الحر والشعر العمودي في أوبرا « الأرض العالية » .

والسؤال الذي يطرح نفسه علينا الآن : لماذا تحول الشاعر فجأة من خصم عنيد للشعر الجديد الى مؤيد لهذا

الشعر وواحد من الذين ينظمون به ، بل ويقدم لنا ديوانين على نهجه ؟

يجيب الشاعر على تساؤلنا في مقدمة ديوانه « كلمات غضبى » فيقول بأنه من أول من كتبوا شعر التفعيلة ومن يطالع الصفحة الأدبية في جريدة المصرى يجده أول من نشر شعر التفعيلة في مصر . ثم يضيف « صحيح أني لم أكتب بالتفعيلة ديواني الثاني « باقة نور » وديواني الثالث « لا مكان للقمر » – وهو تحت الطبع – وليس لهذا من سبب الا لأني كنت مشغولا في هذه الفترة بادخال تجارب على « الشكل المتجدد » من أجل أن أدخل عليه البسط القصصي والعرض الدرامى ، ومن أجل تحويل القصيدة من صوت واحد نحيل الى عدة أصوات متشابكة ومتناغمة في معمار واحد » (١) . وهو لا يرفض الطريقة العمودية حين يكتب شعره بطريقة التفعيلة ويوضح ذلك قائلا : « وعلى كل فأنا حين أعود الى هذا الشكل لا يعني أني أرفض الأوزان العربية السخية . ولكن يعني أني أتجول بينها ما دام كل هذا يخدم العمل الذي أقوم به ، وبخاصة اذا أدركنا أن « التفعيلة » بنية عربية صميمة ما دامت تلتزم في رهافة ، وقد زاد ايماني بالشكلين معا حين كتبت بهما أوبرا « الأرض العالية » (٢) .

ونحن نرى أن الشاعر اهتم بالشكل الجديد حين أخذت بعض الأقلام المؤثرة في عالم النقد الأدبي تهيئ لهذا الشكل وتدعو له وتكتب في ذلك المقالات الطوال ، وتبغي من وراء ذلك تحقيق أهداف لا تمت بصلة الى قضية التجديد والنهوض بالأدب العربي عامة والشعر خاصة . بل ترمي الى أغراض خبيثة أهمها وأوضحها افساد الذوق الأدبي العربي بهدم اللغة العربية والتشكيك في ما تعبر عنه من فكر عربي اسلامي .

ولقد راحت هذه الأقلام تنصب شعراء لامارة الشعر العربي المعاصر ، وتحكم بالموت على شعراء آخرين وكان الذين نصبوا ممن وفروا أنفسهم على الكتابة بالطريقة الجديدة وتتلمذوا على أيدي الداعين لها ، وقد يعتقد البعض أن الشاعر عبده بدوى يبغي شيئا من وراء كتابته بهذه الطريقة ، ولكنه ينفي ذلك بشدة وفي حالة المعتد بنفسه الواثق منها خاصة « بعد أن وزعت الشارات وقسمت الغنائم » على حد تعبيره .

وفي الحقيقة فان الشاعر في شكليه العمودي والجديد شاعر متميز يقف على أرض صلبة ويقول شعرا لم يسمعه من أحد ، وسوف نوضح من خلال معايشتنا لأشعاره خصائصه ومميزاته ، ولا يهمنا الشكل في حد ذاته بقدر ما يهمنا ما يقوله الشاعر ويشغل فكره ويجرى على لسانه : فهذه هي القضية .

وليس الشاعر في رأينا من يمضي على طريق الحياة لينقل ما يقوله الناس ، ثم يعرض أخبارهم وأحوالهم في صورة الرسام أو المؤرخ . . فهذا عمل ليس له ، وينفرد به غيره . وانما الشاعر من يحس ما وراء كلام الناس ، ويتحسس مستقبلهم وينقل ذلك على لوحة فكره مستخدما ألوانا متناسبة متناسقة تنبع من ذات نفسه وتنبثق من وجدانه الشفاف ان الشاعر يستشرف الغد ومن أجل ذلك يغني ولا يكف عن الغناء حتى لو توقف النبض في قلبه وجف الدم في عروقه . فالناس تردد أغانيه الى ما شاء الله . والغناء الأصيل رؤية صادقة يستهدي بها الناس في كل حين . والشاعر الفذ من يستطيع أن يغني غناء أصيلا وتبقى نغمته في الآذان الى مدى طويل .

وهذه أمور بديهية تعرفها جمهرة المتأدبين ، وقد أوردناها لنعلم الى أي مدى غنانا شاعرنا عبده بدوى في أيامنا الراهنة . والى أى مدى وصل صوت شبابته في حقلنا الكبير .

وللشاعر عبده بدوى رؤيته الخاصة به ، وبالرغم من كونها خاصة فهي تحمل في أعماقها الانسان وتحتضن أفراحه وآلامه ، ومسراته وأحزانه . والانسان عنده ليس محدودا بنوع أو وطن . بل هو الانسان في كل مكان من أي جنس . الانسان العربي أو الانسان العالمي حيث كان . . الفتى « طارق » ابن الشاعر ، أو الفتى « جومو » ابن كينيا الافريقية وقبائل الكيكايو ، الانسان المعذب والرازح تحت سطوة القهر والكراهية والحقد ، الانسان المحاصر والمحكوم عليه بالصمت والا فمصيره شهقة تتبعها زفرة أبدية لا تتكرر ! الانسان المتطلع الى الحرية وفك الاغلال وكسر القيود ، والتمرد على الظلمة ، والسخط الطامح الى تغيير هذا العالم الكريه المحيط به . . الانسان الغاضب على انكسار ميزان العدل . . الغاضب حتى في حبه . . الانسان المنتظر للموت المطارد به حيثما كان وحيثما حل . الانسان المؤمن بالله وبأن عطاياه ابتلاء واختبار مهما كانت القسوة في الابتلاء والشدة في الاختبار . الانسان المنتظر للحظة التنوير واليسر بعد العسر والنور بعد الظلمة .

انه انسان يتشكل وفق رؤية خاصة رآها الشاعر بعينيه هو لا عيون الآخرين . ولذلك كانت تجارب الشاعر عن معاناة واحتكاك واحتراق بوهجها . . ومن ثم فقد أخلص لها الشاعر وبذل من أجلها كلّ طاقته الفنية

ولو اقتضاه ذلك أن ينتقل من التعبير بالموضوع الى التعبير رمزيا أو سيرياليا أو رومانتيكيا أو صوفيا . . ولقد نجح في هذا التعبير الى حد كبير تساعده الفاظه الخاصة ومصطلحاته الذاتية .

وحين نتأمل الانسان الغاضب لدى شاعرنا ، نجده قد تعاظمت همومه وازداد قلقه ، والخوف يؤرقه ، وهو انسان يعيش في عصر مخطوف اللون ، مشجوج القلب . . عصر الانسان الجائع :

« والأم الباكية الثكلى من هول الحرب
والطفل اللاثم ثديا مقطوع الحلمة .
والجندي المقسوم النصفين
والتلميذ اللاهي بالحكمة
والشيخ المفقود العكاز
والميت من قبل الحكم
وبنات لم تعرف أبدا طعم الحب
والصدر المعتصر الثديين ليوفر نصف رغيف اليوم .
وشباب يجرع جمجمة بعد الأخرى لأبيه أو لأخته أو أمه .
والكذب المنتصب القدمين .
والبيت الخالي والسجن المأنوس .
في كل مكان في العالم
في كل مكان . . »(٣)

هذه صورة كريهة لعصرنا أبدع الشاعر تصويرها ، وان كان لا يعتقد أيضا أن العصور السابقة كانت بمنأى عن هذه الصورة المؤلمة :

« لا تذكر ان عصورا أخرى كانت أفضل .
أو أن الماضي يعلوه تاج سحري
وزهور رخام ثلجية . » (٤)

وتظهر لنا حالة يأس وتشاؤم عميقة ومؤثرة . فصورة العصر المرسومة بريشة الشاعر لا تعطينا أدنى أمل في الخلاص . . ولعل هذا راجع الى حالة نفسية عند شاعرنا . . وبالرغم من ذلك فهو صادق الى حد ما بمقاييس المنطق والشعور . . فبالكذب والخداع والنميمة :

« لم يلبس انسان أبدا وجهه ،
لم تخفق في جنبيه الطيبه
لم يبسم من غير السم
لم يضرب الا في مقتل .
فالانسان الشيطان
والشيطان الانسان . . »

وحين تخف حدة الغضب ويذهب احمرار العينين وتنبسط جبهة الشاعر برخاء التفاؤل فانه من خلال الارادة والأمل أو ما يسميه الشاعر بالشيء الأخضر . . يغني للانسان وللعالم . . يغني « للدانوب الأزرق » و« الدون الهادئ » وللانسان بقلب ثابت وهدبين معتزين حتى لا يقتل من حيث المأمن وحتى لا يضرب بين العينين المغرورقتين :

« اني سأغني للنهرين الفرحانين
بالقلب الثابت والهدبين المعتزين
لكن من قلب الشيء الأخضر .
من بين زبيبة هذى الشمس
رغم الأحزان الكسلى في عينيه
والشيب الساقط في فوديه .
والجرح الواقع
فهو الأمل
وهو النور » (٥)

والشاعر يضع شروطا لكي تغدو الحياة جنة عطر ويغرد العصفور في البستان العلوى . . والشمس تعدو الى سفن اليوم التالي ، والميت يفرد ساقيه قبل الدفن ، ولكي تبقى الطيبة تمشي في الأسواق . والرؤوس تبقى في الاعناق :

« لا بد لتلك الآنية الخضراء
أن تجمع في جنبيها كل الألوان .
حتى لا يكسرها طفل أعمى حتى لا يشرخها الحقد الزيتي
وتطل عليها زهرة دم » (٦)

وتجربة الغضب تجربة يعيشها وجدان الشاعر وتتحول لديه الى استنكار وسخط أحيانا والى خوف ورعب أحيانا آخر حتى في ساعات اللقاء مع الأحباب بعد فراق طويل . انه رعب يعيش في كل حياة الشاعر . ومما يزيد في هلعه ان الناس ترى ولا تبالي . . يرون الشاعر في حفرة ، أو عاريا في الطريق ولكنهم ينصرفون الى بيوتهم كأنهم لم يروا شيئا :

« قالت : أعود اليك . قلت : بأنني
ما عدت أملك خضرة الشعراء
اني أعيش الرعب يتبع خطوتي
والخوف ينعس جفنه بدمائي
والحزن يمشي ان مشيت ويرتمي
متهالكا جنبي بكل مساء
يهتز مرتعشا فأطرد فرحتي
وأضمه للدفء في أحشائي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولقـد أموت وأرتمي في حفـرة
أو أبـق ممـددا بدون . . رداء !
ولقد يراني الناس ثم تشدهـــم
خطواتهم للبيت في اغضـاء »(٧)

وبالرغم من هذى القتامة المرعبة في نظر الشاعر فهناك أشياء تخفف من حدتها وترسم دوائر بيضاء في الصفحة السوداء للعصر . هذه البنت الحلوة ذات اللثغة والتي ذكرته بماضيه الاخضر المضيء . هذا الولد الصغير « طارق » الذي كان قبله عابسا في جنة مخضوضرة فاذا به يحياها ويغني فيها .

« قد كنت قبلك عابسا في جنة مخضوضره
ومحطما . . أمشي وأحمل في يدى المقبره
حتى قدمت الى الحياة قصيدة مستبشره
فوجدت في جدني الحقول الناعمات المثمره
ووجدتني أسع الوجود أشد منه مثزره »(٨)

وليس الغضب في العصر الأسود الا مرحلة تفضي الى عالم الموت بكل أبعاده وملامحه العدمية ، فهو يحسب أن الغضب لا يجدى . . غضب يحفه الموت الكئيب وتتراءى صوره في كل شيء . . حتى الحب . . ان الموت والحب تناقض وتنافر غير مألوف – ولكن طبيعة الناس والعصر . . جعلت الفتى يقول للفتاة « أحبك كالموت »



بقلم
حلمي محمد القاعود

بدلا من قوله : « أحبك كالحياة » . انها حياة مثيرة تحفل بعالم مضيع يشد كل ريشة في الجسم ويفرغ العبير من الزهور وينزع الوميض من الحديث ويكسر الرخام في الابهاء – انه كون جهم :

« يحرك الحياة مثل كل يوم .
قبيحة بليدة مكررة
ونحن تحت سقفها نموت نغدو واحدا في موتنا
في حبنا » (٩)

ان عالم القهر والجهامة يلبس فيه الكذب ثوب الحق ويضحى الظلام نورا في عين الظلمة والكذبة . . وهذا نموذج منهم :

« هو حبر الاحبار الاعظم
يعطى للشيء الواحد أكثر من وجه
ويبيع اليك الاقناع .
ويهدهد فيك قرون الشك
ويخبئ من تحت البسمة بئرا يترامى دون قرار . .
فنعلم منه الحكمة » (١٠)

وحكاية الموت هذه حكاية مريرة ، ويتطلع خلالها الشاعر الى الحياة بعين مجهدة أتعبتها رؤية الظلم والظلام والجدب « والحزن القادم في هذه الخطوات من أقصى الردهات » ومن ثم فهو يرى أن « المعجزة الكبرى في الماضي كانت أن تحيي الموتى . أما احياء الاحياء اليوم فيعد محالا أو فوق الطاقة » . لكنك تقع في حيرة حين يقول « لكن الموت يعز اليوم على الأحياء » .

أى موت يريده لهؤلاء الأحياء ؟ وأى حياة يختارها لهم ؟ ان الشاعر في تجربة الموت يطرح اسئلة كثيرة . . أسئلة غير محدودة يظهر فيها القلق والحزن على انساننا المعاصر الذى حاصرته الرزايا وأرهقته النكبات . أسئلة تنتظر الاجابة بالأمل وتشهق بالرجاء رغم المرارة والألم في واقعه هو أو الواقع الخارجي . فكلاهما يلتحمان ويعيدان واقعا واحدا لا ينفصل « يقول لي الظلام : مت . أقول : لا ، فانني ضربت مو عداً لها . أواه يا يمامتي ومن بها الحب ابتدا . لو لم تكن عيناك تهت في عالم رحب المدى » .

ويقبل الشاعر تحدى الموت رغم جوهره الرهيب :

« لكن يا ربى رغم المحنه . .
لا تبلوني الا بخطوب كبرى .
الا بالنيران الهوجاء
الا بالايام الحبلى بالرعب الا بالموت .
.
يا ربي لا تقتلني هدرا .
لا تجعل موتى عارى
والعار الموت . » (١١)

في هذا التحدي تبدو الروح الصوفية التي تستعذب الألم في سبيل الخلاص وترفض الواقع في سبيل المثل والقيم . . وفي رأينا أن ذلك يرجع الى شدة تدين الشاعر وإيمانه العميق . وتكتمل هذه النغمة الصوفية بصورة فنية رائعة حين يقول :

رغم شرخ في جـدار السماء عميق
عـاد من عربته فتى تعرفونـــه
قـد رأى الأرض غابة فكساهـا
بغنـاء ومـدها زيتونـــــه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قد رأى الحق أبكما والمغنـــــى
لا يغني لغير مـــن يخونـــــه
ورأى الليل بحـر حزن عميـــق
غرقت في دجاه كـــل سفينـــه
عاد في كفيه الهدى لا عصا الحجاج تروي ثرثارة مجنونة
عـاد لا ؛ صد الرؤوس ولكـــن
يحصد الذل في الحياة المهينـــه
لكأني بـه يسوق ربيعـــــا
للعصافير في الحقول الضنينـــه
ويذود التتار مـن كـــل جنس
بعد أن زلزلوا بحـــق حصونـــه
وينادى عـــلى الحسين لكيـــلا
تسقط الرأس مرتين الرعونـــــه
ويعيد القنديـل للمسجد الأقصـــى
ويمشي على الروابي السجينه (١٢)

ويستخدم الشاعر صورا وقاموسا متميزا ونجـد أن قصائده تلح عليها ألفاظ : الضوء والظلمة والشحوب والسيف والأهداب والحافة والغضب والموت واللؤلؤ والجفون والعيون المغرورقة والخضرة والرعشة والمجداف والقمر والفارس والريح والرحم والاجهاد والسكرى واللون الأزرق والعمر الأزرق والأيام السبعة والمنقار . والشاعر يستوحى الأسطورة لتكون اطارا خارجيا يرسم داخله ما تبدعه قريحته وقد استخدم أساطير الفراعنة والصينيين والاغريق والبوذيين والافريقيين .

كما أن شخصية « الحجاج » تلح على ذهن الشاعر كرمز للقهر والظلم في عالم يقاوم مقاومة الضعيف الخائر أمام القوى الجائر !

ونستطيع أن نقول في ختام كلامنا أن تجربة الغضب والموت عند عبده بدوى تجربة مثيرة وفريدة ، وهي تتطور باستمرار وأعتقد أنها ستصل بالشاعر في غنائياته الى صوفية صرفة متفائلة تمنح المزيد من العطاء الفني الرائع . وستصل به في أعماله المسرحية التي ننتظرها الى شئ له قيمة عالية في عالم الأدب والفن والكلمة المضيئة .

حلمى محمد القاعود (مصر)

١ – ص ٢ مقدمة ديوانه « كلمات غضبي »
٢ – نفس المصدر السابق
٣ – ص ٣٦/٣٤ من « كلمات غضبي »
٤ – ص ٣٦ من « كلمات غضبي »
٥ – ص ٧٠ من « كلمات غضبي »
٦ – ص ٧٣ من « كلمات غضبي »
٧ – ص ١٢٩/١٢٨ من « كلمات غضبي »
٨ – ص ١٤٣ من « كلمات غضبي »
٩ – ص ٨ من ديوانه « الحب والموت »
١٠ – ص ٥٣ من ديوانه « كلمات غضبي »
١١ – من ديوانه « الحب والموت »
١٢ – من قصيدته التي القاها في مهرجان الشعر ببغداد ١٩٦٩ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من خير ما قيل في الشعر :

عـــلم الغيث النـــدى حتى اذا
ما وعاه عـــلم الباس الاســـد
فـــاذا الغيث مقر بالنـــدى
واذا الليث مقر بالجـــلاد

.. وفي الغزل

ظفـــر الحب بقـــلب دنـــف
بـــك والسقم بجسم ناحـــل
وبـــكى العـــاذل لي من رحمتي
فبكائي لبـــكاء العـــاذل

وفي معناه ..

بـــكى عاذلي من رحمتي فرحمتـــه
وكم من مسعد من مثلـــه ومعـــين
ورقت دموع العـــين حتى كأنهـــا
دموع دموعي لا دموع جفونـــي

●●●

وقال مجنون ليلى :

يقولون لي يوما وقـد جئت حـــيهم
وفي باطني نار يشب لهيبهـــا
امـــا تخشني من اســـدنا فاجبتهم
هوى كل نفس أين حـــل حبيبهـا

●●●



معادلة السلوك الإنساني

دكتور
محمد صلاح
الدين عيد

ان المرحلة التي امر بها الان من مراحل حياتي بصورتها الراهنة بكل ما فيها من خير وشر ، من حسن وسيىء ، من لذات ومتاعب لا تعدو ان تكون الشق الإيسر في معادلة كيميائية يتكون شقها الايمن من مادتين او مركبين ، اولاهما : الظروف الخارجية التي وجدت فيها والي يتحتم علي معايشتها والتعامل معها ، بما في ذلك الناس والبيئة ، والثانية : ما انا مزود به من قدرات وخبرات ومن مكونات اخرى لشخصيتي . والعلاقة بين هذين المركبين هي علاقة الاضافة التي يعبر عنها رياضيا بعلامة + وهي نفس العلاقة المستعملة للمركبات والعناصر في مجال الكيمياء ، والشق الايسر في المعادلة الكيميائية هو نفسه الشق الايمن مع اختلاف في الصورة والخواص وبدون حدوث اي زيادة او نقصان .

وهذا هو الحال تماما فيما ندعوه معادلة السلوك الانساني وقد حرصنا على تسمية جزاي الشق الايمن في هذه المعادلة (المدعاة) بالمركبين لانهما قابلان للتحليل والتجزئة الى عناصر . فالظروف الخارجية يمكن تقسيمها او تصنيفها الى عناصر البيئة التي يوجد المرء محاطا بها .. يمكن تقسيمها الى الاشخاص الاخرين الذين يعدون ظروفا خارجية بالنسبة اليه وهم اصعب المواد في التعامل معها بسبب تعقيد تركيبهم ، وكذلك الى الاشياء المادية الاخرى ونرمز هنا الى الظروف الخارجية بالرمز خ .

اما الظروف الداخلية او التركيب الشخصي للانسان الذي يتفاعل مع الظروف الخارجية فيمكن ايضا تحليله الى عناصر ابسط وهذا هو ما حاوله سيجموند فرويد حين حلل الانسان الى الهو وقال انه كل ما يولد به الانسان وما هو مركب في البدن من غرائز ونحو ذلك ، والانا العليا التي تمثل سلطة الوالدين ونحوهما والتي تعرف بالضمير ، والانا التي تقوم بالتوسط بين الانا العليا والهو محاولة التوفيق بين هذين الطرفين من ناحية واحسان تجاوب الفرد مع الواقع الخارجي من ناحية اخرى . ونرمز للظروف الداخلية بالرمز د

ومن ذلك يتضح ان العلاقتين اللتين يضمهما الجانب الايمن في معادلتنا يمكن ان ينقسما بل هما ينقسمان بالفعل الى مجموعة ابسط من العناصر وان كان هذا التقسيم شأنه شأن كل تقسيم في هذا الوجود هدفه الدراسة والفهم ثم يرتد كما كان وحدة مترابطة او متلاحمة الاجزاء .

وببساطة فانه يمكن ان نضع معادلتنا في شكلها الرمزي بالطريقة التالية :

خ + د = ن

حيث ن نتيجة او شكل الحياة في مرحلة ما .

اما الصورة النهائية لاحياة فهي مجموع اشكالها الناتجة من التفاعلات المستمرة بين خ ، د و(ن) النهائية هي مجموعة (النونات) التي تكونت خلال مراحل حياة فرد ما .

وقد تتعادل مادتا الحد الايمن كميا وقد تتفاوتان اذ تصل الظروف الخارجية في قوتها في بعض الاحيان الى حد الغاء فاعلية الظروف او العوامل الداخلية تماما ففي حالة انفجار بركان فجأة تأخذ المعادلة الشكل التالي :

د + خ = ن

وحيث د = صفر (وهو ما يعبر عن انعدام حيلة الانسان في مثل هذا الموقف) ∴ خ = ن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والظروف الخارجية لا يمكنها ان تصل الى درجة الصفر ازاء الظروف الداخلية او قوة العوامل الذاتية للفرد او الجماعة، غاية ما في الامر انها قد تتضاءل امام قوة العوامل الذاتية وذلك في حالات بناء الحضارة مثلا او السيطرة على الطبيعة وفي حالات الحرب التي يُهزم فيها الفريق الاخر هزيمة ساحقة .

واذا كانت الحياة سلسلة من المواقف التي تعبر هذه المعادلة عن كل منها فان كل موقف تال تدخل (ن) فيه كاحد المواد في الحد الايمن من ناحية وكمساعد للظروف الداخلية التي ربما ادى الى صقلها بما نسميه بالخبرة من ناحية اخرى فهي سلسلة متصلة الحلقات . ويمكن عن طريق هذه النظرية البسيطة استنتاج العوامل المجهولة في التاريخ عن طريق ما هو معلوم بوضعها في صورة معادلة جبرية ، فاذا عرفنا الحد الايسر (ن) امكننا بمعرفة احد جزاي الحد الايمن استنتاج الجزء الاخر على اساس من المنطق والواقع وهل الرياضة باسرها الا مجرد منطق هو الواقع ، او واقع نسميه منطقا ؟ وفي هذا المجال فان المعادلة المذكورة سوف تتعقد بتقدم الدراسة وتعطينا اكثر مما نتصور الان .

كما ان هذه النظرية تحل مشكلة الجبر والاختيار التي بقيت بلا حل حتى الان ، فلم يعد فيها مجال للتساؤل عما اذا كان الانسان مخيرا ام مصيرا . لقد حل محل هذا التساؤل الفهم الرياضي (المنطقي) لطبيعة السلوك الانساني بل لطبيعة الوجود بأسره الذي يقوم في اساسه وعلى اعلى مستوياته رقيا وتعقيدا ممثلة في الانسان .. يقوم على المعادلة الرياضية .

ولا يقولن قائل اننا بهذا انما نعامل الناس كما نعامل الاشياء ، فانظر الى تركيب الخلية وتركيب الذرة اهما مختلفان كثيرا ؟ كلا فالنواة في الخلية والنواة في الذرة

وحول نواة الذرة تدور الالكترونات، وحول نواة الخلية يوجد البروتوبلازم الذي يمثل تدخل ذلك الشيء العجيب (الماء) وكذلك الكربون ليصنعا ذرة مرنة الحركة ومتعددة الاشكال والالوان وقادرة على الانشطار بنفس الطريقة التي تنشطر بها الذرة ولكنها بدلا من ان تنتج حرارة ووهجا تنقسم الى خلايا اصغر تسلك سلوك النار (وهي نشاط ذري بسيط) وذلك حين تحتاج في اشتعالها الى غذاء واكسيجين وحين تلقي بفضلاتها ايضا هباء ورمادا لكن الخلية التي تسلك نفس المسلك من حيث جوهره تكون ابطأ من النار ، واكثر مرونة واثقل في الحركة واكثر تحيزا في المكان واطول عمرا !

ان سلوك الخلية — وهي ممثلة المادة الحية — لا يختلف في الجوهر عن سلوك الذرة ممثلة المادة الجامدة عازمين على استبعاد مناقشة العلاقة بينهما لانها قضية نشأة الحياة . وظاهرة الحياة ظاهرة فريدة نتجت عن مجموعة من العوامل التي يندر توافرها في كوكب اخر غير الارض في مجموعتنا الشمسية على الاقل ، وفي المرحلة الاولى من مراحل الحياة وهي النبات كانت الحركة قاصرة في الحصول على الغذاء على الامتداد الراسي التحتي في باطن الارض عن طريق الجذور ، وعلى الامتداد الراسي الفوقي تجاه مصدر الضوء اما في مرحلة الحيوان فقد اتخذت الحركة الشكل الافقي ولم يعد الامتداد (حركة النمو) راسيا بل صار افقيا ايضا وتحرر الكائن الحي في هذه المرحلة من الارتباط بالمكان الواحد .

ويعد انتصاب الجسم الانساني تعديلا ذا اهمية بالغة في تاريخ الاحياء التي خطت بذلك خطوة ابعد في حرية الحركة وتمكن الانسان بواسطة هذا الامتياز وبما اتاحه له من سعة في الافق من احراز قدر لا بأس به من السيطرة على الطبيعة.

وحركة ما نسميه بالاشياء هي حركة اقل تعقيدا من حركة الاحياء فالاختلاف بينهما في الدرجة لا في النوع . خذ (حركة الرياح مثلا) فنفس حركة التاريخ او حركة الجماعات البشرية وهي محصلة حركة الافراد تشبه في كثير من الوجوه حركة الرياح فكما تهب الرياح من مناطق الكثافة الجوية الى مناطق التخلخل كذلك تهب الغزوات من مناطق التركز السياسي الى مناطق التخلخل والانقسام السياسي ، ونحن نرى ميكانيكية السلوك البشري اكثر وضوحا هنا لان المثال اكثر ضخامة.

ولنعد الى الخط الاساسي في نظريتنا .

انها لا تقترح شيئا وهي ليست الا تقريرا للواقع ، او استنباطا للقانون العام الذي يقوم على اساسه سلوك الانسان في الحياة تمهيدا لتحسين هذا السلوك عن طريق ادراك عناصره الاساسية ، وهل هناك غير هذه العناصر تحكم سلوك الانسان وتتحكم فيه .

الظروف الداخلية والظروف الخارجية وما ينجم عن تفاعلهما من نتيجة في موقف ما او في مرحلة ما ثم تنتقل هذه النتيجة من شقها الايمن الى الشق الايسر في موقف تال ومعادلة تالية بطريقة غير مباشرة لانها تضاف الى خبرة الانسان التي تؤثر على سلوكه .

وهذا الاتجاه في التفكير يمكن ان يسهم في ان تجتاز العلوم الانسانية ازمتها الراهنة عن طريق الاستعانة بالرياضة وعلى هذا النحو البسيط في مباحثها ، تماما كما تقدمت علوم الطبيعة نتيجة لهذه الاستعانة نفسها بالرياضة ، ولن يكون هذا تقليدا منها لعلم من العلوم .. تقليدا يعوزه التبصر لان الرياضة هي القاسم المشترك الاعظم بين العلوم اليقينية.

الكويت —

دكتور محمد صلاح الدين عيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في صميم النحو

افعال التعجب

موضوع التعجب موضوع عجيب غريب بالنسبة لموضوعات النحو الاخرى . وهو ايضا شائك متوعر ولا يأمن الناظر فيه من التعثر والانزلاق مهما كان نافذ البصيرة ثاقب الذهن . ولهذا فقد كان مجالا لخلاف واسع عميق لا بين البصريين والكوفيين فحسب بل بين افراد كل من المدرستين .

فقد اختلفوا حول ماهية (ما) التعجبية وهل هي نكرة تامة او اسم موصول او نكرة ناقصة .

واختلفوا تبعا لذلك حول مكان الجملة التالية من الاعراب اتكون في محل رفع خبرا لـ (ما) النكرة التامة او صفة لـ (ما) النكرة الناقصة ، ام الا يكون لها محل من الاعراب على اعتبار انها صلة الموصول .

واختلفوا حول (افعَلَ) اتكون فعلا على راي البصريين او اسما على راي الكوفيين .

واختلفوا في (أفعِلْ به) اهي فعل امر صريح ام فعل ماض جاء على صورة الامر .

واختلفوا في الباء اهي حرف جر اصيل ام حرف جر زائد .

واختلفوا تبعا لذلك في مجرور الباء وهو الاسم المتعجب منه هل هو مجرور بالحرف والفاعل هو الضمير المقدر ام هو مجرور لفظا مرفوع محلا على انه فاعل ؟

لقد اختلفوا في كل ذلك وما ذكرناه فهو لا يعدو ان يكون اشارات الى ذلك الخلاف لان المجال لا يتسع لبسط الموضوع والاحاطة به من جميع اطرافه . ومن اراد التوسع والتبحر فليرجع الى (كتاب الانصاف في مسائل الخلاف) لابن الانباري (وشرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الازهري على جمال الدين ابن هشام) وغيرهما من المصادر ففيهما غناء واي غناء .

ليس هذا الخلاف اذن موضوع حديثنا وان كان يجدر بنا ان نضيف الى الاشارات السابقة ما يتممها فنذكر الحقائق التالية :

١ — ان رأي سيبويه بأن (ما) التعجبية نكرة تامة في محل رفع على الابتداء هو اقرب الاراء الى الصحة والصواب وهو اكثرها قبولا في الماضي واوسعها سيرورة في الحاضر بل هو الرأي الذي يكاد ينعقد عليه اجماع النحاة .

٢ — ان رأي البصريين ومعهم الكسائي الكوفي القائل بفعليه (افعَلَ) هو الرأي الاقرب الى الصحة والصواب وهو الرأي الذي يكاد ينعقد عليه اجماع النحاة . وحجج البصريين فيه معقولة مقبولة .

٣ — ان قول البصريين بأن (افعل به) فعل ماض جاء على صورة الامر وان الباء حرف جر زائد وان المتعجب منه مجرور لفظا مرفوع محلا على انه فاعل ، هذا القول اقل الاراء نصيبا من الصحة والصواب وابعدها عن المنطق على الرغم من انه اكثرها سيرورة بين متأخري النحاة اذ يأخذ به المدرسون واساتذة الجامعات ويتناقله اللاحق عن السابق دون تمحيص او تحقيق .

ومن الجدير بالملاحظة أن (افعَلَ) التعجب هذا الذي تمسك البصريون بانه فعل صرف والكوفيون بانه اسم صرف . والذي اقر متأخرو النحاة فعليته مؤيدين في ذلك جمهور

البصريين ، هذا الفعل يحمل من المميزات ما يفرقه عن الافعال العادية . وقد تنبه الكوفيون لبعض هذه الميزات . ولكنهم لم يستطيعوا ان يحملوا البصريين على ان يقيموا لها وزنا في غمرة الصراع بين الطرفين ولذلك فقد تجاهلها النحاة وغضوا النظر عنها وبقيت محفوظة في بطون الكتب بحيث لم يعد يشير اليها مؤلف في الكتب المدرسية الحديثة مع انها على جانب عظيم من الاهمية . وكأن اصرار الكوفيين على كفايتها لاثبات اسمية (افعَلَ) افقدها قيمتها في نظر النحاة . وهذه هي المميزات المشار اليها .

١ ــ ان (افعَلَ) التعجب هو الفعل الوحيد الذي يكون فاعله مستترا وجوبا على خلاف الاصل وليس له شبه في ذلك الا بعض افعال الاستثناء مثل عدا وخلا حينما يكون مستثناهما منسوبا على رأي بعض النحاة . فالعادة ان يستتر الضمير جوازا حينما يعود الى غائب ولكنه استتر هنا وجوبا ولا علة في ذلك الا ان (أفعَلَ) تختلف عن غيرها من الافعال الماضية الحقيقية . واستتار الضمير جوازا يعني امكانية استبدال الاسم الظاهر به . اما استتاره وجوبا فيعني انتفاء هذي الامكانية . ولقد تنبه النحاة لهذه الميزة وحينما وجدوها حالة نادرة ومخالفة لما هو متعارف عليه في اسناد الافعال الى الضمائر كان لا بد لهم ان يبينوا انها جرت على خلاف الاصل .

٢ ــ ان (افعَلَ) التعجب تختلف عن (أفعَلَ) الفعل الثلاثي المزيد من حيث المعنى ومن حيث الاشتقاق . اما بالنسبة للمعنى فافعل التعجب لا تفيد الا التعجب والاستعظام بمساعدة (ما) التعجبية بخلاف افعل الفعل الثلاثي المزيد التي تفيد عدة معان كالتعدية والدخول في الشيء او قصد المكان او اصابة الشيء على صفة الى غير ذلك مما هو مذكور ومدون في كتب اللغة (لزيادة الاطلاع على معاني افعل يستحسن الرجوع الى الصفحات الاولى من المنجد في موضوع مزيدات الافعال) ومن هنا يظهر لنا خطأ هؤلاء الذين يعتقدون ان الهمزة في افعل التعجب للتعدية. جاء في جامع الدروس العربية للشيخ مصطفى الغلاييني ج١ ص ٦٥ مايلي: (والهمزة في افعل للتعدية فمعنى قولك : ما اجمل الفضيلة شيء جعلها جميلة . كما تقول امر اقعده واقامه تريد ان قعوده وقيامه لم يكونا الا لامر ثم حمل الكلام على معنى التعجب الخ) وهذا كلام بعيد عن الصحة والصواب فلئن كانت صيغة اجمل بمعنى جمّل موجودة في العربية فهي مهجورة وغير مستعملة . و «اجْمَلَ» معناها المعروف والمتداول جَمَعَ من غير تفصيل فليست (اجْمَلَ) اذن مثل اقام واقعد . ونحن لو اعتضنا من هذا المثال بمثال اخر وقلنا : ما اعدل زيدا فهل تكون اعدل مثل اقام واقعد فعلا رباعيا متعديا لدخول الهمزة عليه ؟ وهل في كتب اللغة مزيد ثلاثي من مادة (عدل) على وزن افعل ؟ الحقيقة ان افعل التعجب ليس لها علاقة بصيغة افعل الثلاثية المزيدة المتعدية وليس بينهما اية قرابة . بل من الخطأ تصور مثل هذه القرابة ، فكل منهما له دلالة خاصة ومميزات يتميز بها . ومن هذا القبيل ما توهمه بعض النحاة من ان (افعِلْ به) منقول عن فعل ماض على وزن (افعَلَ) وهمزته للصيرورة (جامع الدروس العربية ج١ ص ٦٦ وشرح التصريح على التوضيح ج٢ ص ٨٨) وهم لا يريدون ان يفهموا او يقتنعوا ان صيغتي التعجب الماضوية والامرية ليس لهما اية علاقة بصيغة (افعل) الثلاثية المزيدة وبمعانيها المتعددة . فلئن استطاعوا ان يأتوا بمثل للتدليل على رايهم فلن يستطيعوا الاتيان بمثل اخر . وكل ما زعموه بهذا الخصوص فهو من قبيل الحدس والتخمين .والتكلف ظاهر على الامثلة التي استعانوا بها والا فمتى كانت احسن صار ذا حسن واقبح صار ذا قبح ؟ وهل صحيح ان اقْبِحْ بالجهل اصلها اقْبَحَ الجهلُ ؟

هذا من حيث المعنى اما من حيث الاشتقاق فنحن نرى افعل التعجب تصاغ بشكل يخالف شكل افعل الثلاثية المزيدة وان اتفقتا في الاشتقاق احيانا فهو من قبيل المصادفة . نقول في التعجب : ما اضيقه وما اطوله وما اطيبه فهل في العربية من هذه المواد افعال رباعية على وزن افعل ؟ (نقول رباعي تجاوزا واختصارا والا فهو ثلاثي مزيد) فاذا كانت افعل التعجب هي افعل الرباعية فلماذا لا يقولون أضيقه بدل ضيّقه وأطوله بدل طوّله وأطيبه بدل طيّبه ؟

نعود فنؤكد ان افعل التعجب تختلف عن (افعَلَ) الفعل الرباعي الصرف معنى واشتقاقا وانها لا تفيد ما تفيده افعل من معان وان كلا منهما له دلالة خاصة وان احداهما تستعمل في ما لا تستعمل فيه الاخرى . وعلى هذا الاساس نستطيع تفسير قولهم: ما اعظم الله وما اقدره وما اجله . فليس المقصود ان شيئا جعله عظيما او جليلا جل جلاله بل المقصود هو



بقلم

جميل علوش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التعجب والاستعظام . وعليه فالالتباس حصل من الخلط بين (الافعلين) والجمع بينهما في حين انهما شيئان مختلفان تمام الاختلاف.

٣ ــ يضاف الى ذلك الميزات الاخرى التي تمسك بها الكوفيون ككجج على اسمية (افعَلَ) . وقد اوردها ابن الانباري في « الانصاف » بتفصيل واف في معرض حديثه عن الخلاف بين البصريين والكوفيين (الانصاف في مسائل الخلاف تحقيق الشيخ محيي الدين عبدالحميد ج١ ص ١٢٦ ــ ١٢٨) وهذه الميزات المذكورة :

اولا : جمودها وعدم تصرفها . والجمود وعدم التصرف من خصائص الاسماء لا من خصائص الافعال .

ثانيا : امكانية تصغيرها واستشهدوا على ذلك بقول الشاعر:

يا اميلح غزلانا شدنّ لنا
من هؤليّاء بين الضال والسمر

ثالثا : تصحيح عينها نحو ما اقومه وما اطوله كما تصحح في الاسم في نحو هذا اقوم منك واطول منك .

والجمود والتصغير وتصحيح العين من خصائص الاسماء لا من خصائص الافعال كما ذكرنا آنفا . ونحن وان كنا لا نؤيد الكوفيين في قولهم بان صيغة افعل التعجب من الاسماء فنحن كذلك لا نؤيد البصريين بانها فعل حقيقي كباقي الافعال التي على وزن « افعل » . ان كل ما ذكرناه من براهين وادلة يثبت انليس بين (افعل) التعجب و (افعل) الفعل الحقيقي اية قربى وان لكلمنهما خصائص ومميزات .

والان وقد اثبتنا ان لا علاقة بين الصيغتين ننتقل الى صيغة التعجب الاخرى (افْعِلْ به) . وقد اختلف النحاة فيها اكثر مما اختلفوا في (افعَلَ) . وعلى الرغم من اختلافهم فالذي اشتهر كما اشرنا سالفا هو راي البصريين . فانه يُدَرَّسُ في المدارس والجامعاتفي الوقت الحاضر ولا يكاد احد من المختصين بالنحو يأبه لغيره . وعلى الرغم من اني الى اتجاه البصريين في التعليل اميل وبقياساتهم المنطقية اشغف علىالرغم من ذلك فاني لا اراهم التزموا جانب الصواب في هذه النقطة بالذات . فلقد اجمعوا على ان (افعِلْ به) فعل ماض جاء على صورة الامر والباء حرف جر زائد والمتعجب منه مجرور لفظا مرفوع محلا على انه فاعل . وهذا تخريج عجيب جدا وبعيد عن المنطق للاسباب التالية :

١ ــ لم يحصل في العربية ان استعمل الامر بمعنى الماضي والمعهود عكسه اذ يستعمل الماضي بمعنى الامر نحو : مات فلان رحمه الله (حاشية شرح التصريح على التوضيح ج٢ ص ٨٩) . فرحمه هنا تفيد الدعاء والدعاء من معاني صيغة الامر .

٢ ــ كيف تكون (افعِلْ به) فعلا ماضيا وقد ورد للتعجب صيغة ماضوية اخرى مشهورة هي (فَعُلَ) بضم العين على وزن كَرُمَ نحو كبرت كلمة تخرج من افواههم ، وزاد الكوفيون صيغة تعجبية ماضوية اخرى هي افعَلَ بغير (ما) فنقول : احسنت رجلا واكرمت رجلا . قال الاعشى وهو احد ابيات الشواهد .

تقول ابنتي حين جد الرحيل
ابرحتَ عمًّا وابرحتَ جارا

فلو كان القصد من افعل به ان تدل على الماضي لاستغني عنها بالصيغ الماضوية التي ذكرناها ولم يكن من حاجة لاستعمال (افعل به) . وليس من المعقول ان يظهر هذا الفعل مرة على صورته الحقيقية المعروفة ومرة على صورة الامر . ولا بد ان يكون في اختلاف الصيغتين اختلاف في المدلول .

٣ ــ من المقرر ان اي تغيير في الصيغة التي يعبر بها عن معنى معين لا يمكن ان يتم عبثا ولا بد ان يكون لحكمة منوية . واذا كان الامر كذلك افلا يحق لنا ان نسأل : ما الحكمة من مجيء الماضي على صورة الامر.فاذا كان في الامر اية حكمة فلا بد ان يبينها القائلون بهذا الراي والآخذون به والا فكلامهم باطل . ولست افهم كيف يمكن ان يجيء الماضي على صورة الامر ليؤدي معنى اداه بثلاث صيغ ذكرها النحاة في كتبهم وهي (فَعُلَ) و (افعَلَ) و (ما افعل) كما ذكرنا آنفا .

لهذه الاسباب كلها فنحن نرفض ما اتفق عليه النحاة البصريون ونقله عنهم النحاة المتاخرون حول (افعِلْ به) ونعتبرها اوهاما وتصورات باطلة بحاجة الى برهان .

اما ان تكون الباء حرف جر زائدافهذا لا يمكن تصديقه ولا القول به للاسباب التالية :

١ ــ ان حرف الجر الزائد لا يمكن ان يكون لازما في الجملة فالزيادة واللزوم لا يجتمعان . وهما معنيان متناقضان فكيف نقبل قول النحاة بانه زائد وبانه لازم في الوقت نفسه ؟ بل كيف ثبت لهم انه زائد ما داموا لم يستطيعوا الاستغناء عنه وما دام ركنا اساسيا في تركيب الجملة ؟ ولزيادة الايضاح ننقل ما جاء في جامع الدروس العربية (ج٣ ص ١٩٧) تعريفا لاقسام حرف الجر. فقد عرف المؤلف حرف الجر الاصلي بما يأتي : ما يحتاج الى متعلق وهو ما لا يستغنى عنه لا معنى ولا اعرابا نحو كتبت بالقلم . وعرف حرف الجر الزائد بما يأتي : ما يستغنى عنه اعرابا ولا يحتاج الى متعلق نحو : ما جاءنا من احد ونحو ليس سعيد بمسافر . وهذا يبطل قول ابن هشام في مغني اللبيب (ج١ص١٠٦) بان الباء قد تكون زيادتها في بعض المواضع واجبة وغالبة وضرورة . وهو كلام متناقض بحاجة الى اثبات وتصحيح.

٢ ــ ان حرف الجر الزائد تكون زيادته قياسية بعد نفي او نهي او استفهام وما جاء خلاف ذلك فقد تاوله النحاة وما لم يستطيعوا تأويله فقد حصروه في مواضع محدودة لا يقاس عليها . فالاصل في حرف الجر الزائد ان يكون مسبوقا بنفي او

نهي او استفهام وما جاء خلاف ذلك فهو نادر . وهذا ما لا يتفق مع (أفعِلْ به) . فالباء هنا جاءت بعد فعل امر يتضمن نبرة شديدة من التوكيد والاثبات مما يناقض الظروف التي تزاد بها حروف الجر عادة ويقطع بان الباء هنا حرف جر زائد .

٣ ــ ان المجرور بحرف الجر الزائد يكون عادة اسما صريحا ولا يكون ضميرا بأي شكل من الاشكال . ولذلك فالباء في (أفعل به) لا يمكن ان تكون زائدة لان مجرورها ضمير . ولا اريد ان استطرد في الحديث عن حروف الجر الزائدة فسأفرد لها بحثا خاصا في موضع اخر اتعرض فيه لاخطاء النحاة وابين هفواتهم ان شاء الله .

والان وبعد ان نقضنا ما اجمع عليه النحاة البصريون في الصيغة الثانية من صيغ التعجب وهي صيغة (أفعِلْ به) . نرى لزاما علينا ان نبين رأينا في الموضوع ، وان نخرج بتعليل معقول واعراب مقبول . وقبل ذلك علينا ان نعترف ان التعجب نمط في الكلام فريد لا يسعنا حمله على غيره وقد اشار الى ذلك ابن الانباري في اسرار العربية (ص ١١٦) قال : وانما لم يتصرف فعل التعجب لوجهين احدهما انهم لما لم يصوغوا للتعجب حرفا يدل عليه جعلوا له صيغة لا تختلف لتكون دلالة على المعنى الذي ارادوه وانه مضمن معنى ليس في اصله الخ . وبناء على ما ذكرنا فسنجد صعوبة في تخريج هذا الكلام الفريد واعرابه على الوجه الصحيح الحقيقي . ونحن هنا نؤكد على كلمة « الصحيح والحقيقي » . اذ ليس المهم ان نتعارف على تخريج لمشكلة ما بل المهم ان نجد التخريج الصحيح والحقيقي لتلك المشكلة . وبمقدورنا ان ننقض على النحاة اقوالهم وتوجيهاتهم حول احدى المسائل . وقد يكون ذلك سهلا ولكن من الصعب ان نأتي برأي يكون اقرب من آرائهم الى القبول حول تلك المسألة بالذات .

لقد استطعنا ان نثبت ان الباء حرف جر اصلي وليس زائدا . ومع ذلك فما زال في المسألة عقدة يجب ان تحل . ويظهر ان حلها صعب جدا . هذه العقدة هي فاعل « افعل به » ماذا يكون . فالذين قالوا بان فاعله هو المتعجب منه المجرور لفظا المرفوع محلا قد بطل رأيهم ببطلان قولهم انه فعل ماض جاء على صورة الامر وقولهم ان الباء حرف جر زائد . والذين قالوا بان فاعله ضمير المخاطب المستتر فيه وجوبا تقديره انت يبدو رأيهم مهتزا امام حقيقتين اولاهما ان هذا الفعل لا يحمل معنى الخطاب . وثانيهما انه يلتزم صيغة الافراد والمخاطب لا يمكن ان يكون مفردا مذكرا فقط . والذين قالوا بان فاعله ضمير يرجع الى الصفة المتعجب منها كالحسن والقبح الخ يبدو رأيهم مهتزا امام حقيقتين اولاهما ان هذا الفعل لا يحمل معنى الخطاب كما ذكرنا آنفا وقد جاء في (الموفي في النحو الكوفي وشرحه) نقلا عن اسرار العربية لابن الانباري : ص ١٢٢ ما يلي في الحاشية : وانما التزم افراده لانه كلام جرى مجرى المثل (هذا كلام غير صحيح ولنا عليه تعليق فيما بعد) وصار معنى افعل به كمعنى ما افعَلَه وهو محض انشاء التعجب ولم يبق فيه معنى الخطاب حتى يثنى ويجمع ويؤنث باعتبار تثنية المخاطب وجمعه وتأنيثه) وفقدان معنى الخطاب هو ما اردنا التأكيد عليه من هذه العبارة . وثانيهما انه لو جارينا هؤلاء واعتبرنا الخطاب موجها الى الصفة المتعجب منها كالحسن والقبح مثلا فان ذلك ينتقض بحقيقتين ايضا اولاهما : ان صفة التعجب قد تكون مؤنثة كالكرامة والوسامة والصراحة والجراءة والجدارة مما يستوجب اسناد فعل الامر الى ضمير المخاطبة وهذا ما لم يقع في الكلام العربي . وثانيهما : لو افترضنا ان الخطاب موجه وضعا الى الصيغة المتعجب منها فان تناقضا كبيرا يبرز في مثل قولنا : احسن بك . ففي الجملة مخاطبان هما الصفة المتعجب منها والمخاطب الاخر المرموز اليه بكاف الخطاب . وهذا مستحيل اذ لا يمكن ان يتوجه الكلام الى اكثر من مخاطب واحد .

اذن فقد اثبتنا الان بالاضافة الى ما اثبتناه سابقا ان الفاعل ليس ضمير الخطاب المقدر وليس ضمير الصفة المتعجب منها المقدر . وبقي فعل التعجب دون فاعل . ونحن لا نعلم ان كان النحاة يبحثون عن الحقيقة خالصة في مثل هذه المشكلات النحوية ام انهم انما يقصدون تطبيق مقتضيات الصناعة الاعرابية والتمسك بها مهما كان الثمن . نقول هذا في خضم هذه الاراء المتضاربة والتعليلات المتناقضة والا فما معنى الاصرار على البحث عن وجود فاعل لأَفْعِلْ به ؟

ولكن ما دام العثور على الفاعل هو عقدة العقد ومشكلة المشكلات وبما ان الفاعل شيء اساسي في تركيب الجملة الفعلية فما لنا الا ان نشمر عن ساعد الجد للبحث عنه وتعيينه واسناد وظيفته اليه .

ان المسألة عويصة وهي بحاجة الى طول تأمل وزيادة نظر . ولكي يكون تعليلنا صحيحا فيجب ان نتدرج فيه على مهل ، نضع المقدمات ثم نصل الى النتائج .

ولقد ثبت لنا بالبرهان القاطع ان الفاعل الذي اشار اليه النحاة كان متهما وان كلامهم فيه ليس صحيحا . ليس صحيحا ان ضمير المخاطب المقدر هو الفاعل لان ليس في الجملة خطاب . وليس صحيحا ان ضمير الصفة المتعجب منها هو الفاعل لان الكلام ليس موجها اليه ثم لان هذا الضمير قد يكون مذكرا وقد يكون مؤنثا والصيغة لم ترد الا مفردة مذكرة .

كل الوجوه التي ذكرها النحاة في البحث عن الفاعل ثبت بطلانها فما الحل اذن ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لننظر الى هذا البيت للمتنبي :

قبحـــا لوجهك يا زمان فانـــه
وجه له من كل قبح برقـــــع

ولنقراه على هذا الوجه :

أقبح بوجهـــك يا زمـــان فانه
وجه له من كل قبـــح برقـــع

ان المعنى الذي تفيده الصيغتان واحد وكلاهما تفيدان المبالغة في الذم كما ان (احسن به) تفيد المبـــالغة في المدح . (اسرار العربية ص ١٢٢) وهذا دليل على أن (اقْبِحْ) فعل امر لان (قبحا) تفيد الدعاء والدعاء احد معـــاني صيغة الامر . فالشاعر هنا يدعو على الزمان بان يقبح وجهه . وهو تعبير قديم عرفه العرب . فهم يقولون : « قبّح الله وجهك » عنـــد الغضب او عند التملح كما يقولـــون ثكلتك امك . ويقولون في مقابل ذلك « لله درك » في حالات الاعجـــاب والرضا . وهذه كلها من الصـــيغ التعجبية السماعية .

وما يهمنا من عقد هذه الموازنة بين (قبحـــا له) و (اقبح به) هو محاولة البحث عن الفاعل . ويبـــدو لنا ان العثور على الفاعل هنا ليس سهلا . فنحن نعلم ان قبحا وتعســـا وسحقا مصادر منصوبة على المفعولية المطلقة وعاملها محذوف وجوبا يدل عليه المصدر المذكور . اما الفـــاعل فيعتمد على تقدير الجملة وقد يكـــون كل من هذه المصادر مفعولا به لفعل محذوف .

ولكي لا نضـــــيع في دوامـــة التقديرات والتعليلات فعلينـــــا ان نحدد السؤال على الشكل التالي : اذا كانت (قبحـــا) مصدرا فما هو فاعل هذا المصدر ؟ وان كانت مفعولا به فما الفاعل ايضـــا ؟

ويخيل الي ان الله هو الفاعل على كلا الوجهين لاننا في موقف دعاء والداعي لا يتوجه الا الى الله جـــل جلاله . وقد خرج النحاة (ويحك) على هذا الوجه حيث قالوا انهـــا مفعول به بفعل محذوف والتقـــدير الزمك الله ويحا .

ولكن الا يبدو لنا انه من التمحل والتكلف البحث عن هذا الفاعل وان التقدير يفقد الصيغة قوتها المعنوية ؟ خصوصا وان بعض النحاة انكر ان يكون للمصدر فاعل في مثل هـــذه الحالات .

افلا يمكن اذن ان يكون الفاعل محذوفا في صيغة التعجب (افعل به) فنزيد موضعـــا على مواضع حـــذف الفاعل التي اشار اليها النحـــاة في كتبهم ؟ وما دام الفاعل يحـــــذف في موضع الا يمكن ان يحذف في موضع اخر لم يتنبه له النحاة ؟ ونقـــلا عن اوضح المسالك (ج١ ص ٣٤١) ان الكسائي اجاز حذفه . وفيما يتعلق بهذا الموضوع ورد في متن شـــرح التصريح على التوضيح (ج١ ص ٢٧٢) ما يلي : « ويطرد حذف الفـــاعل في اربعة مواضع : في باب النائب عن الفاعل نحو قضي الامر وفي الاستثناء المفرغ نحو ما قام الا هند وفي افعل بكسر العين في التعجب اذا دل عليه متقدم مثله نحو اسمع بهم وابصر ، وفي المصدر نحو او اطعام في يـــوم ذي مسغبة يتيما ذا متربة . » وجاء في الحاشية من الصفحة نفسها تعليقا على هذا النص ما يلي : « قـــال الزرقاني : بقي عليه خامس وهـــو فاعل فعل الجماعة المؤكد بالنون نحو ولا يصدنك . وقال الدنوشري قـــد نظمت هذه الاربعة وزدت عليهـــا خامسا بقولي :

تعجب ومصـــــدر واستثنـــا
وباب نـــائب بها يســـتغني
عن فاعل لفظـــا كذا اذا سكن
وبعـــده مســـــتتر بلا وهن

وبقي موضع سادس وذلك اذا قام مقامه حالان نحو فتلقفها رجل رجل والاصل فتلقفها الناس رجلا رجلا . فحـــذف الفاعل واقيم الحالان مقامه وصارا كالشيء الواحد نحو (حلو حامض) في قولك الرمان حلو حامض. وسابـــع وهو نحو ما قام وقعـــد الا زيد لانه من الحذف لا من التنازع لان الاضمار في احدها يفسد المعنى لاقتضائه نفي الفعل عنه . انما هو منفي عن غيره مثبت له .

ونستفيد من هذه النصـــوص المتشابهة حقيقتين هامتين :

الاولى : ان الفاعل يمكن حذفه والاستغناء عنه اعتمادا على كبـــار النحاة .

الثانية : ان الحـــــذف وقع في المصدر وفي التعجب مما يعتبر تأكيدا وتوثيقـــا لصلة اشرنا اليها وبيناها في بيت المتنبي السابق .

وما ذكرناه بحثا عن الفـــاعل في المصادر التي تفيد الدعاء ينطـــبق تمام الانطباق عـــلى (افعل به) في التعجب مثل (اقبح به) . فهي تعبير لا يفيد التعجب فقط بل يفيد الدعـــاء وطلب لـــــزوم الفعل واستمراره . فحينما قال بشار هذا البيت :

أخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته
ومدمن القرع للابواب ان يلجـــا

حينما قال ذلك لم يكن يعبر عن تعجبه من جدارة الصبور بان يحظى بحاجته فالجدارة صفة لا تدعو الى التعجب كالحسن والقبح مثلا على الرغم من ان كل ما جاء على هذه الصيغة يعتبر في التعجب تجوزا . اننا نعجب من الصبور لما يتحلى به من صبر لا من جدارته . فالجـــدارة صفة اضفيت عليه واستحقها جـــزاء صبره . ومن هنا اختلف النحاة حول المتعجب منه في مثل قولنا : ما احسن زيدا اهو زيد ام هو الحسن الذي يتحلى به زيد (التوضيح والتكمـــيل لـــشرح ابن عقيل ـــ باب التعجب) فمعنى (اخلق بذي الصبر الخ) بالضبط هو : ليكن ذو الصبر خليقا بان يحظى بحاجته. فالذي يترتب على صيغة التعجب هذه هو انبثاق صفة من نوع الفعل ولزومها للمتعجب منه . وكأن هذا المعنى هو الذي صور للنحاة ان الفـــاعل هو ضمير الصفة المتعجب منها . فكأن المتعجب لشدة تعجبه من شيء معين يرى صلة بين هذا الشيء وصـــفة شـــادخـــــة فيه . فيهلل لدوام هذه الصفة واستمرارها وليس له وسيلة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

للتعبير عن مشاعره العنيفة غير فعل الامر هذا . وهكذا فان معنى (احسن به) او (اكرم به) او (اعظم به) بالترتيب ليلازمه الحسن وليصاحبه الكرم ولتحالفه العظمة وليس المقصود هو الامر حسب مفهومنا المشهور له.

وارى اننا بعد رحلتنا الطويلة في هذا الموضوع الشائك المتوعر ما زلنا عاجزين عن تلمس الفاعل وتحديده . ولقد قلبت المسألة على وجوهها الممكنة . واعترف انني عاجز عن العثور عن الفاعل . فهو ليس المتعجب منه وهو ليس المخاطب وهو ليس ضمير الصفة المتعجب منها للاسباب التي ذكرناها انفا انه ليس كل ذلك .

ومع ذلك فلا بد من تحديد الفاعل وتعيينه مراعاة لمقتضيات الصناعة الاعرابية وتمسكا بمباديء النحو واصوله . والذي نراه خروجا من هذا المأزق احد امرين :

الاول : ان نعتبر الفاعل محذوفا ونستغني عنه بناء على ما ذكرناه من النصوص آنفا . وهي نصوص موثوق بها ويصح لنا ان نعتمدها وان نقيس عليها .

الثاني : ان نقدر ضميرا في فعل الامر نعتبره فاعلا لا على ان هذا الضمير هو الفاعل الحقيقي . ولكن على انه شيء ضروري ولازم لمراعاة قواعد النحو ومقتضيات الصناعة الاعرابية .

والان لا بد من مناقشة بعض الاراء التي وردت في كتب النحو حول موضوع التعجب والتي نرى فيها ابتعادا عن الصحة ومجانبة للصواب تتميما للبحث وتعميما للفائدة .

من ذلك قول فريق من النحاة في تسويغ مجيء افعل به بالصيغة الافرادية : « انه كلام جرى مجرى المثل » . وهذا كلام يحيط به الخطأ من جميع نواحيه اذ لم يشرح لنا هؤلاء ما العلاقة بين التعجب والمثل ولماذا جرى التعجب مجرى المثل وما الحكمة من ذلك كله . الحقيقة ان هذا كلام غير واقعي فليس في صيغ التعجب شيء من معاني المثل ولا دلالة من دلالاته . ويكفي لتفنيد هذا الادعاء قول ابن مالك نقلا عن شرح التصريح على التوضيح (ج ٢ ص ٨٩) لو كان (أفعل به) مسندا الى ضمير المخاطب لم يله المخاطب في نحو (احسن بك). وكون فعل التعجب الامري غير مسند الى ضمير المخاطب ينقض راي القائلين بانه كلام جرى مجرى المثل . وكنا قد اشرنا الى هذا الراي في موضع سابق وقبل الاطلاع على قول ابن مالك المذكور . ونحن هنا لا نستشهد بابن مالك لاعتقادنا بانه معصوم وبان الخطأ لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه . فلنا عند كل راي وقفة ولكل وجهة نظر اعتبار . واستشهادنا براي ابن مالك السابق لا يمنعنا ان نخالفه في آراء اخرى وان نقف منه موقف المتشكك المتردد بل موقف المعارض المناقض . وكمثال على ذلك ففي الصفحة نفسها من شرح التصريح على التوضيح ومن ضمن الاوجه الاربعة التي حاول بها ان ينقض قول الفراء بان (افعل به) لفظه ومعناه الامر والتي استشهدنا باحدها على صحة قولنا تلك الاوجه لم تسلم من الوهم والخطأ . ولقد ذكرنا وجها منها وهذه الاوجه الثلاثة الباقية .

١ — لو كان (افعل به) امرا لزم ابراز ضميره .

٢ — لو كان امرا لم يكن الناطق به متعجبا كما لا يكون الآمر بالحلف ونحوه حالفا .

٣ — لو كان امرا لوجب له من الاعلال ما وجب لاقم وابن .

ويهمنا ان نناقش هذه الاوجه بالترتيب ونبين راينا فيها . اما الوجه الاول فقد اوضحنا في مكان سابق من هذا البحث قضية الفاعل لصيغة التعجب الثانية ونزيد الان بانه اذا كان عدم ظهور الضمير يدل على عدم وجود الامر فعلام يدل بروز ضمير النصب المتصل ؟ ومتى كان فاعل الفعل الماضي ضمير نصب متصلا ؟ نحن نعلم ان يكون الفاعل اسما ظاهرا او ضمير رفع متصلا او ضميرا مستترا ولكننا لا نفهم كيف يكون ضمير نصب متصلا . وهل في العربية ما يشبه ذلك ؟ نقول هذا تعليقا على قول ابن مالك وغيره من النحاة ان الضمير المتصل في (افعل به) مجرور لفظا مرفوع محلا على انه فاعل . فهذا من الاستحالة ابعد من عدم ابراز ضمير المخاطب في فعل الامر التعجبي . ثم ان هذا الضمير ليس في محل رفع فاعلا بل انه في محل جر بالحرف . فنحن نقول في اعرابه : هو ضمير متصل مبني على الكسر بناء عارضا في محل جر بالحرف فكيف يكون في الوقت نفسه في محل رفع فاعلا : بل كيف يكون له محلان متناقضان ؟

اما الوجه الثاني فردنا عليه بان المعاني المستفادة من صيغة الامر متعددة كالدعاء والالتماس والتهديد والتعجيز والتهكم والتمني . فلماذا لا يكون التعجب هو المعنى المقصود من هذه الصيغة بالذات ؟ واذا كان الامر كذلك فان حديث ابن مالك عن التمييز بين الآمر بالحلف والحالف ضرب من العبث .

اما الوجه الثالث فردنا عليه بان تصحيح « افعل به » لاينفي انه فعل امر كما ان تصحيح « افعَلَ » لم ينف انه فعل ماض . واما حجة بعض النحاة ان بعض الافعال الماضية جاءت مصححة فهو حجة لنا وليست علينا فهذه الافعال التي جاءت مصححة في الماضي تبقى مصححة في الامر فالامر من (استَحْوَذَ) مثلا (إسْتَحْوِذْ) . ثم ان البصريين الذين نفوا ان يكون التصحيح في (افعَلَ) علامة للاسمية فيه محتجين بان بعض الافعال الماضية جاءت مصححة هؤلاء لا يستطيعون ان ينفوا امرية (افعل به) لانها جاءت مصححة فالذي جاء مصححا في الماضي يبقى مصححا في الامر وليس من المنطق ان يتمسكوا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بشق من الحجة ويتنصلوا من الشق الاخر ، او ان يطبقوهـــا في موضـــع ويتجاهلوها في موضـعاخر شبيه به.

وهنا نحب ان ننبه الى انصيغ التعجب صيغ فريدة وانها لا تشـــبه غيرها من التركيبات النحوية . قال ابن الانباري في اسرار العربية مايلي: « انهم لما لم يصوغوا للتعجب حرفـا يدل عليه جعلوا له صيغة لا تختلف لتكون دلالة على المعنى الذي ارادوه وانه مضمن معنى ليس في اصله . » وبما انه مضمن معنى ليس في اصله فلا بدع ان يضمن صفات ومميـــزات ليست في غيره . ومن الخطأ الفـــادح ان نروح نقيس صيغتي التعجب على الفعل الماضي وفعل الامر فلهما صفات ومميزات خاصة بهما وهمـــا اصل في الكلام فكيف يقاسان الى غيرهما ؟

نخلص من كل ما ذكرنـــا الى الحقائق التالية :

١ ــ ان (ما) التعجبية نكرة تامة في محل رفع مبتـــدا .

٢ ــ ان (افعَلَ) فعـــل تعجب جاء على صورة الماضي ولكنه ليـــس فعلا ماضيا حقيقيا .

٣ ــ ان (افعِلْ به) فعل تعجب جاء على صورة الامر وفاعله غـــير موجود ومراعاة لمقتضيات الصـــناعة الاعرابية نقدر فيه ضميرا .

٤ ــ ان (الباء) حرف جر اصيل متعلق (بأفعل) والمتعجب منه مجرور لفظـــا ومحلا .

هذا ما نراه في صيغتي التعجب وفوق كل ذي علم عليم .

جميل علوش

المسرح الطليعي ..
ومناهج الاداء التمثيلي ..

■■■

تحت هذا العنوان ، كتب الزميل محبوب العبدالله حول زيارة الفنان الكبير : محمود مرسي ، للكويت :

■

●● في كل مرة، كان يرتجل الحديث لمدة ساعتين، في المرة الاولى، تحدث الفنان القدير محمود مرسي في رابطة الادباء عن الكاتب المسرحي « يوجين يونسكو » وعن المسرح الطليعي في أوروبا، وقال من ضمن ما قال : ان امتنا العربية تمر بمحنة اخلاقيـــة واجتماعية قبل هزيمة حزيران ١٩٦٧، وهذا هو الذي يشكل الجاذبية التي نشعر بها، نحو مسرح العبث، مع انه ظهر في أوروبا، بعد الحرب العالمية الثانية، في ظروف تختلف عنظروفنا ! ومما قال ايضا : ان ثورة الهيبيـــز الآن، مثل ثورة المسرح الطليعي على كل التقاليد الفنية الموروثة فيالمسرح، ثورة شكلها فردي، لكنها لمجموعة من المحتجين على كل شيء، دون أن يكون هناك عنصر ايجابي، دون أن يقدموا اجابة لحل مشاكل العالم ..!

وخـــلال المحاضرة قام برحلة ثقافيـــة وفنية في حياة الكاتب المسرحي «يوجين يونسكو» من خلال مسرحياته، حسب صدورها الزمني، وقام بعملية تشريح لتلك الاعمال، وفسرها، وناقش آراءه في فلسفة مسرح العبث، ومراحـــل تطوره الفكري والمسرحي ، وعرض نماذج من محاورات دارت بين الكاتب المسرحي، والناقد الانجليزي « كينيث تينان»!

● وفي المرة الثانية، ارتجل محاضرة لمدة ساعتين في مسرح الخليجالعربي، عن «مناهج التمثيل فيالعصرالحديث»، وقال في البداية : ان العصرالحديث، يعني الفترة الاخيرة من القرن التاسع عشر، حتى يومنا هذا، ولكن قبل أن أتحدث عن المناهج الحديثة، أعود الى بداية التمثيل ، عندما ظهر كظاهرة انسانية منذ فجر التاريخ، اي فـــي القبائـــل البدائية الاولى، ثم عنـــد القبائل البدائية الاولى ، ثم عنـــد العريقة القديمة ..!

وبعد هذا الشرح التاريخي ، انتقل الى العصر الحديث ، وتحدث عـــن مناهج التمثيل الحديث في فرنسا ، وروسيا ، وانجلترا ، وبعض الدول الاوروبية مـــن خلال شخصياتهـــا المعروفة ، حتى وصل الى الكاتـــب الالماني « برتولد برخت » ومنهجـــه الحديث ، وتحدث عن آخر هؤلاء ، المسرحـــي البولنـــدي « جـــرزي غروتوفسكي » ..!

وكان محمود مرسي فنانا مذهلا في كل احاديثه ..!

عيسى والحواريون :

قال المسيح عليه السلام : يا معشر الحواريين ، اني بطحت لكم الدنيا على بطنها واقعدتكم على ظهرها ، فانما ينازعكم فيها اثنان : الملوك والشياطين ، فامـــا الشياطين فاستعينوا عليهم بالصبر والصلاة . واما الملوك فخلوا لهم دنياهم يخلوا لكم آخرتكم .



قصة بقلم : عدنان زويد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كانت الساعة تشير الى الثانية والنصف بعد منتصف الليل حينما وقفت سيارة الاجرة على الطريق العام لانزالي ، حيث ان المنزل الذي كنت اقطنه يبعد مسافة ليست قصيرة عن الشارع العام .. وكانت الطريق الى البيت وعرة المسالك مليئة بالحفر والاخاديد الامر الذي حدا بالسائق وجعله يعتذر عن تمكنه من ايصالي الى المنزل .

كان الظلام شديدا في تلك الليلة ، والمطر ينهمر بغزارة فيملأ الجداول والوديان ، ويقطع هدوء الليل وصمته بين الفينة والاخرى صوت السماء وهي تبرق وترعد .. فاذا ما ابرقت .. كشفت لك عن محاور الطريق وشعبها .. ولا يكاد يختفي حتى تزداد حلكة الليل ظلاما ... اما الرياح العاصفة فكانت عنيفة في هبوبها تكاد تقتلع الاشجار من جذورها .. وامام هذا الجو الموحش الذي شعرت به فور مغادرتي السيارة ، رحت بحركة لا شعورية اتلفح بياقة معطفي واثنيها على اذني ورقبتي ، وبدات اسير بخطوات سريعة تارة وبالركض تارة اخرى تجنبا لمزيد من البلل الذي اخذ يتساقط علي بغزارة .

ضاعفت من سرعة حركتي مع ازدياد رداءة الطقس على النحو الذي ذكرت . وكان خوفي بالغا من ان تزل قدمي فاهوى على الارض ، ولكن خوفي لم يستمر .. فسرعان ما زلت هذه القدم ووجدت نفسي ارتطم بالارض نتيجة تعثري بحجر لم انتبه له وتلته حفرة لزجة .. ورحت اتدحرج على الارض الى ان وجدت نفسي في النهاية اعوم ببركة ماء في حفرة عميقة ، خلت نفسي في بداية الامر انها بئر عميقة .

انتابني الفزع .. وحاولت النهوض على قدمي ولكنني عجزت .. وكررت المحاولة ولكني لم استطع .. وازداد شعوري بالخوف ... ورحت اصرخ واستغيث طالبا النجدة ، عسى ان يسمعني احد من المارة في هذا الليل فيهب لمساعدتي وانقاذي من هذه الورطة التي وجدت فيها نفسي من حيث لا ادري .. وانتظرت هذه المساعدة .. وبقيت على حالي ، ولكن احدا لم يأت .. وصرخت من جديد .. ولكن لم يأت ايضا من يأخذ بيدي .

بدات اعود الى نفسي .. ورحت اتحسس موقعي وانا ما زلت مستندا على ذراعي .. من اين جاءت هذه الحفرة .. وكيف لم افطن الى وجودها .. ومتى حفرت .. آه .. لقد تذكرت فهذه الحفرة قد بدا بحفرها العمال منذ يومين فقط ، واعتقد انهم

صمموها على ان تكون بئرا لتجميع مياه الامطار .. وانها حتى الان ليست بالعمق الذي يخيف.. وارتحت لهذه النتيجة التي توصلت اليها .. ولكن كيف الخروج ؟؟ ويتعذر علي النهوض مرة ثالثة .. ما الحيلة ؟؟ وما العمل .. وكررت الصراخ والزعاق .. ولكن ايضا لا حياة لمن تنادي فالجميع نيام .. وصوتي لا يتعدى كيان هذه الحفرة وان تعداه فمن ذا الذي يترك دفء فراشه .. لينهض ويزج بنفسه في الاوحال والمطر والرياح لينقذ شخصا عاديا .. بل ربما يكون من صعاليك القوم او لصوصها .. صحيح ان هناك شهامة ونخوة عند البعض ولكنها قد لا تكون في هذا القريب السامع لندائي ... وشعرت بقشعريرة تجتاح جسدي من المياه والاوحال العالقة بثيابي من اثر السقطة .. وبدأ جسدي يرتجف من شدة البرد .. وبدات الافكار السود تراودني .. ترى اذا لم يهب احد لنجدتي .. اتكون هنا نهايتي ؟؟ ويلي اعجز عن النهوض بعد ان كبوت .. اي عالم هذا الذي اعيش فيه واي مصير ينتظرني .. اموت هكذا وانا بكامل صحتي وشبابي وبكامل وعيي .. صحيح ان العمل الطويل في تلك الليلة اضناني والسهر اتعبني ولكن ميتة كهذه غير جديرة بانسان يموت فيها .. فامامه الحياة طويلة .. ومن يتنبأ بالمستقبل؟ يا لها من نهاية مفجعة لعائلتي واولادي .. ولكن كيف انجو ؟؟ لا بد لي من ان افكر بهدوء .. وما دمت انني ميت لا محالة .. فلا اقل من ان اموت بعد جهاد ، وان افكر بطريقة تساعدني في تخطي هذا المأزق .

كررت المحاولة من جديد في تحريك قدمي .. حسنا .. فها هي قدمي الاخرى تتحرك .. اذاً لا بأس ... وانتصبت واقفا بساق واحدة .. آه .. الحمد لله .. ها انا اخيرا انتصب بكامل قامتي .. ولكن بساق واحدة. لا بأس .. لا بأس .. ورحت اتحسس موضع الالم بعد ان استندت بظهري الى جدار الحفرة الملساء بفعل مياه الامطار .. وخيل الي انني افقد هذه الساق .. فالالم يزداد كلما لمسته .. ولكما حاولت ان احركها .. لا شك انها مكسورة ... وعلي ان اتدبر امري على هذا الافتراض .

بدأت اتحسس من خلال الظلام طريقي .. كلها طينية ملساء ... وقدمي تزداد الما كلما ازددت تحركا .. وابرقت السماء من جديد .. فأنارت الحفرة .. واكتشفت محتوياتها .. فهي ليست بالعمق الذي تصورته في بداية سقطتي .. وازدادت نفسي هدوءا وشعرت بارتياح عميق .. ولكنه ارتياح الخائف .. وراحت السماء تنزل علي من مائها مدرارا .. ولم ار في حياتي ان امطرت السماء بهذه الغزارة .. اتراني لم اكن احس بهذا المطر من قبل . ولم اكن اقدر قوته الا لانني اتلقى كل حبة اشغل فيها حيز التربة التي اقف عليها .. ولكن لا بأس فالغريق لا يهمه البلل .. وانا لست غريقا فحسب بل ومليء بالطين ايضا . مما زاد ثقل وزني فوق ما كنت ارتديه من ملابس صوفية ثقيلة.

عندما ابرقت السماء لمحت نتوءا صخريا في اعلى الحفرة .. وكان ظاهرا وبارزا بشكل واضح، وبعد ان خيم الظلام من جديد واعتادت عيناي الظلام ، رايته من جديد .. فلو تمكنت من لمس هذا النتوء الصخري فلا شك اني خارج من ورطتي هذه .. انها ترتفع قليلا وقامتي على الرغم من طولها وارتفاع ذراعي ، الا انه ينقصني بعض الطول بمقدار ذراع حتى اتمكن من مسك النتوء بقوة وبعدها اسحب ذاتي الى الخارج .. وفي هذه الاثناء تعثرت قدمي بمادة صلبة ايقظتني من شرودي .. ما اكثر تعثري في هذه الليلة .. ورحت اتحسس من جديد. انها اداة صلبة ظننتها في بداية الامر صخرة حادة ، ولكن بعد ان تبينتها تأكدت انها طوق معدني لا شك انه تدحرج من يد غلام يلهو به .

وفي تلك اللحظة سمعت بالقرب مني حركة خلت في بدايتها انها صادرة عن انسان دفعته الاقدار لانقاذي ورحت اصرخ وانادي واستنجد من جديد .. وارهفت السمع لعلي اسمع جوابا لاستغاثتي .. يا للغباء الظاهر .. الم اقل من قبل ان احدا لن يأتي. وسمعت على اثرها نباح كلب ضال يبحث عن مأوى يلجأ اليه ليحتمي من برودة الجو وغزارة الامطار .

وعدت الى طوقي المعدني من جديد اعالجه واطويه على بعضه ليأخذ شكل سكين ، ورحت انقر في جدار الحفرة مكانا لاضع فيه قدمي، لو تمكنت من الحفر فلا بد انني متمكن من الوصول الى اعلى لامسك بالصخرة .. وقلت اخاطب نفسي لو وضعت ساقي السليمة في هذه الحفرة



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصغيرة مع قفزة بسيطة الى اعلى تكون يدي قد لامست ما اصبو اليه. وهكذا فعلت ، لقد كنت اثق بقوة يدي من خلال ممارستي للالعاب الرياضية وبعض التمارين التي اعتدت ممارستها على كبر .. وسرعان ما نفذت ما خططت له ، ووجدت نفسي معلقا على ارتفاع ذراع عن الارض ويداي تتشابكان بقوة على سطح الصخرة .. فهي منقذي خلاصي الوحيد ..

رحت اسحب جسدي ببطء شديد .. ووجدت نفسي بعد قليل فوق سطح الارض .. نهضت بعدها اجر ساقي وانا لا اكاد اصدق بنجاتي .

ووصلت الى البيت في حالة يرثى لها .. كانت ملابسي ممزقة مبللة .. مليئة بالاوحال ووجهي ممتقع لونه ومصاب بأكثر من خدش، وكانت اسناني تصطك من شدة البرد .. وطرقت الباب بيد مرتجفة منهكة .. واطل وجه زوجتي ..؟؟ وما كادت ترى الطارق حتى بان عليها الخوف وهي لا تكاد تعرفني ، ولما تأكدت ادخلتني وقد تغضن وجهها وامتلأ بتعبيرات جمعت الهلع والخوف والقلق والاستفسار .

غيرت ملابسي بعد ان اغتسلت مما علق بي .. وعندها فقط عرفت معنى الراحة ومعنى الهدوء .. وحول المدفأة ، رويت قصتي لاهل بيتي بعد ان استيقظ الجميع ، فكان الذهول باديا عليهم .. ورسخت في راسي الفكرة القائلة (ما حك جلدك مثل ظفرك) .. والاعتماد على النفس شيء اساسي وضروري لكل فرد منا .. وعرفت ايضا ان البكاء والصياح على ما حدث وما سوف يحدث امر لن يعطي اية نتيجة ... ولن ينقذ من ورطة ، انما المحاولة والاستمرار فيها وعدم اليأس من النجاح امر لا بد من توفره للخروج من اية محنة او اية ازمة .

عدنان زويد

لأحد فلاسفة اليونان الأقدمين قوله المشهور :
حالة الجاهل وميزته : أنه لا ينتظر النفع أو الضرر من ذاته .. بل دوماً من الآخرين .
وحالة العاقل وميزته : أنه لا ينتظر الا من نفسه فقط كل ما ينفعه وكل ما يضره !

هل يكتب الرعديد .. يوماً؟؟

●●●●●

من نجوى النفس ...

سألتني يا صديقي هذا المساء :
— لم لا تكتب ؟؟
ولم تسمع مني جواباً ...
فقد خرست أمامك هذا المساء .. رغم ما قد ردد لساني من تمتمات بلهاء غريبة عن وعيي ...
وفي الليل ...
في الليل المطبق على كوني بظلامه ، أرقني سؤالك يا صديقي وحز في نفسي عتابك .

فلقد سألتني : لم لا تكتب !؟ .. ولكنك تناسيت السؤال الاصح : «لمن تكتب ، لو كتبت ؟ ...»

أجل يا صديقي وعزيزي .. لمن أكتب ، ولم ؟؟؟

ترى ، هل أكتب لنفسي مذكرات لا تخطها فحمة الليل لبضع ساعات ، حتى يسارع ضوء النهار الى سوادها فيبدده مع انبلاج فجر واقع مرير ؟؟ ..

أم أكتب للآخرين .. لهؤلاء الزاحفين حولي ، المثيرين الغبار في أعماق بصيرتي ، الخاطفين اللقمة من يدي ومن فمي ، المالئين دربي وسمائي بحديدهم الملون الهش المزيف .. فلا أعود من رحلتي اليهم الا بوعثاء الرثاء !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

●●●

غريب أنا عنهم وهم عني غرباء ... أضيع بين أكداسهم المتكومة المتكاثرة ، ضياع الانسحاق في أسراب جرادهم الزاحف ، وينمحي وجودي في انمحاء نغمتي في طوايا نغمتهم المتكررة الرتيبة ... اذ أردد ما يرددون ، وأنسج ما ينسجون ، ولا أشذ لحظة واحدة عن «طنين» تلك الجوقة البشرية المتحكمة في مصيري ؟!

ولو حدث أن جأرت يوماً بنغمة تخصني وتميزني وتخرج عن مسار هدير الآخرين ، الببغاوي العنيد ... نغمة تحدثهم عني ، عن نأمات قلبي ، وفرحي ، وعذابي ... لو حدث مثل هذا يوماً ، لنهشتني اسنان الجموع الزاحفة ، وداستني أرجل الجراد المتكاثر ، وشيعني «كهنوتهم» باللعنات ...

حائر انا بينهم ، متدثر بعزلتي وصمتي ، لا أعرف أبعاد دنياهم ، كما لا يبالون هم بدنياي أو رؤاي ...

اذا مددت اليهم يدي النظيفة مصافحاً مبتسماً صافي السريرة ، لم ألق من بين جموعهم اللاهية يداً واحدة تعانقها يدي !! وتضيع حينئذ يدي .. هذي الحزينة ، في الزحام .. تدافعها أيدٍ ملوثة متشابكة، قد جمع ما بينها عقد المنافع واللذات

واذا عزفت يوماً لهم على قيثاري لحناً لم تصاحبه الكؤوس المترعة بخمرة الأجساد العارية ، لحطموا قيثاري ولحني ، وانصرفوا عني الى الطبول ، يلتهمون على ضجيجها الصاخب أشلاء أنثى !!

واذا رفعت في البراري والقفار ، أو تحت ظلال أشجار ، دعاءً الى السماء ، أستلهم الاله عوناً ورجاء... جرني دجالوهم الى الساحات ورجموني بالحجارة ، لأني ما تعبدت كما يتعبدون ، ولم أتمتم ما يتمتمون ويدندنون تحت أنوار الثريات الباهرة ، المتدلية من رقاب هياكلهم ...

واذا «مارست» بينهم الوفاء ، ونمت قرير العين لا أصد عنهم باب داري ودخيلة نفسي ... استغل «أصدقائي» غفلتي ، واغتصبوا كل ما منحني اياه وجودي ، وزعموا أن هدوء صفحة بحري انما يخفي تحته الوحوش وهدير أنيابها الراعفات بالسم الزعاف .. ثم ازوروا عني أيما ازورار ، يردون التهمة عنهم بالصاقها بي ، كطين في جدار ...

واذا رحت أخلص يوماً لواحد أو لواحدة من أكداس تلك الجموع ، حاسباً أني قد وجدت أخيراً من يفهمني وأفهمه .. لم أر في «رفيق الطريق» هذا سوى الصورة الأمينة المصغرة للآخرين .. ولم تفعل وحدة دربنا ذاك ، سوى أنها قربت حيناً بين جسدينا ، دون أن تزيد الهوة بين روحينا الا اتساعاً واتساعاً واتساعاً

وانا يا صاحبي ، في كل متاهات الدروب تلك ... لا أعرف كيف أحكم على مشاعري ومشاعر الآخرين : فهل أنساق لاول انفعال استشعر به في مسيرة عيشي المعقد — مفرحاً كان هذا الانفعال أم ناثراً للتعاسة — وأروح أرود أعماق انفعالي ذاك العابر الموقت ، مسجلا تلك التعابير المنبثقةمن أعماق قلبي انبثاق النهر الدافق من المنهل الثر ، كاشفاً بها عن موقفي من مواقف الآخرين ؟ ..

أم أن علي أن أتريث وأتمهل ، وأترك الانفعال يعبر كما تعبر الزوابع بين مسارب الوديان ، مخلفة وراءها الصحو في السماء والتألق على الأرض ... رحينئذ ، هيهات أن تعود إلى خاطري ووعيي كل تلك المعاني والتعابير البكر ، التي يفتقها الانفعال وحده والتي يعبر وميضها الخاطف سماء العاصفة النفسية العابرة .. واللحظة العاطفية الحرجة ...

وهكذا تجدني يا صاحبي لا أكتب .. لأنني أتريث وأتردد ... كما أخشى الآخرين ، لانني لم أعرفهم بعد — وقد لا أعرفهم مدى عمري كله — بينما أراني أعرف نفسي حق المعرفة ... ولذا ، فلو كتبت ، فسأنقل عن نفسي وحدها : عن انفعالاتها ومشاعرها ، وحبها وبغضها ، وخيرها وشرها ... وهنا المشكلة !!

(واذا بصحوة النفس تصيح بي هادرة كالرعد) :

بل هنا حل المشكلة ، أيها الجبان ؟ .. لأن جوهر الأدب هو في أن ينقل للناس انفعالات نفسك أنت ، نقل الصدق الخالص ، وأنت في معمعة هبوب الرياح ، وصليل عصف الزوابع !!!

فهلا كتبت ... أيها الرعديد ؟!؟! ...

هلا فعلت ذلك يوماً ؟! ...

وفي الخريف ...

وذات ليلة من ليالي الخريف ، أفقت من نومي فجأة على صوت تساقط قطرات من الماء قريباً من رأسي.. وألفيت سقف بيتي يستقبل «وفداً مائياً» يمثل المطر الهاطل بغزارة السيل في الخارج ..

وتناولت قلمي المغبر — وقد جف به الحبر من طول

اهمالي ... – وقلت له : هلا كتبت عـــن حالـــي يا كسول ؟!..
فأجابني على الفور :

أأنا الكسول يا صاحبي .، وقد أخرجت لك من قبل كتاباً تبدد هباءاً بين الناس بعد ما ابتلع ثمنه «وراقو» المكتبات قراصنة هذا الزمان ؟

قلت : دعنا ن هذا الآن ، واكتب لي من جديد ...
قال : سأكتب . نعم . وسأنتقم لنفسي اذ أحاسبك . فافتح سجلاتك العتيقة واحلل مخبآتها ... ولن أدعك تعترض على أحكامي ...

ألاحظ أول ما ألاحظ أنك انسان معطل الذهن ، فاقد النشاط الفكري ! ...

أجل ، وقد بررت لي ذلك – الذي تعترف به – بأنه «الخرس» المفروض عليك كموظف موقت في بلد دائم !

ولكن، ما ذنبي أنا قلمك القائم بخدمتك ، الملتصق بك كظلك .. ما ذنبي حتى يشلني هاجسك الموقت ؟!.
دعني أكشف ههنا عن مكنون أحاسيسك يا «موقت» ...
يا ابن الشعوب اللاهية «بالموقت» ...
ولنبدأ يا صاح بما أيقظك هذه الليلة وأرق نومك ...

– بما أيقظني ؟؟

– ولم الدهشة والاستغراب ؟ ولم لا أكتب عن المطر الذي يتعشقه سقف بيتك المسْتَأجَر . أيها المسْتَأجَر ...
فأصور تشقق أسطح البيوت المستأجرة وجدرانها كلما تقدم بها الزمان .. دون أن يهز ذلك ضمير مالكها السعيد، القابع ملكاً على امبراطوريته العقارية ، الموكلة اليه وحده مقدراتها بموجب صك الهي !!

– هكذا ؟! .

– أَمَلْكَ فيّ اذن قد خاب ! فأنت تنتظر مني أن أعود لحديث المحبوبة الوردية الوجنات ، الغارقة في ضباب الستائر الحريرية الزرقاء ، وللناي الحزين ، يرسل الأنين ، في الأمسيات الباهتة ، الذائبة في كأس الغروب.. .. و ... و ... الخ ...
... ولكني انذرتك بأني متمرد عليك هذه المرة ... وحبذا لو أتمرد عليك في ما بقي لنا معاً من عمرنا الارضي .. حبذا ثم حبذا ...

ذلك أن التحليق في ضباب الحلـــم – يا نخاسي الأحلام ! – إنما هو الأفيون الذي يدمن عليه أمثالك الاجراء الموقتون يا «موقت» !!

أما أنا فقد برئت ، منذ يومي هذا ، من أفيونك وأحلامك ... ولن يخدرني معسول كلامك ومعقود أوهامك ، ومنمق وعودك ! ..

لقد كشفت غطاءك الذي طالما تسترت أنت به حتى لا أراك على حقيقتك !
كشفت جبنك وترددك وخوفك ..

وآية جبنك : اعتراضك علي الآن في ما شرعت بالكتابة عنه : ذلك الاعتراض المستند الى نظرية امثالك الجبناء من نقاد الأدب ، القائلين بعـــزل توافه العيش اليومي عن موكب الكلمات المنمقة العابقة بأريج الغزليات الرقيقة ...

في صميم الادب الحي ، سأُدْخِلُ ، رغماً عنك وعن أولئك الأدباء الرعاديد ، كلَّ همومِ العيش اليومي ، أو مـــا تدعوه بالأحرى : بالتوافه العابرة .. وأعود – بالرغم من عبوسك – لتفاصيل ضياعك

° ° °

وضياعك في متاهة مجتمعك ، انما مبعثه يا صاحبي يا موقت،رضاك ورضى مَنْ حولك بالقسمة والنصيب وبأحكام القدر ...

رضيتَ يا (موقت) بكل موقت عابر من أُعطيات القوم .. حتى بتَّ بينهم قرينَ السائمة المعقودة الرباط بوتد في جدار ، تنتظر العشب الرخيص من يد سائمها بعد انتهاء كل يوم طويل طويل ، تحمل لصاحبها فيه الذهب يكدسه في خزائنه ...

ورضيتَ بكل أجدع أنف ، تنصبه ملكاً على عرش جمال الأنوف .. يا راغمَ الأنف في التراب يا موقت من أجل كل موقت يمضي مع الايام ... وضِعْتَ ياموقت وتاه منك «انسانٌ» حبستَه في قمقم تعبّدك للموقت وتهتَ ..

أو كاد التيه أن يميتك عطشاً في بيـــداء «رمالك والعيون» .. لولا قطراتٌ من رحمةٍ ومطر ، طرقتْ بها السماء جوانبَ رأسك المرعوب ، ذات ليلة حالكة من ليالي الخريف ، لتنذرك بخريف آخر يكاد أن يُسلمك لشتاء هذا العمر القصير : عمرك الذي قد ولى في عبادة كل موقت ... يا موقت !!!

عصام عسيران